جامعة الخليل

كليّة الدّراسات العليا

قسم أصول الدين

التّفسير وعلوم القرآن

الشَّهادة والشُّهود في القرآن الكريم

" دراسة موضوعية "

"Testimony and witnesses in the Holy Quran "

" Objective study "

إعداد الطالبة : إيمان أيمن إبراهيم الأطرش

إشراف الدكتور : عطية صدقي الأطرش

قدّمت هذه الرسالة استكمالاً لنيل درجة الماجستير في أصول الدين – قسم التفسير

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الخلـــــــيل
كليّة الدّراسات العليا
قسم أصول الديـــن
التّفسير وعلوم القرآن

الشَّهادة والشُّهود في القرآن الكريم

" دراسة موضوعية "

" Testimony and witnesses in the Holy Quran "

" Objective study "

إعداد الطالبة : إيمان أيمن إبراهيم الأطرش

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت في يوم السبت الموافق 22- 12 – 2018

وقد تكونت لجنة المناقشة من السّادة :

1. الدكتور : عطية صدقي الأطرش دكتور عطيـــة صدقي الأطرش مشرفاً ورئيساً

2. الدكتور : محمد يوسف الديك ممتحناً خارجياً

3. الدكتور : هارون كامل الشرباتي ممتحناً داخلياً

الإهداء

إلى أرض الرباط والمسجد الأقصى الأسير .

إلى روح جدتي الطّاهرة .

إلى أمّي وأبي الغاليين اللذَين شَجعاني على الإتقان والإبداع والتّميّز .

إلى والد زوجي ووالدته العزيزين .

إلى إخوتي وأخواتي إبراهيم وأحمد وأحلام وأماني وإيناس

وأمل .

إلى أبنائي مصطفى ورضا وعبادة ، وابنتي الغالية شهد .

إلى كل غالٍ وعزيزٍ على قلبي تذكرني يوماً بدعوة في ظهر

الغيب .

الشكر والتقدير

انطلاقاً من قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : ((**لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ**)) أتقدم بالشكر إلى كل من ساندني في إتمام رسالتي المتواضعة ، بما فيهم الدكتور (عطية الأطرش) (حفظه الله)والذي قبل الإشراف على رسالتي، ولم يبخل علي بعلمه وخبرته ،كما وأشكر الدكتور (هارون الشرباتي) والدكتور(محمد الديك) على جهدهما المتواصل في تدريس العلم الشرعي خير تدريس .

وأسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن لا يحرمنا فضله يوم تبلى السرائر .

فهرس الموضوعات

	الموضوع	الصفحة
	الإهداء .	أ
	الشكر والتقدير .	ب
	فهرس الموضوعات .	ت
	ملخص الرسالة باللغة العربية .	ز
	ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية .	س
	المقدّمة .	ص
	الفصل الأول : مفهوم الشهادة وأنواع الشهود في القرآن الكريم .	١
	المبحث الأول : مفهوم الشهادة والشهود في القرآن الكريم .	٢
	المطلب الأول : المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظة " الشهادة " .	٢
	المطلب الثاني : المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظة " الشهود " .	٤
	المطلب الثالث : الفرق بين (شهد له) و(شهد عليه) .	٦
	المطلب الرابع : الشهادة بالبصر والشهادة بالبصيرة .	٧
	المطلب الخامس : أركان الشهادة .	٨
	المطلب السادس : شروط صحة الشهادة .	١٠
	المطلب السابع : (الشهادة والشهود) في السياق القرآني .	١١
	الفرع الأول : الشهادة في السياق القرآني .	١١
	الفرع الثاني : الشهود في السياق القرآني .	١٤
	المطلب الثامن : مرادفات الشهادة في السياق القرآني .	١٩
	المبحث الثاني : شهادة الله واسمه وصفته المتعلقة بها .	٢٢
	المطلب الأول : شهادة الله ﷻ لنفسه ولعباده .	٢٢
	الفرع الأول : شهادة الله ﷻ لنفسه بالوحدانية .	٢٢
	الفرع الثاني : الشهادة في كلام الله ﷻ .	٢٦

	الفرع الثالث : شهادة الله ﷻ على خلقه .	٢٩
	الفرع الرابع : شهادة الله ﷻ لأنبيائه – عليهم السلام .	٣١
	أولاً : شهادة الله ﷻ مع أنبيائه على الإيمان، والنصرة لبعضهم .	٣١
	ثانياً : شهادة الله ﷻ لنبيّه محمد ﷺ بالرسالة .	٣٤
	ثالثاً : شهادة الله لحكم النَّبيَّين الكريمين داوود وسليمان – عليهما السلام .	٣٨
	الفرع الخامس : شهادة الله ﷻ على المنافقين .	٤٠
	أولاً : شهادة الله ﷻ على المنافقين بالكذب في ادّعائهم الإيمان بنبوة محمد ﷺ .	٤٠
	ثانيا : شهادة الله ﷻ على المنافقين بالكذب في حسن نيتهم من بناء مسجد الضرار.	٤٢
	ثالثاً : شهادة الله ﷻ على المنافقين بالكذب في ادّعائهم نصرة أهل الكتاب .	٤٤
	الفرع السادس : طلب الشهادة من الله ﷻ .	٤٦
	أولاً : طلب الحواريين الشهادة من الله ﷻ على صدق إسلامهم .	٤٦
	ثانياً : طلب المنافقين الشهادة من الله ﷻ على محبتهم للإسلام (بحسب ادّعائهم) .	٤٨
	المطلب الثاني : شهادة الله – تعالى – من خلال اسمه "الشهيد" .	٤٩
	الفرع الأول : معنى اسم الله " الشهيد " .	٤٩
	الفرع الثاني : الصّيغ التي ذكر من خلالها اسم الله " الشهيد "، ويشمل :	٥٠
	أولاً : اسم الله "الشهيد" غير مقترن بصِيَغْ لغوية معيّنة .	٥٠
	١. وروده في معرض الحديث عن مصير المشركين الرجوع إلى الله ﷻ بعد موتهم .	٥٠
	٢. الحديث عن إنكار الله ﷻ على من كفر من أهل الكتاب .	٥١
	٣. الحديث عن شهادة الله ﷻ لنبيّه بالرسالة .	٥٢
	ثانياً : اسم الله " الشهيد" مقترن بصيغة (كل شيء) الدالة على العموم .	٥٢
	أ. ورود عبارة (الله على كل شيء شهيد) غير مؤكدة بإنّ .	٥٢
	١. ورودها في معرض الحديث عن بعث وحساب الكفار الذين يحادّون الله ورسوله ﷺ .	٥٢
	٢.الحديث عن قصة أصحاب الأخدود .	٥٣
	٣.الحديث عن محاورة الله لعيسى بن مريم – عليه السلام – يوم القيامة .	٥٤

	٤. الحديث عن عدم سؤال النبي محمد ﷺ الأجر على دعوته .	٥٥
	ب . ورود عبارة (الله على كل شيء شهيد) مؤكدة بإنّ .	٥٦
	١. ورودها في معرض الحديث عن أهل الأديان المختلفة من المسلمين والمشركين، والفصل بينهم يوم القيامة .	٥٦
	٢.الحديث عن إباحة ظهور المرأة على محارمها بغير حجاب.	٥٧
	٣. الحثّ على إعطاء الموالي حقوقهم من التركة .	٥٨
	٤.الحديث عن آيات الله ﷻ في الآفاق والأنفس .	٥٩
	ثالثاً : اسم الله الشهيد مقروناً بصيغة "كفى" أو" يكفي" .	٦٠
	أ. الآيات والموضوعات التي ورد من خلالها اسم الله الشهيد مسبوقاً بصيغة الماضي (كفى) .	٦٠
	١. وروده في معرض الحديث عن تشاؤم المنافقين من النبي محمد ﷺ والردّ عليهم .	٦٠
	٢.الحديث عن شهادة الله ﷻ لنبيّه محمد ﷺ بالرسالة .	٦١
	٣. الحديث عن الحكم بين المشركين، وشركائهم الذين عبدوهم من دون الله ﷻ، يوم القيامة .	٦١
	٤. الحديث عن ادّعاء المشركين بأنّ النّبي محمداً ﷺ غير مرسل من ربه .	٦٣
	٥.الحديث أنّ الله ﷻ يبعث الرسول من نفس جنس المرسل إليهم .	٦٣
	٦. الحديث عن اشتراط المشركين الآيات الشاهدة حتى يؤمنوا بالنبي محمد ﷺ .	٦٤
	٧. الحديث عن ادّعاء المشركين بأنّ النبي محمداً ﷺ قد افترى القرآن من عنده، والردّ عليهم .	٦٤
	٨.الحديث عن نعمة إرسال الله ﷻ لنبيه محمد بالهدى ودين الحق .	٦٥
	ب. الآيات والموضوعات التي ورد من خلالها اسم الله الشهيد مسبوقاً بصيغة المضارع (يكفي) .	٦٥
	الموضع الوحيد : وروده في معرض الحديث عن آيات الله ﷻ في الآفاق والأنفس .	٦٦
	الفرع الثالث : الآثار المترتبة على الإيمان باسم الله "الشهيد" .	٦٧
	المطلب الثالث : صفة الله "عالم الغيب والشهادة" .	٦٨

	الفرع الأول : معنى صفة الله " عالم الغيب والشهادة " .	٦٨
	الفرع الثاني : الآيات والموضوعات التي ذكرت من خلالها صفة الله " عالم الغيب والشهادة" .	٦٩
	١. ورودها في معرض الحديث عن نفي الشرك .	٦٩
	٢. الحديث عن خلق السماوات والأرض والنّفخ في الصور .	٦٩
	٣. الحديث عن حسن تدبير الله ﷻ لأوامره من السماء إلى الأرض .	٧٠
	٤. الحديث عن الدّعاء بصفات الله " فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة "، والحكم بين العباد يوم القيامة .	٧٠
	٥.الحديث عن أسماء الله الحسنى وصفاته العليا .	٧١
	٦. الحديث عن علم الله ﷻ لما في الأرحام .	٧٢
	٧. الحديث عن الإنفاق في سبيل الله ﷻ .	٧٢
	٨. الحديث عن تحذير الإنسان من الرد إلى الله " عالِم الغيب والشهادة " .	٧٣
	الموضع الأول : الحديث عن ترغيب المؤمنين بالعمل الصالح ولقاء الله ﷻ .	٧٣
	الموضع الثاني : الحديث عن الموت ولقاء الله ﷻ في الآخرة .	٧٣
	الموضع الثالث : الحديث عن المنافقين الذين يبدون الأعذار في التخلف عن الجهاد في سبيل الله ﷻ .	٧٤
	الفرع الثالث : الآثار المترتبة على الإيمان بصفة الله " عالم الغيب والشهادة " .	٧٥
	المبحث الثالث : شهادة الإنسان .	٧٦
	المطلب الأول : شهادة الإنسان على ربوبية الله ﷻ في عالم الذّر .	٧٦
	المطلب الثاني : شهادة الإنسان على نفسه بلسان حاله .	٧٩
	المبحث الرابع : شهادة الأشهاد .	٨١
	المطلب الأول : مفهوم الأشهاد والآيات والموضوعات التي وردت من خلالها هذه الكلمة .	٨١
	المطلب الثاني : أنواع الأشهاد .	٨٥

	النوع الأول : الملائكة .	٨٥
	أولاً : شهادة الملائكة على وحدانية الله – تعالى .	٨٥
	ثانياً : شهادة الملائكة على نبوة محمد ﷺ .	٨٥
	ثالثاً: شهادة الملائكة على الأنفس .	٨٧
	رابعاً: شهادة الملائكة المقربين لكتاب الأبرار يوم القيامة .	٨٩
	النوع الثاني : الرسل الكرام – عليهم السلام .	٩٢
	أولاً : معنى شهادة الرسل – عليهم السلام .	٩٢
	ثانياً : الأنبياء الذين ذكرت شهادتهم في القرآن على وجه الخصوص .	٩٣
	١. شهادة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم .	٩٣
	٢. شهادة نبي الله إبراهيم – عليه السلام – على ربوبية الله – تعالى .	٩٧
	٣. شهادة نبي الله عيسى – عليه السلام – على قومه .	٩٨
	النوع الثالث : المؤمنون.	١٠٠
	أولاً : شهادة أولي العلم .	١٠٠
	ثانياً : شهادة أمّة محمد ﷺ .	١٠٣
	ثالثاً : الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله ﷻ .	١١٢
	النوع الرابع : الأجساد .	١٢١
	المبحث الخامس : شهادة أهل الكتاب والكفار .	١٢٥
	المطلب الأول : شهادة أهل الكتاب .	١٢٥
	الفرع الأول : الشهادة المحمودة لأهل الكتاب .	١٢٥
	أولاً : شهادة الحواريين للمائدة التي نزلت من السماء .	١٢٥
	ثانياً : شهادة من عنده علم الكتاب على صدق ما جاء به النبي ﷺ	١٢٨
	ثالثاً : شهادة الشاهد من بني إسرائيل على نبوّة محمد ﷺ، وأنّ القرآن حق كما جاء في التوراة .	١٣٠
	الفرع الثاني : الشهادة المذمومة لأهل الكتاب .	١٣٢
	أولاً : استشهاد أهل الكتاب على إسلام المسلمين .	١٣٢

	ثانيا : شهادة أهل الكتاب على تطابق الصفات التي بشروا بها في كتبهم عن النبي محمدﷺ .	١٣٤
	ثالثاً: كَتْم أهل الكتاب لشهادة الحق من الله أنّ إبراهيم وذريّته من الأنبياء – عليهم السلام – كانوا مسلمين .	١٣٦
	رابعاً : شهادة بني إسرائيل على العمل بالميثاق الذي أعطاهم الله ﷻ إياه .	١٣٧
	المطلب الثاني : شهادة الكفار .	١٣٩
	أولاً : شهادة الكفار على أنفسهم بالكفر .	١٣٩
	الموضع الأول : شهادة الكفار على أنفسهم بالكفر بلسان المقال والحال في الحياة الدنيا.	١٣٩
	الموضع الثاني : شهادة الكفار على أنفسهم بالكفر عند موتهم .	١٤٠
	الموضع الثالث : شهادة الكفار على أنفسهم بالكفر في يوم القيامة .	١٤١
	ثانياً : شهادة الكافرين على أنّ الملائكة إناث ؛ وأنها بنات الله – تعالى .	١٤٣
	الفصل الثاني : الشهادة ؛ مدحها وذمّها وذكرها من خلال المعاملات والحدود والأزمنة والقصص في القرآن الكريم .	١٤٥
	المبحث الأول : الشهادة المحمودة في القرآن الكريم .	١٤٦
	المطلب الأول : القيام بالشهادة .	١٤٦
	المطلب الثاني : الشهادة لله – تعالى .	١٤٩
	المطلب الثالث : الشهادة بالقسط .	١٥١
	المبحث الثاني : الشهادة المذمومة في القرآن الكريم .	١٥٤
	المطلب الأول : كتم الشهادة .	١٥٤
	المطلب الثاني : شهادة الزور .	١٦٠
	المبحث الثالث : الشهادة في المعاملات .	١٦٤
	المطلب الأول : شروط الشهداء، وحقوقهم .	١٦٤
	أولاً : الشهداء المرضيون عند جماعة المسلمين .	١٦٤

	ثانياً : حقوق الشهداء وواجباتهم من خلال قوله تعالى:﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ .	١٦٦
	المطلب الثاني : الإشهاد على الدّيون .	١٧١
	المطلب الثالث : الإشهاد على الرجعة أو الفراق بين الزوجين .	١٧٣
	المطلب الرابع : شهادة المرأة .	١٧٥
	المطلب الخامس : الإشهاد على تسليم أموال اليتامى .	١٧٩
	المطلب السادس : الشهادة حين الاحتضار والوصية .	١٨١
	المبحث الرابع : الشهادة في الحدود .	١٨٥
	المطلب الأول : الشهادة على فاحشة الزنا .	١٨٥
	أولاً : شهادة الأربعة على فاحشة الزنا .	١٨٥
	ثانياً : شهادة طائفة من المؤمنين على تطبيق حد الزنا .	١٨٩
	المطلب الثاني : جلد قاذف المحصنات إذا لم يأت بأربعة شهداء .	١٩٢
	المطلب الثالث: الشهادة في اللّعان .	١٩٦
	المبحث الخامس : الأزمنة الشاهدة والمشهودة .	١٩٩
	المطلب الأول : اليوم المشهود .	١٩٩
	المطلب الثاني : وقت الفجر المشهود .	٢٠٠
	المطلب الثالث : شهادة شهر رمضان .	٢٠٢
	المطلب الرابع : وقت الحج المشهود .	٢٠٤
	المبحث السادس : الشهادة والشهود في القصص القرآني .	٢٠٧
	المطلب الأول : مشهد حرق نبي الله إبراهيم – عليه السلام .	٢٠٧
	المطلب الثاني : مشهد احتضار نبي الله يعقوب – عليه السلام .	٢٠٩
	المطلب الثالث : شهادة المتآمرين على قتل نبي الله " صالح " وأهله –	٢١١

	عليهم السلام .	
	المطلب الرابع : الشاهد على امرأة العزيز .	٢١٣
	المطلب الخامس : شهادة إخوة النبي يوسف عليه السلام على أخيهم من أبيهم .	٢١٦
	المطلب السادس : شهادة الملأ الذين حول ملكة سبإ .	٢١٩
	الخاتمة .	٢٢١
	فهرس الأحاديث والآثار .	٢٢٤
	فهرس الأعلام .	٢٢٧
	قائمة المصادر والمراجع .	٢٢٩

الملخّص

تحمل هذه الرسالة عنوان (**الشَّهادة والشُّهود في القرآن الكريم – دراسة موضوعية**)، وتعود أهميّة هذه الرسالة إلى كونها الأولى التي تجمع معظم الآيات والموضوعات التي ذُكرت فيها الشهادة والشهود بصريح لفظها في القرآن الكريم ، وهي عبارة عن **مقدّمة وفصلين** .

وقد اشتمل الفصل الأول على خمسة مباحث، بيّنتُ فيه مفهوم لفظة (الشّهادة والشّهود) في القرآن الكريم، وشهادة الله – تعالى– والتي تشمل شهادة الله ﷻ من خلال اسمه (الشهيد) ومن خلال صفته (عالم الغيب والشّهادة)، وتشمل أيضاً شهادته لنفسه ولعباده، ثمّ تحدثتُ عن شهادة الإنسان ؛ والتي تشمل شهادة الإنسان في عالم الذّر ، وشهادته على نفسه بلسان حاله، وبعد ذلك تحدّثتُ عن شهادة الأشهاد والتي تشمل شهادة(الملائكة والأنبياء والمؤمنين والأجساد)، ثمّ ذكرتُ شهادة أهل الكتاب والكفار .

أمّا الفصل الثاني فهو عبارة عن ستة مباحث، ذكرتُ فيه الشهادة المحمودة في القرآن الكريم والتي تشمل موضوعات (القيام بالشهادة، والشهادة لله ﷻ، والشهادة بالقسط) ثمّ ذكرتُ الشهادة المذمومة في القرآن الكريم والتي تشمل موضوعات (كتم الشهادة، وشهادة الزّور)، ثمّ تحدّثتُ عن الشهادة في المعاملات والتي تشمل موضوعات تتعلّق بحقوق الشهود والإشهاد على الديون وعلى تسليم أموال اليتامى، وعلى الرجعة أو الفراق بين الزوجين، وشهادة المرأة، والشهادة حين الاحتضار والوصية، ثمّ بعد ذلك ذكرتُ الشهادة في الحدود والتي تشمل الشهادة على حد الزنا واللّعان، ثمّ تحدّثتُ عن الأَزمنة الشاهدة والمشهودة في القرآن الكريم، والشهادة والشهود في القصص القرآني.

وأمّا خاتمة الرسالة فقد اشتملت على أهمّ النتائج التي توصلت إليها ، ومنها : أنّ للمسلم مكانة عظيمة عند الله ﷻ فإن شهد للحيّ من إخوانه نال رضى الله ﷻ بحفظه لحقوقهم، وإن شهد لمن مات منهم كانت شهادته معتبرة عند الله ﷻ تجب بها الجنّة للميّت، وإنّ الله – تعالى – سوف يصطفيه في الآخرة للشهادة للأنبياء – عليهم السلام – بصدقهم، وسوف يشهد على ملايين الناس من الأمم الأخرى بحسن أوسوء اتّباعهم لأنبيائهم، وأمّا أهم التوصيات فكانت أنّ على الباحثين الاهتمام بعمل أبحاث ميدانية تشمل اقتراحات علمية وعملية جديدة ومتطوّرة تؤمّن الحماية الكاملة للشهود وتعمل على الحدّ من استهدافهم من قِبل رجال العصابات، لأنّ بحمايتهم يُحفظ العدل في المجتمع، وتُستَردُّ الحقوق .

ABSTRACT

The title of this dissertation is, “Testimony and Witnesses in the Holy Quran - Objective study”. The significance of this dissertation stems from the fact that this is the first dissertation to compile most of the verses and subjects in which testimony and witnesses were explicitly pronounced in the Holy Quran. It consists of an introduction and two chapters.

The first chapter consisted of five subsections. The first introduced the concept and meaning of the terms testimony and witnesses in the Holy Quran. Second, it dealt with The Almighty’s testimony which included His testimony through his name “Shahid” and through his characteristic “Knower of the Invisible and Visible. It also included His testimony of Himself and his worshippers. Third, it talked about Human testimony which included human testimony in the World of Covenant and His testimony of Him by Himself. Fourth, it talked about the testimony of the witnesses which included (angels, prophets, believers, and souls).Finally, it mentioned the testimony of the people of the scriptures and nonbelievers.

The second chapter consisted of six subsections. First,it mentioned the faith testimony in the Holy Quran; it included the subjects of (pronouncement of testimony, testimony of God and testimony of justice). Second, it mentioned the abhorred testimony in the Holy Quran; it included concealment of testimony and false testimony. Third, it talked about testimony in documents which relate to topics in witnesses rights, testimony on debts, orphans wealth, witnesses onwife’s “Raj’a” (taking back of one’s wife) or separation between the couple, women testimony, and testimony upon will. Fourth, it talked about testimony in “Had” punishment of accusation of adulteryand fornication. Fifth, it talked about witness

andwitnessed times in the Holy Quran. Sixth, it addressed testimony and witnesses in Quranic narration.

The main findings in the conclusion indicated that God ranked a Muslim in a sublime position. If a Muslim testified for another alive Muslim, he would win God’s satisfaction thanks to preserving their rights. If a Muslim testified for another dead Muslim, then his testimony before God, would be highly regarded by God making the dead worthy of paradise. God the Almighty would distinguishhim on Judgement Day to testifyto the veracity of prophets– May peace be upon them. He will testify for millions of people from other nations whether they righteously or wrongfully followed their prophets.

The main recommendations indicated the need to conduct field research including new scientific and practical proposals to provide full protection to witnesses as well as to put an end to targeting of witnesses by gangs. Their protection safeguards justice and regains rightsin the society.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله الواحد القهّار، العزيز الغفّار، مكور اللّيل على النّهار، القائل في كتابه :﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾(فاطر : ٣٢) ، والصلاة والسّلام على خاتم النّبيين، والمبعوث رحمة للعالمين، ورضي الله – تعالى – عن العلماء الرّبانيين الذين ما زالوا يتعبون ويسهرون في خدمة كتاب الله – تعالى – واكتشاف أسراره .

أمّا بعد ؛ فعندما نسمع لفظة (الشهادة) في حياتنا اليومية يخطر ببالنا من الأمور الكثير فالشهادة قد تعني لنا كلمة النطق بالتوحيد والإيمان بالنبي محمد – صلى الله عليه وسلّم – والتي هي مفتاح الدخول في هذا الدّين، وقد تعني لنا الموت في سبيل الله – تعالى – والتي هي عزٌّ للمسلمين، وعندما نسمع شخصاً ما يقول : (أنا أشهد بكذا) أو (الله على ما أقول شهيد) يخطر ببالنا أنّه إنسان ثقة لا يمكن أن يكذب، لأنّ هذه اللفظة تدل غالباً على المبالغة في الصدق، وعندما نسمع بلغتنا العاميّة أنّ فلاناً سوف (يُشَهِّد) على فلان يخطر ببالنا أنّه يتفرّس فيه الثقة والعدالة وأنّه يريد منه أن يحكم له بالعدل، وأنّه الشخص الذي لن يظلمه .

فالشهادة هي أمر أساس في حياتنا، فنحن نَشهَد بألسنتنا وقلوبنا بالإيمان بالقرآن وبجميع ما أخبرنا عنه نبينا من الإيمان بالملائكة والرسل واليوم الآخر وما سوف يقع فيه، وشهادتنا هذه هي أساس عقيدتنا ومفتاح دخولنا جنة ربنا، لذلك آثرت أن أغوص في غمار موضوعات (الشهادة) وأن أتعرّف على (الشهود) في القرآن الكريم من خلال هذه الدّراسة .

وهذه خطة مقدَّمة للرسالة تحتوي على العناصر التالية :

عنوان الدّراسة :

تحمل هذه الدّراسة عنوان :**((الشهادة والشهود في القرآن الكريم – دراسة موضوعية))** .

أسباب اختيار الدّراسة :

الأسباب التي دعتني لاختيار هذه الدّراسة هي :

١. خدمة كتاب الله – تعالى – من خلال تفسير بعض آياته ؛ والرغبة في سبر أغوار القرآن الكريم من أوله إلى آخره من خلال موضوع معيّن ؛ ومعرفة عدد مرات ذكره في القرآن الكريم .

٢. تحرير مصطلح الشهادة والشهود على ضوء المعاجم اللّغوية ؛ ومعرفة الحكمة من وروده بمعانٍ مختلفة .

٣. الرغبة في إثراء المكتبة العلمية ؛ وذلك لعدم وجود دراسة مستقلّة تجمع جميع الآيات والموضوعات التي وردت فيها لفظة (الشهادة) واشتقاقات الجذر (شَهِدَ) في القرآن الكريم .

٤. لأنّ موضوع الدراسة يعتبر موضوعاً حيوياً ، وملازماً لحياتنا اليومية بكل تفريعاته ، ويحتاج مزيداً من التركيز عليه والبحث فيه .

أهداف الدّراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى :

- التعرّف على الآيات التي ذكرت فيها " الشهادة والشهود" في القرآن الكريم .
- ذكر معاني (الشهادة) في القرآن الكريم .
- ذكر أنواع (الشهود) في القرآن الكريم .
- التركيز على لفظة الشهادة وربطها بموضوع الآية التي وردت من خلالها تلك اللفظة .
- استخراج اللطائف والحكم من الآيات قدر الإمكان .

أهميّة الدّراسة :

تنبع أهميّة هذه الدّراسة من خلال ارتباطها بكتاب الله الخالد ؛ فهي تخدم كتاب الله – تعالى ؛ وتخدم المسلمين من خلال إثراء المكتبة الإسلامية ؛ وذلك لأنها دراسة جديدة تجمع معاني وموضوعات (الشهادة والشهود في القرآن الكريم) في كتاب واحد ؛ حيث أنني لم أجد دراسة سابقة تجمع تلك الموضوعات .

كما أنها دراسة تحوي موضوعات تخصّ العقيدة كاسم الله (الشهيد)، وصفة الله (عالم الغيب والشهادة)، وموضوعات تخص الفقه كالشهادة في المعاملات والحدود، وموضوعات تَدْرُس الأزمنة الشاهدة والمشهودة في القرآن الكريم، فضلا عن باقي الموضوعات القرآنية التي ذكرت الشهادة والشهود في القرآن الكريم .

مشكلة الدراسة :

تتلخص مشكلة الدراسة في التعرف على موضوعات الشهادة والشهود في القرآن الكريم، وذلك عن طريق جمع الآيات التي ذكرت فيها (الشهادة) من خلال اشتقاقات الجذر (شَهِدَ) في القرآن

الكريم، وتقسيمها حسب موضوعاتها، وتفسيرها وشرحها ؛ واستخلاص النتائج والتوصيات المترتبة على هذه الدّراسة .

حدود الدّراسة :

تقتصر هذه الدّراسة على التعرف على المعاني التي تدور حول موضوعات الشهادة والشهود **بصريح لفظها**، وذلك من خلال اشتقاقات الجذر (شَهِدَ) في القرآن الكريم، ودراستها دراسة موضوعية، دون التطرق إلى غيرها من مرادفات الشهادة والشهود في القرآن الكريم، وإنما مجرّد الإشارة إليها فحسب ؛ وذلك لعدم وجود متّسع في الرسالة لشرح المرادفات .

أدوات الدّراسة :

اعتمدت الباحثة في هذه الدراسة على الرّجوع إلى المكتبة الورقية، والمكتبة الإلكترونية ؛ وذلك حسب ما تيسّر من كتب قديمة أو حديثة أو مواقع إلكترونية لها ارتباط بموضوع الدّراسة .

الدّراسات السابقة :

بعد التّحري والبحث لم أقف على دراسة علمية متخصصة أفردت وجمعت موضوعات (الشهادة والشهود) بصريح لفظها ؛ إلا بعض الرسائل العلمية التي تحدثتْ عن جزئيات معيّنة من موضوعات الشهادة سأذكر بعضاً منها.

١. رسالة الماجستير المقدمة إلى جامعة أم القرى للباحثة : صالحة محمد فطاني، والتي تحمل عنوان : **((الشهادة وأجر الشهيد في ضوء الكتاب والسنّة))** والتي تحدثت فيها الباحثة عن فضائل الشهادة، وأنواع الشهداء، وبعض النماذج من قصص الشهداء في الإسلام .

٢. رسالة الماجستير المقدمة إلى جامعة الخليل، للباحثة : أحلام محمد إغبارية ، والتي تحمل عنوان : **((شهادة النساء – دراسة فقهية قانونية مقارنة))** والتي تحدثت فيها الباحثة عن مشروعية وشروط شهادة النساء والحالات التي تشرع فيها شهادتهنّ، وعن الفرق بين طبيعة المرأة وطبيعة الرجل في الشهادة .

٣. رسالة الماجستير المقدمة إلى جامعة الخليل للدكتور: سليم الرجوب ؛ والتي تحمل عنوان : **(الشاهدُ المُختَلف في شهادته بين الفقهاء – دراسة فقهية مقارنة)** ، والتي تحدث فيها الباحث عن مشروعية الشهادة ، وشهادة النساء في الأموال والحدود والقصاص وفيما لا يطّلع عليه الرجال ، وشهادة الصبيان ، والشهادة مع التهمة كشهادة الأقارب ، وشهادة غير المسلمين .

وكما ذكرت سابقاً بأنه ليس هناك مصادر سابقة – على حد علمي – تجمع كل موضوعات الشهادة والشهود يمكن الرجوع إليها .

منهج الدّراسة :

لقد حرصتُ على اتّباع الضّوابط العلمية التي أوصى بها العلماء المختصون ؛ في طريقة الكتابة في التفسير الموضوعي ؛ والتي كان أبرزها :

١. تتبع معظم الآيات التي تدور حول الجذر(شَهِدَ) والتي تصل إلى أكثر من مائة وستين آية، وتقسيمها إلى موضوعات رئيسة .

٢. دراسة الآيات التي تجمع موضوعات الشهادة والشهود دراسة استقصائية من أولها إلى آخرها تقريباً ؛ وذلك لأنني وجدت أنّ هذه الطريقة تجعل موضوع الرسالة أعمق بكثير من أن تُدرس الآيات بشكل عام ؛ كما هو حال كثير من الدراسات الموضوعية ، وإنما أحببت التركيز من خلال هذا الاستقصاء على آية آية غالباً .

٣. التركيز على اللفظة التي ذكرت الشهادة وربطها بموضوع الآية ، واستخراج اللطائف والحِكَم منها قدر الإمكان .

٤. تبيين معاني (الشهادة) ، والتعرف على أنواع (الشهود) في القرآن الكريم .

٥. التعرّف على معاني الآيات التي ذكرت فيها " الشهادة والشهود"، في القرآن الكريم وتفسيرها وشرحها .

٦. عدم الدخول في مرادفات الشهادة والشهود ؛ وإنما مجرد الإشارة إليها فقط .

٧. عدم التّوسع في النحو واللّغة في تفسير الآيات .

٨. عدم التوسع في ذكر الأحكام الفقهية ؛ وبخاصة أنّ هناك عدّة مباحث هي أقرب إلى الموضوعات الفقهية ؛ وهي التي تتعلق بالشهادة في المعاملات والحدود ؛ كي لا تخرج الدّراسة عن جوهرها القرآني التّفسيري ؛ ومن أراد التّوسع في ذلك فيمكنه الرّجوع إلى التفاسير اللغوية والفقهية المختصة .

وبناءً على ما تقرر فقد اتّبعتُ :

– المنهج الاستقرائي؛ وذلك من خلال استقراء الآيات التي ذُكر فيها موضوعات

(الشهادة والشهود) واشتقاقات الجذر (شَهِدَ) في القرآن الكريم، وتقسيمها إلى موضوعات رئيسة وشرحها واستخراج اللطائف والحِكم منها قدر الإمكان .

-المنهج الوصفي ؛ وذلك من خلال تفسير الآيات حسب موضوعاتها .

-المنهج التاريخي ؛ وذلك فيما يتعلّق بالترجمة للأعلام الذين ذُكرت اسماؤهم في الدّراسة .

وقد حرصتُ على :

- عزو الأقوال إلى قائليها ؛ وذلك من خلال توثيق اسم الكتاب المقتبس منه في هامش الصفحة، وذكر اسم مؤلّفه، وذكر الجزء بالرمز (ج)، والصفحة بالرمز (ص)،ورقم الحديث النبوي بالرمز (ر)، والطبعة بالرمز (ط)، ودار النشر بعد رقم الطبعة إن وُجدت.
- عزو الآيات القرآنية إلى سورها وأرقامها، وكتابتها وفق الرسم العثماني .
- تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها الأصيلة .
- مراعاة علامات الترقيم .
- الترجمة للأعلام غير المشهورين .
- بيان معاني الألفاظ الغريبة .
- إعداد مجموعة من الفهارس وهي :

١. فهرس الأحاديث والآثار .

٢. فهرس الأعلام والمشاهير .

٤. فهرس المصادر والمراجع .

٥. فهرس الموضوعات .

محتوى الدّراسة :

اشتملت هذه الدراسة على مقدّمة، وفصلين، وخاتمة .

أمّا المقدمة فقد اشتملت على : عنوان الدّراسة ، وأسباب اختيارها ، وأهدافها ، وأهميتها ، ومشكلتها ، وحدودها ، وأدواتها ، والدّراسات السابقة ، ومنهج الدّراسة ، ومحتوى الدّراسة ، وأمّا الفصول والمباحث فكانت كالآتي :

الفصل الأول : مفهوم الشهادة وأنواع الشهود في القرآن الكريم .

ويشمل خمسة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم الشهادة والشهود في القرآن الكريم .

المبحث الثاني : شهادة الله – تعالى – واسمه وصفته المتعلقة بها .

المبحث الثالث : شهادة الإنسان .

المبحث الرابع : شهادة الأشهاد .

المبحث الخامس : شهادة أهل الكتاب والكفار .

الفصل الثاني : الشهادة ؛ مدحها وذمّها وذكرها من خلال المعاملات والحدود والأزمنة والقصص في القرآن الكريم .

ويشمل ستة مباحث :

المبحث الأول : الشهادة المحمودة في القرآن الكريم .

المبحث الثاني : الشهادة المذمومة في القرآن الكريم .

المبحث الثالث : الشهادة في المعاملات .

المبحث الرابع : الشهادة في الحدود .

المبحث الخامس : الأزمنة الشاهدة والمشهودة .

المبحث السادس : الشهادة والشهود في القصص القرآني .

الفصل الأول : مفهوم الشهادة وأنواع الشهود في القرآن الكريم .

ويشمل خمسة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم الشهادة والشهود في القرآن الكريم .

المبحث الثاني : شهادة الله واسمه وصفته المتعلقة بها .

المبحث الثالث : شهادة الإنسان .

المبحث الرابع : شهادة الأشهاد .

المبحث الخامس : شهادة أهل الكتاب والكفار .

الفصل الأول : مفهوم الشهادة وأنواع الشهود في القرآن الكريم .

المبحث الأول : مفهوم الشهادة والشهود في القرآن الكريم .

يشتمل هذا المبحث على عدّة مطالب، هي عبارة عن مقدمات مهمّة للرسالة، سوف أُبرِز من خلالها المعنى اللغوي والاصطلاحي " للشهادة والشهود"، والفرق بين مصطلح (شهد له) و (شهد عليه)، وتوضيح معنى الشهادة بالبصر والشهادة بالبصيرة، وأركان الشهادة وشروط صحتها، وأخيراً سوف أبيّن الشهادة والشهود ومرادفاتها في السياق القرآني .

المطلب الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظة " الشهادة "

أولاً : المعنى اللغوي للفظة "الشهادة" :

مصدر مشتق من الجذر: (شَ هِ دَ)، وهو أصلٌ يدلُّ على حضور، ومُشاهدة ؛ وعِلم وإعلام ولا يخرج شيء من فروعه عن ذلك .[1]

ولفظة **أشهد** من الألفاظ الدالّة على تحقُّق الشيء كأعلم وأتيقّن ؛ لذلك قد تأتي أحياناً بمعنى الحَلْف، وسميت الشهادة بهذا الاسم لأنها مأخوذة من مشاهدة الشاهد للحدث المشهود .[2]

ثانياً : المعنى الاصطلاحي للفظة "الشهادة"، وينقسم هذا المصطلح إلى فرعين :

الفرع الأول : المعنى العام للشهادة .

هي الخبر القاطع الذي يؤديه الشاهد عن علم حصل بمشاهدة بصر أو بصيرة[3]؛ والأصل فيها

---

[1] انظر : ابن فارس ، أحمد بن فارس(ت: ٣٢٩هـ) ،**مقاييس اللغة**، تحقيق : عبد السلام هارون ، (دار الفكر: ١٣٩٩هـ) ، ج(٣) ، ص(٢٢١) و ص(٣٢٩) . والزجاجي ، عبد الرحمن بن اسحق(ت :٣٤٠هـ) ،**اشتقاق أسماء الله ﷻ**، تحقيق : عبد الحسن المبارك ، ط(٢)، (مؤسسة الرسالة :١٤٠٦هـ) ، ص(١٣٢) . والجوهري ، إسماعيل بن حماد(ت: ٣٩٣هـ) ،**الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق : أحمد عطار، (دار العلم للملايين : ١٤٠٧هـ) ، ج(٢) ، ص(٤٩٤) . وابن منظور ،محمد بن مكرم(ت: ٧١١هـ) ،**لسان العرب**، ط(١) ، (دار صادر– بيروت) ج(٣) ، ص(٢٣٨) . والسمين الحلبي ، أحمد بن يوسف(ت: ٧٥٦) ،**عمدة الحفاظفي تفسير أشرف الألفاظ**، ط(١) ، (دار الكتب العلمية :١٤١٧هـ) ، ج(٢) ، ص (٢٩٥) .

[2] انظر : المراجع السابقة .

[3] انظر : ابن فارس ،**مقاييس اللغة**، ج(٣) ، ص(٢٢١) ، ص(٣٢٩) . والجوهري ،**الصحاح**، ج(٢) ، ص(٤٩٤) . وابن منظور ،**لسان العرب**، ج(٣) ، ص(٢٣٨) . والسمين الحلبي ،**عمدة الحفاظ**، ج(٢) ، ص (٢٩٥) .

أن يوافق اللسان القلب .[1]

وهذا المعنى يشمل ما يتناقله النّاس فيما بينهم من أمور قد شاهدوها، أو سمعوها بأنفسهم، ويشمل أيضاً المعنى الخاص للشهادة الذي سيأتي تعريفه في الفرع الآتي.

الفرع الثاني : المعنى الخاص للفظة "الشهادة" .

إخبار إنسان عن عيان في مجلس القاضي، وهذا الإخبار يُبنى عليه حق لنفسه أو لغيره، أو عقوبة، أو حد من حدود الله ﷻ ؛ بهدف إصلاح المجتمع . [2]

وهذا المعنى هو الذي تعارف عليه أهل القضاء، وهو خاص بالمعاملات الخاصة بين الناس والتي تشمل الحقوق والحدود والقصاص ، والتي تتم عادة في المحاكم الشرعية، ويدور محور هذه الرّسالة على المعنى العام والخاص معاً، على خلاف الرسائل الفقهية ؛ التي تدور حول المعنى الخاص في الأغلب .

---

[1] انظر : الآلوسي ، شهاب الدين محمود بن عبد الله (١٢٧٠هـ) ، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق : علي عطية ، (دار الكتب العلمية – بيروت : ١٤١٥هـ) ، ج(١٤) ، ص(٣٠٤) .

[2] انظر بتصرف : الجرجاني علي بن محمد(ت: ٤٧١هـ) ،**التعريفات**، ط(١) ،(دار الكتب العلمية – بيروت : ١٣٠٥هـ) ، ص(١٧٠) . والزيلعي ، عثمان بن علي(ت :٧٤٣هـ) ،**تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق** ، ط(٢) ، (دار الكتاب الإسلامي – القاهرة : ١٣١٣هـ) ، ج(٤) ، ص(٢٠٧) .

المطلب الثاني : المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظة " الشهود " .

أولاً : المعنى اللّغوي للفظة "الشُّهود" .

جمع شاهد أو شَهْد؛ وتجمع أيضا بصيغة الجمع : (أشهاد) ؛ مثل (صاحب) و(أصحاب) ؛ والشّهْدُ : هم الجماعة من الناس، والشاهد هو الحاضر، ويقال أيضا للشاهد : (شهيد) ؛ وجمعها(شهداء)، وقوم شهود : أي حضور، وصيغة (شهيد) من صيغ المبالغة ؛ مثل (عالم وعليم)؛ وهي تدل على المبالغة في العِلْم والمشاهدة والإقرار والتبليغ .[1]

وفي الحديث عن أبي بن كعبﷺ[2]قال : ((صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا الصُّبْحَ فَقَالَ : أَشَاهِدٌ فُلاَنٌ ، قَلنا لاَ، ولَم يَشْهدِ الصَّلاةَ ، قَالَ : أَشَاهِدٌ فُلاَنٌ ، قَلنا لاَ، ولَم يَشْهدِ الصَّلاةَ ، قَالَ : إِنَّ هَاتَيْنِ الصَّلاَتَيْنِ أَثْقَلُ الصَّلَوَاتِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَيْتُمُوهُمَا وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الرُّكَبِ))[3] .ومعنى (أَشاهدٌ فلان) : أي هل فلان حاضر مع القوم، مدرك للصلاة ؟[4]

ثانياً : المعنى الاصطلاحي للفظة "الشهود" .

جمع شاهد، وهو الإنسان الذي يؤدي الشهادة ؛ فيخبر بما رأى ويقر بما علم .[5]

---

[1] انظر : ابن فارس ،**مقاييس اللغة**، ج(٣) ، ص(٢٢١) ، ص(٣٢٩) . والجوهري ،**الصحاح**، ج(٢) ، ص(٤٩٤) . وابن منظور ،**لسان العرب**، ج(٣) ، ص(٢٣٨) . والسمين الحلبي ،**عمدة الحفاظ**، ج(٢) ، ص (٢٩٥) .

[2] هو الصحابي : **أبي بن كعب بن قيس بن النجار المدنيﷺ**، من كبار القرّاء للقرآن الكريم ، وممن جمع القرآن في حياة النبي ﷺ، أخذ عن النبي ﷺ علماً كثيراً ، وشهد العقبة وبدراً ، توفي سنة (٣٠هـ) . انظر : الذهبي ، محمد بن أحمد(ت: ٧٨٤هـ) ،**سير أعام النبلاء**، (مؤسسة الرسالة :١٤٢٢هـ) ، ج(١) ، ص(٣٩٠-٣٩٤) .

[3] أخرجه : ابن خزيمة ، أبو بكر محمد بن اسحق السلمي(٣١١هـ) ،**صحيح ابن خزيمة**، تحقيق : محمد الأعظمي ، (المكتب الإسلامي- بيروت : ١٣٩٠هـ) ، تعليق : الألباني والأعظمي ، باب : ذكر البيان أنّهكلما كثر من العدد في الصلاة جماعة كانت الصلاة أفضل، ج(٢) ، ص(٣٦٦) ، ر(١٤٧٦) . قال الأعظمي : إسناده صحيح .

[4] انظر: العيني ، محمود بن أحمد(ت: ٨٥٥هـ) ،**شرح سنن أبي داوود**، ط(١) ، (مكتبة الرشد : ١٤٢٠هـ) ، ج(٣) ، ص(٣٠) .

[5] انظر : ابن فارس ،**مقاييس اللغة**، ج(٣) ، ص(٢٢١) ، ص(٣٢٩) . والجوهري ،**الصحاح** ، ج(٢) ، ص(٤٩٤) . وابن منظور ،**لسان العرب**، ج(٣) ، ص(٢٣٨) . والسمين الحلبي ،**عمدة الحفاظ**، ج(٢) ، ص (٢٩٥) .

وقد تأتي الشهادة أيضاً بمعنى قول الزوروذلك لأنّ الشهادة في الأصل هي خبر مُخبر، سواء كان الخبر يحتمل الصدق أوالكذب ، وقد أُطلق مجازاً على الخبر الصادق اليقين، وصارت لفظة الشهادة مظنّة الصدق، وذلك لأنّ صاحبها يبين ويقيم الأدلة على ما يقول[1]،وحتى شاهد الزور يدّعي الصدق واليقين على ما يقول، حتى يوهم غيره بقبول شهادته.

والدّليل على صحة تسمية قول الزور شهادة، ما جاء في كثير من الأحاديث ، كحديث عمرو بن مرزوقﷺ[2] أنّه قال : ((سُئِلَ النبيُّﷺعنُ الْكَبَائِرِ فقال : الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَقَتْلُ النَّفْسِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وشَهَادَةُ الزُّورِ))[3].

وقد بوّبّ المحدّثون أبواباً تحمل عنوان : (شهادة الزور) في كثير من كتب الحديث . [4]

---

[1]انظر : ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد(ت: ١٣٩٣هـ) ،**تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد في تفسير الكتاب المجيد**،(دار سحنون للنشر: ١٤١٧هـ) ، ج(٣) ، ص(١٨٦) .

[2]**عمرو بن مرزوق أبو عثمان الباهلي**، محدِّث البصرة الثقة ، قال عنه يحيى بن معين : صاحب غزو وقرآن وفضل ، حدّث عنه البخاري ، وأبو داوود ، روى عن شعبة ثلاثة آلاف حديث ، توفي سنة(٢٢٤هـ) . انظر : الذهبي ،**سير أعلام النبلاء**، ج(١٠) ، ص(٤١٨-٤٢٠) .

[3]أخرجه : البخاري ، محمد بن إسماعيل(ت: ٢٥٦هـ) ،**الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، تحقيق : مصطفى البغا، (دار ابن كثير: ١٤٠٧هـ) ، كتاب : الشهادات ، باب : ما قيل في شهادة الزور ، ج(٢) ، ص(٩٣٩) ، ر(٢٥١٠) .

[4]راجع : البخاري ،**صحيح البخاري** ، كتاب : الشهادات ، باب : ما قيل في شهادة الزور ، ج(٢) ، ص(٩٣٨) . وابن ماجة ، محمد بن يزيد(ت: ٢٧٣هـ) ،**سنن ابن ماجة**، تعليق : محمد ناصر الدين الألباني،ومحمد فؤاد عبد الباقي ، (دار الكتب العلمية – بيروت) ، كتاب : الأحكام ، باب : شهادة الزور ، ج(٢) ، ص(٧٣٩) .

المطلب الثالث : الفرق بين (شهد له) و(شهد عليه) .

سيمر معنا من خلال هذه الرسالة مصطلح شهد له وشهد عليه، لذلك لابد من توضيح الفرق في المعنى بين حرفي الجر (اللام) و(على) إذا اقترنا بالفعل (شَهِدَ) ؛ فحرف الجر(على) يفيد الاستعلاء، وحرف الجر (اللام) يفيد التبيين والاختصاص[1]،وفي الأغلب عندما يقال شهد فلان لفلان يكون معناها أنّه شهد لصالحه بما هو خير ومنفعة له ، وعندما يقال شهد فلان على فلان أن يكون معناها شهد عليه بما هو شر أو ما يجر له عقوبة .

أمّا عندما يريد الشاهد أن يشهد شهادة فيها خير وشرّ معاً، كأن يشهد على شخص ما بما عمل من أعمال الخير و أعمال الشر، أو يشهد لمجموعة من النّاس كلٌ حسب عمله من الخير أو الشر، وذلك بحسب ما يتبين له من الأدلّة، فالأصل أن يقال(شهد عليهم)مجازاً، وقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على ذلك، فإذا اقترنت الشهادة في القرآن الكريم بحرف(على) فهي تشمل معنى الخير والشرّ معاً، كقوله تعالى عن نفسه : ﴿ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ﴾(آل عمران : ٩٨)، فالله ﷻ شهيد على كل شيء من أعمال العباد خيرها وشرها أي شهيد للعباد وعلى العباد، وقوله تعالى عن نبيّه :﴿ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ ﴾(النحل : ٨٩) ؛ فالرسول سيكون شهيداً على أمته جميعاً ؛ يشهد للمحسن بإحسانه، وللمسيء بإساءته، وكذلك الأمر في شهادة أمّة محمد في قوله تعالى : ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾(البقرة : ١٤٣)، فهذه الأمّة سوف تكون شاهدة لغيرها من الأمم بالخير، وشاهدة على غيرها بالشرّ الذي اكتسبته. وقد اكتفي بحرف الجر (على) دون (اللام) من باب التغليب لما هو أهمّ، وهو تحذير المسيء من الوقوف بين يدي الله ﷻ الذي شهد إساءته، وكذلك تحذير المسيء من شهادة النبي ﷺ والأمّة عليه، ومن ثَمّ وجوب العقوبة عليه، أمّا المحسن فالله ﷻ سيجزيه على إحسانه دون حاجته لشهادة الرسول ﷺ وأمّته، وتكون شهادة الرسول ﷺ والأمّة عليه من باب الزيادة في الخير .[2]

---

[1] انظر: أبو البقاء العكبري ، عبد الله بن الحسين (ت: ٦١٦هـ) ،**اللّباب في علل البناء والإعراب**، تحقيق : غازي طليمات ، ط(١) ، (دار الفكر – دمشق) ، ج(١) ، ص(٣٥٩– ٣٦٠) .

[2] انظر بتصرف : ابن عاشور ،**التحرير والتنوير**،ج(٢) ، ص(٢١) .

المطلب الرابع : الشهادة بالبصر والشهادة بالبصيرة .

سيمر معنا في الرسالة موضوعات تتعلق بالشهادة بالبصر والشهادة بالبصيرة ؛ لذلك لابدّ من توضيح الفرق بين المعنيين، فالشهادة بالبصر هي شهادة حسيّة يعاينها الشاهد ببصره ؛ و تكون في المعاملات بين الناس، أو في الأخبار الصادقة التي يتناقلها الناس فيما بينهم، أو في الشهادة الخاصة في المحاكم الشرعية .

أمّا الشهادة بالبصيرة فهي شهادة معنوية ؛ يراها الشاهد بقلبه ووجدانه ؛ والأصل أن تكون في الغيبيات ؛ مثل الشهادة بوحدانية الله ﷻ؛ وسائر أركان الإيمان ؛ فالمسلم يشهد أن لا إله إلا الله مع أنه لم ير الله ﷻ ؛ ويشهد بوجود الملائكة وسائر الأنبياء – عليهم السلام – والجنة والنار مع أنه لم يشاهدهم ؛ لأنه يشاهد ذلك ببصيرته، ويشهد لسانه على صدق بصيرته ؛ وهذا يعني أنّ كل ما أعلمنا الله ﷻ إياه عن طريق أنبيائه فنحن نشهد عليه ببصيرتنا كأننا نراه .

المطلب الخامس : أركان الشهادة .

للشهادة أربعة أركان :

١. الشاهد الذي يشهد الحدث .[١]

٢. المشهود له أو عليه من قِبل الشاهد[٢]؛ وقد يكون هذا المشهود له أو عليه إنساناً، أو حيواناً أو حدثاً ما؛ كشهادة الشاهد هلال رمضان أو هلال العيد فالمشهود له هنا هو القمر.

٣. المشهود به ؛ وهو الحق الذي هو موضوع الشهادة .[٣]

٤. صيغة الشهادة، وهي القول المشهود به على صحة الحدث، كقول الشاهد رأيت كذا أو شهدت كذا[٤]، ولا يشترط بشكل عام أن يأتي الشاهد بلفظ " أشهد" حتى يعتبر ما قاله شهادة ، لأنّ الشهادة هي الإخبار بالشيء ، وليس في كتاب الله ﷻ ولا في سنة رسوله ﷺ موضع واحد يدل على اشتراط لفظ الشهادة ، ولا عن رجل واحد من الصحابة – رضي الله عنهم ، ولا في لغة العرب، والدليل على ذلك قوله تعالى :﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ ﴾(الأنعام:١٥٠) وقوله تعالى :﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾(الزخرف:١٩)

فالمشركون قالوا : إنّ الله ﷻ حرم عليهم بعض الحرث والأنعام، وقالوا : إن الملائكة هي إناث وأنّها بنات الله ﷻ، فجعل الله ﷻ ذلك منهم شهادة وإن لم يتلفظوا بلفظ الشهادة ولم يؤدوها .[٥]

وهذا ما قاله ابن القيم – رحمه الله ، أمّا بالنسبة لصيغة الشهادة التي يبنى عليها حقوق شرعية أو عقوبة، والتي عادة ما تكون في المحاكم الشرعية، فقد اختلف الفقهاء فيها؛ فمنهم من اشترط على الشاهد أن يأتي بلفظة **أشهد** حتى تقبل شهادته كالحنفية والشافعية والحنبلية ؛ ومنهم من لم

---

[١] انظر بتصرف : ابن حجر الهيتمي أحمد بن محمد(ت: ٩٧٤هـ)، **تحفة المحتاج بشرح المنهاج**، ط(١) ، (دار الكتب العلمية – بيروت : ١٤٢١هـ) ، ج(٤) ، ص(٤٠١) .

[٢] انظر : المرجع السابق .

[٣] انظر : ابن حجر الهيتمي ، **تحفة المحتاج بشرح المنهاج**، ، ج(٤) ، ص(٤٠١) .

[٤] انظر : المرجع السابق .

[٥] انظر : ابن القيّم ، محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ) ، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق : محمد الفقي، ط(٢) ، (دار الكتاب العربي – بيروت : ١٣٩٣هـ) ،ج(٣) ، ص(٤٥١) .

يشترط ذلك كالمالكية والإمام ابن حزم الظاهري، وابن القيم وشيخه ابن تيمية كما سبق توضيحه[1]، والظاهر عدم الاشتراط كما ذكر ابن القيم، لكنني أرى أنّ يأتي الشاهد بلفظة " أشهد" إن كان يُخاف أن يُكذَّب وإن كانت لا تشترط ، حتى يَتأكد للسامع صدقه وعدالته .

[1] انظر : ابن حزم ، علي بن أحمد (ت:٤٥٦) ،**المحلّى بالآثار**، (دار الفكر للطباعة والنشر) ، ج(٩) ، ص(٤٣٤) . وابن تيمية ، تقي الدين أحمد (ت: ٧٢٨هـ) ،**الفتاوى الكبرى**، تحقيق : محمد عطا، ط(١) ، (دار الكتب العلمية : ١٤٠٨هـ) ، ج(٥) ، ص(٥٧٧) . والزيلعي ، **تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق**، ج(٤) ، ص(٢٠٧) . والشيباني ، عبد القادر بن عمر(١١٣٥هـ) ، **نيل المآرب بشرح دليل الطالب**، ط(٢) ،(دار النفائس : ١٤٢٠هـ) ج(١) ، ص(٤٧٠) .

المطلب السادس : شروط صحة الشهادة .

لصحة الشهادة ثلاثة شروط :

١. الحضور في مكان الحدث المشهود .

٢. العلم والمعرفة بصحة الحدث المشهود، وهذا يقتضي الانتباه للحدث المشهود حتى يصل إلى درجة العلم والمعرفة به، فإن كان الشاهد منشغلاً بشيء ما، فلا يعتبر شاهداً للحدث ولو كان حاضراً للحدث .

٣. إعلام الغير بالمشهود به .

فالشاهد حتى يكون شاهداً ؛ عليه أن يكون حاضراً في مكان الحدث، مشاهداً للحدث، حصل عنده من العلم ما يؤهله لإعلام غيره بما حدث، والإعلام يكون عن الغير أو عن النّفس ؛ فقد يُعلِم الشاهد عن غيره، أو عن نفسه، فأمّا إعلامه عن غيره ؛ فيكون بمعنى الإخبار بما حصل مع غيره، وأمّا عن نفسه ، فيكون بمعنى الإقرار بما حصل معه، أو بما وجه إليه من التُّهم، وهذا الإعلام يكون موجّهاً للقاضي أو الحاكم في الشهادة الخاصة والتي تكون عادة في المحاكم الشرعية .

وهذه الشروط تنطبق على الشهادة بمعناها العام والخاص، أي ما يتداوله الناس فيما بينهم من أخبار قد شاهدوها أو سمعوها بأنفسهم، ولكن لا يترتب على شهادتهم أي حكم أو حق أو عقوبة، وتنطبق هذه الشروط أيضاً على الشهادة بمعناها الخاص، وتعدّ هذه الشروط ضرورية بالإضافة إلى شرط عدالة الشاهد، ويترتب عليها أحكام وحقوق وعقوبات[١] .

---

[١] انظر : عليش ، محمد بن أحمد (ت : ١٢٩٩هـ) ،**منح الجليل شرح على مختصر سيد خليل**، (دار الفكر – بيروت : ١٤٠٩هـ) ، ج(٨) ، ص(٣٨٨) .

المطلب السابع : (الشهادة والشهود) في السياق القرآني :

اشتقت لفظة الشهادة من الجذر" شَهِدَ"، وقد ذُكرت اشتقاقات هذا الجذر في القرآن الكريم أكثر من مائة وستين مرة، وقد تعددت معانيها حسب السياق القرآني ؛ وإن كانت جميعها تدور حول محور واحد وهو الحضور والإعلام ؛ وسأذكرها هنا بإيجاز مع بعض الأمثلة الدّالة عليها، وسيتم تفصيل معظم هذه المعاني في المباحث القادمة من الرسالة .

الفرع الأول : الشهادة في القرآن الكريم،وتشمل عدّة معانٍ :

أولاً : الحضور مع المشاهدة[1] .

كما في قوله تعالى : ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ (الحج : ٢٨) .

أي ليحضر الحجاج شعائر الحج حضوراً تاماً بأجسادهم وأبصارهم، ويشهدوا منافع لهم ؛ دينية كمناسك الحج، ودنيوية كالتجارة .[2]

ويتجلّى هذا المعنى في قوله تعالى على لسان الرهط الذين تمالَئوا على قتل نبي الله صالح وأهله – عليهم السلام :﴿ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ ﴾(النمل: ٤٩) أي ما حضرنا موقع جريمة القتل ولا شاهدناها ؛ فضلاً عن أن نكون باشرناها[3].

ولا بدّ من لفت النظر أيضاً إلى بلاغة القرآن في قوله تعالى :﴿ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴾(المدثر : ١٣) وكما هو معلوم فهذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة ، يذكّره الله –تعالى – فيها أنّه قد رزقه بنين شهوداً ، أي أبناء حاضرين يشاهدهم ويشاهدونه، بحيث لا يحتاج إلى سفر للّقاء بهم وقد جاء هذا الوصف للأبناء دون الأحفاد أو الأصحاب لكثرة حضورهم ومخالطتهم للأبوين .[4]

---

[1] انظر : الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد(ت: ٥٠٢ هـ) ،**المفردات في غريب القرآن**، تحقيق : صفوان الداوودي ، ط(١) ، (دار القلم – دمشق : ١٤١٢هـ) ، ص(٤٦٥) .

[2] انظر : البقاعي ، أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر(ت: ٨٨٥ هـ)،**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، (دار الكتب العلمية ، بيروت :١٤١٥هـ) ، ج(٥) ، ص(١٤٨) .

[3] انظر : البقاعي ، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج(٥) ، ص(٤٣٢) .

[4] انظر : البيضاوي ، عبد الله بن عمر (ت: ٦٨٥هـ) ،**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق : محمد المرعشلي ، ط(١) ، (دار إحياء التراث العربي : ١٤١٨هـ)، ج(٥) ، ص(٢٦٠) . والعراقي ، عبد الله ، =

ثانياً : الإخبار[1] المطلَق ؛ سواء كان صدقاً أم كذباً .

كما في قوله تعالى على لسان إخوة يوسف عليه السلام لمّا أخبروا أباهم أنّ أخاهم (بنيامين)[2] قد سرق صواع الملك :﴿ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا ﴾(يوسف: ٨١)أي: ما أخبرنا إلا بما رأينا في الظاهر من أنّ الوعاء قد خرج من صواع (بنيامين) وقد يكون هناك حيلة لا نعلمها دبرت لنا .[3] وقد استعمل القرآن لفظة الشهادة هنا عن الإخبار المُطلق سواء كان صدقاً أم كذباً ؛ لكنّ إخوة يوسف قد قيدوها بالصدق الظاهر لهم (إلا بما علمنا) لكي يبرئوا ذمتهم إن ثبت غير ما يقولون ؛ وهذا يدل كما ذكرنا سابقاً بأنّ لفظة الشهادة هي خبر مخبر[4]، لكنّها مظنّة الصدق كما درج عليه عرف الناس، فعندما يدّعي المخبر بالشيء أنه شاهِد، فإنّه يوهم السامع بعدالته وصدقه، وبخاصّة إذا جاء بلفظة (أشهد) أو (شهدنا) كما فعل إخوة يوسف .

ثالثاً : الإخبار الذي يترتب عليه أحكام شرعية .

وهذا الإخبار لا يكون إلا عن علم ومشاهدة ولا يكون إلا ممن يؤدي الشهادة الصادقة ؛ التي يترتب عليها حقوق وأحكام شرعية كالإشهاد على العقود التجارية، أو على عقد النكاح أو الطلاق أو غيرها من العقود ؛ كما في قوله تعالى :﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾(البقرة : ٢٨٢) وهذا الشاهد يجب أن تكون شهادته عن علم ومعرفة تامّة بما استشهد عليه، ويجب أن يكون عنده من العدالة في الدين، والضبط في الذاكرة ما يؤهله لذلك، وإلا لن تقبل شهادته[5].

= (**الشهادة ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه**)، ٤- ١١ – ١٤٣٢هـ \ ٢٠١١م .http://www.ahl-uran.com/arabic/show_article.php?main_id=٨٥٧١

[1] انظر : الراغب ،**المفردات في غريب القرآن**، ص(٤٦٥) .

[2] (بنيامين) : هكذا ورد اسمه في الإسرائيليات التي ذكرها المفسرون ، وهو الأخ الشقيق ليوسف عليه السلام . الطبري ، محمد بن جرير(٣١٠هـ) ،**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق : أحمد شاكر ،ط(١)،(مؤسسة الرسالة : ١٤٢٠هـ)، ج(١٦)، ص(١٧٣) .

[3] انظر : البقاعي ،**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج(٤) ، ص(٨٨) .

[4] انظر بتصرف : ابن عاشور،**التحرير والتنوير**، ج(٣) ، ص(١٨٦) .

[5] انظر : الراغب ،**المفردات غريب القرآن**، ص(٤٦٥) . وابن كثير ، إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤) ،**تفسير القرآن العظيم**، تحقيق : سامي محمد سلامة ، ط(٢) ،(دار طيبة للنشر والتوزيع : ١٤٢٠هـ) ، ج(١) ، ص(٧٢٥) .

رابعاً : العِلم[1].

وصف الله ﷻ علم النصارى واليهود بأنه شهادة منهم، قال الله –تعالى – لليهود والنصارى لمّا جحدوا نبوة محمد : ﴿لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴾(آل عمران : ٧٠) أي لِم تجحدون ما هو مكتوب من آيات الله ﷻ في كتبكم ؛ وأنتم **تعلمون** علماً في غاية الانكشاف أنّ هذه هي آيات الله ﷻ البيّنة على أنّ محمداً ﷺ هو النبي المذكور عندكم .[2]

خامساً : ما يشهده الناس بحواسهم وبصائرهم[3].

ذُكرت الشهادة في القرآن على أنّها ما يشاهده الناس بأبصارهم ويدركونه بحواسهم ، قال الله – تعالى– في الحديث عن صفته العليا :﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾(السجدة:٦ فعلم الله ﷻ يشمل عالَم الغيب، وهو ما يغيب عن حواس الناس ولا تدركه عقولهم، وما يسرّون في قلوبهم ؛ ويشمل عالَم الشهادة، أي ما تدركه حواسهم وما يشاهدونه بأبصارهم وما يعلنون من أقوالهم وأعمالهم .[4]

سادساً : القَسَم [5] .

تجري الشهادة أحياناً مجرى القسم ؛ كما في قوله تعالى:﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾(المنافقون: ١) وذلك لمّا حلف بعض المنافقين أنهم يؤمنون بالنبي ﷺ ويصدقونه بما جاء به، إيهاماً للسامعين أنّ ألسنتهم توافق قلوبهم ؛ فأنزل الله ﷻ تكذيبهم في نفس الآية[6] قال القرطبي – رحمه الله : وقد يعُبّر عن الشهادة بالحلف ؛ وذلك لأنّ كلاً منهما إثبات لأمر مغيب.[7]

---

[1]انظر : الراغب ،**المفردات في غريب القرآن**، ص(٤٦٥) .

[2]انظر : الطبري ، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج(٦) ، ص(٥٠٦) . والبقاعي ، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج(٢) ، ص(١١٣) .

[3]الراغب ،**المفردات في غريب القرآن** ، ص(٤٦٥) .

[4]انظر : الآلوسي، **روح المعاني** ، ج(٤) ، ص(١٠١) .

[5]انظر : الراغب ، **المفردات غريب القرآن**، ص(٤٦٥) .

[6]أبو حيان، محمد بن يوسف(ت: ٧٤٥هـ) ،**البحر المحيط في التفسير** ، تحقيق : عادل عبد الموجود ، وآخرون ، ط(١) ، (دار الكتب العلمية ، بيروت :١٤٢٢هـ) ،ج(٨) ، ص(٢٦٧) .

[7]انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(١٨) ، ص(١٢٢) .

سابعاً: الحُكم[1].

قد يُعبّر بالشهادة عن الحُكم نحو قوله تعالى :﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾(يوسف:٢٦) أي حكم حاكم من أهل امرأة العزيز التي راودت يوسف عن نفسه ؛ إن كان قميص يوسف مشقوقاً من الأمام فهي الصادقة ؛ ويوسف هو الكاذب، وإن كان قميص يوسف مشقوقاً من الخلف فهي الكاذبة ؛ ويوسف هو الصادق .[2]

ثامناً : الإقرار .[3]

قال تعالى عن حال المشركين :﴿ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ﴾(التوبة :١٧)،أي: مقرين على أنفسهم بالكفر بلسان حالهم، وذلك بعبادة الأوثان، وتكذيب القرآن الكريم، وإنكار نبوة محمد ﷺ.[4]

الفرع الثاني : الشهود في السياق القرآني،وتشمل عدّة أصناف :

أولاً : الله – تعالى .

كما في قوله تعالى :﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾(آل عمران :١٨)وقوله تعالى : ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾(النساء :١٦٦)فالله – تعالى- هو الشاهد الذي شهد بوحدانيته وشهد لأنبيائه بصدقهم، وشهادة الله – تعالى- بمعنى إعلامه وتبيينه وحكمه معاً، وهذا لا يكون إلا في حق الله – تعالى .[5]

ثانياً : القرآن الكريم .

تطلق لفظة الشاهد على القرآن الكريم ؛ كما في قوله تعالى :﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾(هود : ١٧) في هذه الآية يصف الله- تعالى- القرآن بأنّه شاهد

---

[1] الراغب الأصفهاني ،**المفردات غريب القرآن**، ص(٤٦٥) .

[2] انظر : الطبري ، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج(١٦) ، ص(٥٨-٥٩) .

[3] انظر : الراغب ،**المفردات غريب القرآن**، ص(٤٦٦) .

[4] انظر : الرازي ، محمد بن عمر(ت: ٦٠٦هـ) ،**التفسير الكبير**، ط(١) ، (دار إحياء التراث العربي) ،ج(١٦) ، ص(١٢) . وسيّد قطب ،سيّد قطب إبراهيم حسين (ت: ١٣٨٦هـ)، **في ظلال القرآن**، ط(٣٢) ، (دار الشروق :١٤٢٣هـ) ، ج(٩) ، ص(١٣٩٣) .

[5] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(١٩) ص(٢٨٥) .

من عنده، يشهد على العقل والفطرة السليمة أنّ الإسلام هو دين الحق .[1]

ثالثاً : الملائكة – عليهم السلام .

ذكر الله – تعالى الملائكة على أنهم شهود في آيات عديدة كقوله تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(آل عمران: ١٨) فهي تشهد لله – تعالى – بالوحدانية، وتشهد للأنبياء – عليهم السلام – بصدقهم، وتشهد على الإنسان بعمله يوم القيامة .[2]

رابعاً : الأنبياء– عليهم السلام.[3]

وصف الله ﷻ نبي كل أمّة أنه شهيد عليها في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾(القصص:٧٥)،وذلك لأنه سيشهد عليها يوم القيامة أنه بلغها رسالة ربه .[4]

خامساً : أمّة محمد – صلى الله عليه وسلم .

وصف الله ﷻ أمّة محمد ﷺ بأنّهم شهداء على النّاس، وذلك في قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾(البقرة : ١٤٣) جعل الله أمة نبيه أفضل أمة بين الأمم وخصها بالشهادة على سائر الأمم يوم القيامة بأنهم قد بُلّغوا رسالات ربهم، وستشهد للأنبياء بأنّهم لم يقصّروا في التبليغ .[5]

سادساً : أولو العلم .

جعل الله – تعالى– أولي العلم من ضمن الشهود الذين استشهدهم على وحدانيته، وذلك في قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ

---

[1] انظر : الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر(ت: ٥٣٨هـ) ،**الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**،تحقيق : عبد الرزاق االمهدي، (دار إحياء التراث العربي – بيروت) ، ج(٢) ، ص(٣٦٥) .

[2] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن** ، ج(١٧) ، ص(١٤) . وابن كثير ،**تفسير القرآن العظيم**، ج(١) ، ص(٤٧٦) .وابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(٣) ، ص(١٨٦) و ج(٢٦) ، (٣٠٨) .

[3] انظر : الراغب ،**المفردات غريب القرآن**، ص(٤٦٥) .

[4] انظر : ابن كثير ،**تفسير القرآن العظيم** ،ج(٦) ، ص(٢٥٢) .

[5] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٢) ، ص(١٥٦) .

إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾(آل عمران: ١٨)، وذلك لأنهم يُبلغون أمر التوحيد وما يتفرع عنه من أمور الدين للناس، وهم أحقّ من يخشى الله – تعالى – فلا يُحرّفون في شهادتهم . [١]

سابعاً: المقتول في سبيل الله – تعالى.[٢]

وصف الله ﷻالذين قتلوا في سبيله دفاعاً عن دينه في قوله تعالى :﴿ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡ ﴾(الحديد : ١٩) بأنهم شهداء عند ربهم، أي شهدوا شهادة عملية بدمائهم أنّ هذا الدين هو دين الحق الذي يستحق الدفاع عنه، وهؤلاء الشهداء لهم منزلة خاصة عند ربهم، ولهم مثل أجر الشهداء الذين سبقوهم ومثل نورهم [٣].

ثامناً : الإنسان .

وصف الله ﷻ الإنسان في قوله تعالى:﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾(العاديات : ٧) بأنه شاهد بلسان حاله على كفره نعم ربه، وشاهد على تفريطه في شكر ربه .[٤]

تاسعاً : الأجساد .

جاء في آيات عديدة ذكر للأجساد من ضمن الشهود الذين سيشهدون على الإنسان يوم القيامة بأعماله، كما في قوله تعالى : ﴿ وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾(فصلت : ١٩ – ٢٠) . [٥]

---

[١] انظر : ابن القيم ، **مدارج السالكين**، ج(٣) ، ص(٧٤٣) . وابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(٣) ، ص(١٨٦).

[٢] الراغب ،**المفردات في غريب القرآن**، ص(٤٦٥) .

[٣] انظر : الزمخشري ،**الكشاف** ، ج(٤) ، ص(٤٧٦) . وسيد قطب ، **في ظلال القرآن** ، ج(٤) ، ص(٤٨١).
توضيح : تحتمل هذه الآية معنى آخر للشهداء، وهم الشهداء من أمة محمد ﷺعلى الأمم الأخرى . انظر: أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي(ت: ٩٨٢هـ) ،**إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (دار إحياء التراث العربي – بيروت) ، ج(٨) ، ص(٢١٠) .

[٤] انظر : الزمخشري ، **الكشاف**، ج(٤) ، ص(٧٩٥) .

[٥] انظر : ابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(٢٤) ، ص(٢٦٦) .

عاشراً :الأعوان.[1]

وصف الله ﷻ أعوان المشركين ممن يناصرونهم على باطلهم، بأنّهم شهداء على الباطل، وقد تحداهم الله – تعالى – في قوله :﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(البقرة :٢٣) إن كانوا يشكّون في أنّ القرآن الكريم من عند الله ﷻ فليستعينوا بأعوانهم لمساعدتهم في معارضة القرآن بسورة واحدة على الأقل،أو حتى يشهدوا معهم على أنّ القرآن ليس من عند الله ﷻ.[2]

وقبل أن أنهي هذا المطلب لا بدّ من التوقّف عند هذه الآية العظيمة، وهي قوله تعالى : ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾(البروج : ٣)، والتي تشمل جميع المعاني التي ذكرناها سابقاً للشهود، **فالشاهد** هنا هو اسم جنس يشمل كل مخبر بحق، وينطبق معنى الشاهد على عدّة أصناف ؛ فقد يكون الشاهد هو الله – تعالى، وقد يكون ممن حضر يوم القيامة من الملائكة – عليهم السلام، وقد يكون من جنس الرسل – عليهم السلام، وقد يكون الشاهد هو الإنسان الذي يشهد على نفسه يوم القيامة أو أعضاؤه التي تشهد عليه بأعماله، وقد يكون أمّة محمد ﷺالتي تشهد على الأمم يوم القيامة، وقد يكون جميع الخلق الذين شهدوا لله – تعالى – بالوحدانية .[3]

أمّا **المشهود** فهو اسم جنس أيضاً يشمل كل مشهود عليه، وأعظم مشهود عليه شهد عليه البشر هو التوحيد لله – تعالى، وقد يكون المشهود عليه هو الإنسان الذي سوف يشهد الله – تعالى– عليه يوم القيامة، وقد يكون المشهود هو يوم القيامة لكثرة ما يُشهد من جميع الخلق، وقد يكون المشهود هو الأيام المشهودة من كثير من النّاس كيوم عرفة أو يوم الجمعة [4]، ومعظم ما ذُكر في كتب التفسير من أحاديث في تخصيص الشاهد والمشهود هي أحاديث ضعيفة، وأقوال ليس عليها دليل معتبر، وبالرجوع إلى سورة البروج وربط هذه الآية بباقي السورة التي تتحدث عن المظلومين الذين تم حرقهم من قبل أصحاب الأخدود، قد يكون أقوى معنى للشاهد هنا هو الله –

---

[1] انظر : الراغب ،**المفردات في غريب القرآن**، ص(٤٦٥) .

[2] انظر : ابن كثير ،**تفسير القرآن العظيم**، ج(١) ، ص(١٩٩) . وابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(١) ، ص(٣٣٩) .

[3] انظر : الزمخشري ،**الكشاف**، ج(٢٠) ، ص(٢٤٤) ، والقرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(١٩) ، ص(٢٨٥– ٢٨٦) . وابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(٣٠) ، ص(٢٣٩) .

[4] انظر : المراجع السابقة .

تعالى – الذي شهد أنّات المظلومين والضعفاء عندما عُذبوا وماتوا في سبيله، والمشهود هم المؤمنون المستضعفون والذين عُذبوا وقتلوا ظلماً وعدواناً في ذلك الزمان وكل زمان، لأنّ الله – تعالى – سوف يشهد لهم وينتصر لهم يوم القيامة، مع العلم أنّ جميع المعاني التي ذكرتها داخلة في معنى الآية والله – تعالى – أعلم[١] .

[١] نوفل ، أحمد إسماعيل ، محاضرتين بعنوان : **(تفسير سورة البروج)**، انظر : الرابطين :
https://www.youtube.com/watch?v=٢٢QzRYXYIBk
https://www.youtube.com/watch?v=١UyR٤VNVz٠c

المطلب الثامن : مرادفات الشهادة في السياق القرآني :

وردت في السياق القرآني مرادفات تدل على بعض معاني الشهادة في القرآن الكريم ؛ سأذكر بعضاً منها :

أولاً : الحضور

كقوله تعالى :﴿ ۚ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٩٦ ﴾ (البقرة :١٦٩) .

وقوله تعالى : ﴿ وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ﴾ (الأعراف : ١٦٣) .

ثانياً : الإبصار

كقوله تعالى:﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ٩ ﴾(يس : ٩) .

وقوله تعالى : ﴿ فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ٥ ﴾ (القلم : ٥) .

ثالثاً : العِلم

كقوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٠٧ ﴾ (البقرة ١٠٧) .

وقوله تعالى:﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٥٩ ﴾ (القلم : ٥) .

رابعاً : الرّؤية بالعين

كقوله تعالى:﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ ﴾ (الأنعام : ٧٦) .

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨ ﴾ (يوسف :٢٨) .

خامساً : النّظر

كقوله تعالى:﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾(يونس: ٤٣)

وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ ﴾ (ق :٦) .

سادساً : البلاغ

كقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥۚ ﴾ (المائدة : ٦٧) .

وقوله تعالى: ﴿ بَلَٰغٌۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾(الأحقاف: ٣٥) .

سابعاً: التّبيين

كقوله تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ (آل عمران : ١٨٧) .

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل : ٤٤) .

ثامناً : الإخبار

كقوله تعالى:﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ (النمل : ٧) .

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ ﴾(الزلزلة :٤) .

تاسعاً : القول

كقوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةًۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾(البقرة :٦٧) .

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ (البقرة :٢٤٩) .

عاشراً : القَسَم

كقوله تعالى:﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقْسِمُواْۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ (النور :٥٣) .

وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (الروم : ٥٥) .

حادي عشر : الحُكْم

كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (المائدة : ٤٢) .

وقوله تعالى: ﴿ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ ﴾ (النساء : ١٤١) .

وفي ختام هذا المبحث فقد تمّ التّعرف على مقدّمات مهمة حول لفظة الشهادة والشهود في القرآن الكريم، والتي سوف تكون مفتاحاً لما بعدها من المباحث، والتي تدور حول الحضور والإعلام في جميع معانيها .

المبحث الثاني : شهادة الله ﷻ، واسمه وصفته المتعلّقة بها .

تتجلى شهادة الله ﷻ من حولنا في مظاهر عديدة، وذلك من خلال ما أنزله من كتب سماوية تشهد على وحدانيته وتدعو إلى عبادته سبحانه، ومن خلال ما أقامه من الآيات البيّنات في هذا الكون البديع الذي يشهد على أنّ له خالقاً، ومن خلال ما أودعه في الفطرة البشرية من الإيمان بوجود إله خالق لهذا الكون.[1]

ذُكرت شهادة الله ﷻ في آيات عديدة في القرآن الكريم، سيأتي تفصيلها في هذا المبحث، حيث تحدثتُ فيه عن شهادة الله لنفسه ولعباده، وعن شهادة الله من خلال اسمه " الشهيد "، وعن صفة الله " عالم الغيب والشهادة "، ويتّسم هذا المبحث بطوله نسبياً، ويرجع سبب ذلك لكثرة الآيات التي تتحدث عن شهادة الله – تعالى، مقارنة مع غيرها من الآيات التي تتحدث عن عموم الشهادة في القرآن الكريم .

المطلب الأول : شهادة الله ﷻ لنفسه ولعباده .

الفرع الأول : شهادة الله ﷻ لنفسه بالوحدانية .

قال تعالى :﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾آل عمران: ١٨)، لقد شهد الله ﷻ لنفسه بنفسه في هذه الآية شهادة صريحة أنه : لا إله في الوجود إلا هو، وقد شهد بذلك قبل أن يشهد أحد من خلقه، وشهادة الله ﷻ ليست كشهادة مخلوقاته، وإن كانت تتضمن المعاني العامة للشهادة ؛ لكن شتان بين شهادة الله ﷻ وشهادة مخلوقاته، فشهادة الله ﷻ غير مقيّدة بزمان أو مكان، وهو شاهد للظاهر، والباطن معاً لجميع خلقه، شهادةً لا يدركها عقل، فالله ﷻ شاهد على ملايين البشر، وملايين الأحداث على مرّ الزمان، لا يغيب عنه شيء سبحانه .

---

[1] انظر بتصرف : رضا ، محمد رشيد الحسيني(ت: ١٣٥٤هـ) ، **تفسير القرآن الحكيم (المنار)**، (الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٤٠٠هـ) ، ج(٧) ، ص(٧٢٤) .

من خلال الآية الكريمة السابقة يمكنني استنباط المعاني الآتية :

أولاً : معنى شهادة الله ﷻ.

شهادة الله ﷻ هي: حضوره وعلمه وإعلامه وحكمه وقضاؤه[1] في أمر معيّن ، وأعظم ما شهد ﷻ به أنّه لا إله غيره ؛ ولا مستحق للعبادة سواه .

١. الحضور .

فالله ﷻ حاضر بعلمه في كل مكان ، وحاضر بآياته الكونية، وكل ما في الكون يدلّ على أنّ هناك إلهاً واحداً حاضراً بتدبيره ، يشهد على حسن صنعته ، وفق نظام دقيق ، غير قابل للتعطيل أو الفساد.

٢. العلم .

فشهادة الله سبحانه تعني علمه وإحاطته بحقائق الأمور، فالله هو العليم بما سيشهد علينا به يوم القيامة ، وهو العالم بما كان وبما سيكون ، وإلا كان الشاهد شاهداً بما لا علم له به ، وهذا محال على الله ﷻ[2].

٣. الإعلام .

يدور محور شهادة الله ﷻ حول الإعلام والتّبيين ؛ فالشاهد لا يكون شاهداً حتى يبين ما شهد به وكذلك الشهادة في حق الله ﷻ، فهو أعظم مَن أَعلَمَ وبيّن ما شهد به ، وإعلام الله –عز وجلّ – يكون بالقول وبالفعل ، فأمّا **إعلام القول** : فهو ما أرسل به رسله، وأنزل به كتبه ، على مرّ العصور والأزمان[3]، وأوحى في كتابه من آيات ناطقة بالتوحيد كسورة الإخلاص، وآية الكرسي، وقد أرسل رسوله جبريل عليه السلام من السماء السابعة بهذه الشهادة إلى من اصطفاهم من الرسل الكرام ، أنه لا معبود بحق سواه وأنّ الجميع عبيده .[4]

وأمّا **إعلام الفعل فينقسم إلى قسمين :**

الأول : يكون بنصب الأدلة الكونية الدّالة عليه، والآيات البيّنات في السماوات والأرض

---

[1] انظر بتصرف : ابن القيم ، **مدارج السالكين** ، ج(٣) ، ص(٤٥١).

[2] انظر بتصرف : الزجاجي ،**اشتقاق أسماء الله** ، ص (١٣٢) . وابن القيم ،**مدارج السالكين** ، ج(٣) ، ص(٤٥١– ٤٥٣) .

[3] انظر : ابن القيم ، **مدارج السالكين** ، ج(٣) ، ص(٤٥١ – ٤٥٣) .

[4] انظر : الزمخشري ، **الكشاف**، ج(١) ، ص(٣٧١) . وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج(٢) ، ص(٢٤) .

كخلق الإنسان في أحسن تقويم، وتسخير الأرض له، ورفع السماء بلا عمد، وحسن تدبيره للكون ؛ فهذا كلّه إعلام منه وشهادة بأنّه المستحقّ للعبادة .[1]

الثاني : ما أودعه الله ﷻ في الفطرة البشرية من الإيمان الفطري بوجود إله خالق لهذا الكون، والحاجة الفطرية إلى التديّن، وما هدى إليه العقول السليمة من تأييد هذا الشعور الفطري بالدلائل والبراهين . [2]

٤. الحُكم والقضاء .

إنّ من أهم معاني الشهادة في حق الله ﷻ هو الحكم والقضاء، فعندما يشهد الله على أمر ما فمعنى ذلك أنه قد حكم وقضى بما شهد به، بخلاف شهادة البشر التي ليس بالضرورة أن تلزم أحداً بتطبيق معانيها وأحكامها، لكنّ شهادة الله ﷻ تَحْكُمُ الإنسان بتطبيق ما حكم الله ﷻ به، فقد حكم الله ﷻ وقضى بأنه لا إله معه، وأنّ إلهية ما سواه هي أبطل الباطل، وإثباتها هو أظلم الظلم، وبناءً على ذلك فقد حكم أنّ من يشهد بشهادته يستحق جنته، ومن يخالفها يستوجب ناره[3]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾(النساء: ٤٨).

وشهادة الله ﷻ تقتضي حكمه بأنّ الدين الحق هو دين الإسلام الذي يدعو إلى توحيد الله ﷻ، وتقتضي حكمه بالإيمان بالملائكة والكتب والرسل– عليهم السلام – وسائر أركان الإيمان، فهو الذي أرسل رسله، وأنزل كتبه ليعلمنا بحقيقة ما حكم وقضى به .

وشهادة الله ﷻ تقتضي قيامه بالقسط ، كما قال ﷻ عن نفسه : ﴿قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ﴾، أي : لا يفعل إلا العدل[4]، والمتأمل في معنى الآية يتذوق جمال التعبير في كلام الله ﷻ، فلم يقل سبحانه عن نفسه (مقسطاً)، إنما قال ﷻ : ﴿قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ﴾فكلمة (قائماً) مأخوذة من القيام، وهو الحرص والمواظبة، وهو أبلغ في التعبير عن عدل الله ﷻ، والقسط هو العدل، ويطلق أيضاً على

---

[1] انظر بتصرف : ابن القيم ، **مدارج السالكين**، ج(٣) ، ص(٤٥٣). ورضا ، **تفسير القرآن الحكيم (المنار)**، ج(٧) ، ص(٧٢٤) .

[2] انظر بتصرف : رضا ،**تفسير القرآن الحكيم (المنار)**، ج(٧) ، ص(٧٢٤) .

[3] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٤) ، ص(٤٢).

انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٤) ، ص(٤٢). وابن القيم ، **مدارج السالكين**،ج(٣) ، ص(٤٥٤).

[4] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج(٣) ، ص(١٨٧) و (٢٨٧) .

الميزان الدقيق[1]، قال الإمام ابن القيم– رحمه الله : شهد الله ﷻ متكلماً بالعدل مخبراً به، آمراً به، فاعلاً له، مجازياً به أنه لا إله إلا هو، فإنّ العدل يكون بالقول وبالفعل، والمقسط هو العادل، وقد تحقق ذلك في أعدل شهادة وأبعدها عن الظلم، من أعدل شاهد، وإن العدل يتضمن جزاء المخلصين بهذه الشهادة الجنة، و جزاء الجاحدين بها النار، وهذا من تمام العدل[2]، ويتجلى عدل الله ﷻ في تقسيم الأرزاق ، والآجال ، وفي شرائع الدين التي تقوم على العدل، ويبنى عليها الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة [3].

ثانياً : أهميّة شهادة الله ﷻ .

فهي شهادة من الله لله ، وهي أعظم شهادة من أعظم شاهد، بأجلّ مشهود به، وبها بُعثت الأنبياء والرسل، وهي أعدل الشهادات على الإطلاق، وإنكارها وجحودها أعظم الظلم على الإطلاق ؛ فلا أعدل من التوحيد ولا أظلم من الشرك، وقد جعل الثواب والعقاب عليها، وجعل الأمر والنهي من حقوقها وواجباتها ؛ فالدين كله من حقوقها، والثواب كله عليها، والعقاب كله على تركها، وخلق السموات والأرض وما بينهما كان بها ولأجلها، وهي الحق الذي خلقت به، وضدها هو الباطل والعبث الذي نزه نفسه عنه . [4]

ثالثاً : اقتران شهادة الله ﷻ بشهادة الملائكة ، وأُولي العلم .

الله ﷻ غير محتاج لشهادة أحد من خلقه، لكنه سبحانه أورد شهادة الملائكة عليهم السلام وأُولي العلم من باب استحقاقهم هم بالذات لنيل شرف الشهادة معه سبحانه ، ومن باب إثبات أهميّة هذه الشهادة بتعدد الشهود[5]، وسيأتي تفصيل ذلك في شهادة الملائكة وأولي العلم إن شاء الله ﷻ.

---

[1] ابن منظور ، **لسان العرب**، ج(٦) ، ص(١٧٦) . وابن القيم ، **مدارج السالكين**، ج(٣) ، ص(٤٥٥) .

[2] انظر : ابن القيم ،**مدارج السالكين**، ج(٣) ، ص(٤٥٥– ٤٥٨) .

[3] انظر : االزمخشري، **الكشاف**، ج(١) ، ص(٣٧٢) .

[4] انظر : ابن القيم ،**مدارج السالكين**،ج(٣) ، ص(٤٥٠) .

[5] انظر : القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** ،ج(٤) ، ص(٤١) . وابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(٦) ، ص(٤٤) .

الفرع الثاني : الشهادة في كلام الله ﷻ .

ورد ذلك من خلال قوله تعالى :﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾(هود :١٧) .

اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية السابقة على عدّة أقوال ، ويعود سبب ذلك ؛ لاختلافهم في مرجعية الضمائر فيها من جهة، واحتمال معنى كلمة " يتلوه" من جهة أخرى، هل هو من (التلو) بمعنى : الإتباع والتأييد، أم هو من (التلاوة) بمعنى القراءة .[١]

وللتعرّف على تفسير الآية لا بدّ من ذكر أهم الأقوال التي ذكرها العلماء في تفسير الشاهد :

القول الأول : قوله تعالى ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾البيّنة هي : ما تَبيَن به الحق من العقل أو النقل[٢]، وصاحب البيّنة هو النبيﷺ،﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ أي جبريلعليه السلام، وعلى هذا يكون يتلوه بمعنى يقرؤه، أي يقرؤه جبريلعليه السلام على النبي ﷺكما قرأ على موسى عليه السلامن قبل ؛ وهو قول ابن عباس وعكرمة [٣]– رضي الله عنهما .[٤]

القول الثاني : صاحب البيّنة هو النبي ﷺ، والشاهد هو ملك من الله ﷻ يحفظه ويسدده، وهو قول مجاهد .[٥]

القول الثالث : صاحب البيّنة هو النبي ﷺ ، والشاهد هو : علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد قال الإمام ابن كثير – رحمه الله : هذا القول ضعيف ليس عليه دليل .[٦]

---

[١]انظر : مرتضى الزبيدي ، محمد بن محمد (ت: ١٢٠٥هـ) ، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق : مجموعة من المحققين ، (دار الهداية) ، (٣٧) ، ص(٢٤٩) .

[٢] رضا ، **تفسير (المنار)**، ج(١٢) ، ص(٤٣) .

[٣]**عكرمة بن عبد الله** ، البربري الأصل ، كان عبداً لحصين بن أبي الحر ؛ فوهبه لعبد الله بن عباس ﷺ، فلقب بعكرمة مولى ابن عباس ، تعلم العلم من ابن عباس ﷺ؛ وروى عنه الحديث ؛ فصار مشهوراً بعلمه ، وفقهه بسبب ملازمته لسيده توفي سنة (١٠٧هـ) . انظر : الذهبي ،**سير أعلام النبلاء**، ج(٥) ، ص(١٣-٢٣) .

[٤]انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٩) ، ص(١٦) .

[٥]انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٩) ، ص(١٦) .

[٦]انظر : ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم**، (٤)، ص(٣١٢) .

القول الرابع : صاحب البيّنة هو المؤمن الذي يكون على الفطرة السليمة، وجاءه شاهد من الله ﷻ وهي الشرائع التي أوحاها الله ﷻ للأنبياء – عليهم السلام .[1]

القول الخامس : صاحب البيّنة هو النبي ﷺ والمؤمنون، والشاهد الذي يتلوه هو القرآن، ويتلوه بمعنى يؤيده ويقويه، ومن قبل القرآن كتاب موسى عليه السلام إماماً ورحمة .[2]

القول السادس : صاحب البيّنة هو وصف لمن آمن من أهل الكتاب ؛ أمثال ورقة بن نوفل[3]، وعبد الله بن سلام[4]– رضي الله عنهما –، والبينة هي دليل العقل أنّ الإسلام هو الدين الحق، ويتلو ذلك الدليل، أي يتبعه ويؤيّده شاهد من الله ﷻ وهو القرآن، ومن قبل القرآن كتاب موسى عليه السلام وهو التوراة إماماً ورحمة .[5]

وهذا هو القول الراجح عندي ؛ وبه قال الإمام الزمخشري، وابن عاشور[6]– رحمهما الله – وهو الأقرب إلى معنى الآية، ويمكن الجمع بينه وبين القول الرابع ؛ إذ لا تعارض بينهما وذلك لأن المقصود من أهل الكتاب ؛ المؤمنون منهم، ودليل العقل لا يتعارض مع دليل الفطرة .

---

[1] انظر : ابن كثير ،**تفسير القرآن العظيم**، (٤)، ص(٣١٢) .

[2] انظر : طنطاوي محمد سيد ، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، ط(١) ، (دار نهضة مصر) ، ج(٧) ، ص(١٧٩).

[3] **ورقة بن نوفل بن أسد القريشي** : ابن عمّ خديجة – رضي الله عنهما – وهو الذي أتته لمّا نزل الوحي على النبي ﷺ ؛ فبشرها بنبوّته ، وكان ورقة ممن بقي على دين التوحيد وعلى حنيفية إبراهيم – عليه السلام ، توفي بعد بعثة النبي – صلى الله عليه وسلم – بأربع سنوات . انظر : النووي ، محيي الدين بن شرف(ت: ٦٧٦هـ) ، **تهذيب الأسماء واللغات**، تعليق : مجموعة من العلماء ، (دار الكتب العلمية – بيروت) ، ج(٢) ، ص(١٤٣)

[4] **الصحابي عبد الله بن سلام بن الحارث** رضي الله عنه، كان من أحبار بني إسرائيل ثمّ أسلم وقت هجرة النبي ﷺ إلى المدينة ، شهد فتح القدس ، وتوفي في المدينة سنة (٤٣)هـ . انظر : الذهبي ، **سير أعلام النبلاء**، ج(٢) ، ص(٤١٤) .

[5] انظر: الزمخشري ،**الكشاف**، ج(٢) ، ص(٣٥٦) . وابن عاشور ،**التحرير والتنوير** ، ج(١٢) ، ص(٢٧).

[6] **محمد الطاهر بن عاشور** : أحد كبار علماء ومفسري تونس في عهد الباي محمد الصادق باشا ، ولي قضاء تونس عام (١٢٦٧هـ) ، ثم الفتيا عام (١٢٧٧هـ) ، له عدّة مؤلفات أشهرها تفسيره للقرآن :" التحرير والتنوير "توفي سنة(١٢٨٤هـ). انظر : الزركلي ، خير الدين بن محمود (ت: ١٣٩٦هـ) ،**الأعلام** ، ط(٥) ، (دار العلم للملايين : ١٤٢٢هـ) ، ج(٦) ، ص(١٧٣) .

وفي هذه الآية توبيخ غير مباشر للمشركين، وثناء على من أسلم من أهل الكتاب ؛ ممن كانوا على بيّنة من ربهم قبل مجيء الإسلام، ثم اتّبعوا الشاهد العظيم ؛ هل يستوي حالهم، وحال من لم يقبل الإيمان من أهل الشرك .[1]

وقد يسأل سائل **كيف يمكن أن يكون القرآن شاهداً ؟؟**

يمكن أن يكون القرآن شاهداً من خلال ما يأتي :

١. القرآن يشهد لذاته أنه وحي من الله ﷻ، من خلال إعجازه ، ولا يقبل المعارضة من أحد .[2]

٢. القرآن يشهد بنبوّة محمد ﷺ، وبصحّة الوحي الذي نزل عليه .[3]

٣. القرآن يشهد بصحة ما أدركه العقل والفطرة من برهان[4]، فهو يوصل الباحث عن الحقيقة إلى بر الأمان، والهدوء النفسي .

٤. القرآن يشهد بصحة ما جاء به الأنبياء السابقون من كتب سماوية وشرائع ربانية، ويشهد لمن آمن به من أهل تلك الكتب .

٥. تكون شهادة القرآن بتأييده لأصحاب الحق من المؤمنين في كل زمان ومكان، وهو الذي سيشهد لهم يوم القيامة بحسن اتّباعهم لما جاء فيه .

---

[1] انظر : ابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(١٢) ، ص(٢٨) .

[2] انظر : سيد قطب ،**في ظلال القرآن**،ج(١٢) ، ص(١٨٦٤) .

[3] انظر : الشاذلي أحمد بن محمد (١٢٢٤هـ)،**البحر المديدفي تفسير القرآن المجيد**، ط(٢)،(دار الكتب العلمية :١٤٢٣هـ) ، ج(٣) ، ص(٢٧٩) .

[4] انظر بتصرف : ابن كثير ،**تفسير القرآن العظيم**، (٤)، ص(٣١٢) .

الفرع الثالث : شهادة الله ﷻ على خلقه .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ **شُهُودًا** إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾(يونس :٦١) .

في هذه الآية العظيمة يذكرنا الله – تبارك وتعالى– بسعة علمه واطلاعه على خلقه، في جميع أحوالهم وأوقاتهم؛ حيث يخاطب الله– تعالى – المكلّفين منهم ؛ ويبدأ بأشرف خلقه محمد ﷺ بخطاب خاص به ؛ فيخبر الله ﷻ فيه النبي ﷺ أنه مهما يكون منشغلا في أمر من الأمور، وكل أمور النبي ﷺ عظيمة ؛ مثل الدعوة والتبليغ والعبادة وحتى مجالسة الأهل ؛ وتلاوة شيء من القرآن إلا كان شاهدا عليه . [1]

ثم يتحول الخطاب بعد ذلك إلى المكلفين من خلقه ؛ فيخبرهم أنهم لا يعملون من عمل صغير أو كبير إلا كان الله ﷻ شاهدا عليهم، أي مطّلعاً عليهم مراقباً لهم في كل أوقاتهم قبل أن يعملوه وذلك في اللوح المحفوظ ، وحين يعملونه ؛ بتفاصيله الصغيرة والكبيرة حين يتدافعون ويخوضون فيه، فيكون معهم شاهداً وحاضراً بعظمته وهيبته في كل لحظة تمرّ عليهم وهم يعملون الأعمال الحسنة فيرضى عنهم ويكتب لهم أجره، أو يعملون الأعمال السيئة فيحصيها عليهم ويكتب لهم وزرها. [2]

وقد خصّ الله – تعالى – تلاوة القرآن بالذكر لمّا ذكر شأن النبي مع أنه داخل في عموم شأنه وهذا يدل على أنه من أشرف الأعمال التي يحبّها الله ﷻ من عمل النبي ﷺ[3]، وقد بين الله ﷻ في هذه الآية شهادته لعمل النبي ﷺ في خطاب مستقل عن أمّته في قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾ ؛ وهذا فيه تعريض ومدح للرسول ﷺ بأنه قائم بتبليغ أمر الله

---

[1] انظر : الرازي ،**التفسير الكبير**، ج(١٧) ، ص(٢٧٥) . وأبو حيان ،**البحر المحيط**، ج(٥) ، ص(١٧١).

[2] انظر بتصرف : أبو حيان ،**البحر المحيط**، ج(٥) ، ص(١٧١– ١٧٢) . وسيد قطب ، **في ظلال القرآن**، ج(١١) ، ص(١٨٠٣) .

[3] انظر : أبو حيان، **البحر المحيط** ، ج(٥) ، ص(١٧١) .

– تعالى–[1]وأنّه لا يفعل إلا الأمور العظيمة ؛ لأنّ (الشأن) هو الأمر العظيم، وليس التافه[2]، ثمّ بيّن بعد ذلك شهادته لأمّته في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ﴾ وهذا خطاب عام يدخل فيه الطاعات والمنكرات، بدليل قوله تعالى : ﴿إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾لأنّ الإفاضة معناها التدافع والاختلاط بكثرة ، وهي مظنّة وجود الخطأ والباطل[3]، ومن يتمعّن في هذه الكلمة يستشعر أنه في قلب الحدث ؛ كأنّ القارئ يسمع أصوات الغافلين – غير المنتظمة ؛ وهم يخوضون ويتدافعون في المنكرات، وهذه اللقطة تزيد من استشعار عظمة الشاهد الذي يسمع أصواتهم، ويفصّل شهادته لنا في كلّ لقطة ومقطع من شريط أعمالنا ، واستخدام أسلوب الحصر في الآية ؛ يدلّ على أن كل لحظة من حياتنا واقعة تحت شهادة الله ﷻ علينا، لذلك على المرء أن يستشعر ذلك ؛ فلا يطلع الله ﷻ عليه وهو على معصية، والمتمعّن في لفظة " شهوداً " يلحظ تناسبها مع سياق الآية ، فالشهادة تتضمن الحضور مع المشاهدة الحسيّة للحدث في الزمان والمكان نفسه، وهذا يتناسب مع (تعملون) و (تفيضون).

وقد استخدمت لفظة " شهوداً" بصيغة الجمع للدلالة على تعظيم ذلك الشاهد، ولتناسبها مع خطاب الجمع [4]، وهو الموضع الوحيد الذي جُمعت فيه بهذه الصيغة كصفة لله – تعالى.

---

[1]انظر : الشعراوي ، محمد متولي (١٤١٨هـ) ،**الخواطر**، (مطابع أخبار اليوم : ١٤١٧هـ) ، ج(١٠) ، ص(٦٠١٣).

[2]انظر : الراغب ،**المفردات في غريب القرآن**، ص(٤٧٠) . والشعراوي ، **الخواطر** ، ج(١٠) ، ص(٦٠١٢).

[3]انظر : الجوهري ،**الصحاح**، ج(٣) ، ص(١٠٩٩). وأبو حيان ،**البحر المحيط**، ج(٥) ، ص(١٧١– ١٧٢) . والآلوسي ، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم**، ج(٥) ، ص(١٣٥–١٣٦) . وابن عاشور ،**التحرير والتنوير** : ج(١١) ، ص(٢١١) .

[4]انظر : ابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(١١) ، ص(٢١٣) .

الفرع الرابع : شهادة الله ﷻ لأنبيائه – عليهم السلام.

وردت شهادة الله ﷻ بصريح لفظ " الشهادة " في القرآن الكريم في حق ثلاثة أنبياء بشكل خاص،وهم : نبي الله محمد ﷺ، والنبيين الكريمين داوود، وسليمان – عليهما السلام –، ووردت كذلك شهادة الله ﷻ مع أنبيائه جميعاً على الإيمان والنّصرة لبعضهم البعض ، ولكن دون تخصيص لأشخاصهم، وسيأتي تفصيل ذلك في هذا الفرع .

أولاً : شهادة الله ﷻ مع أنبيائه على الإيمان، والنّصرة لبعضهم .

وردت هذه الشهادة من خلال قوله تعالى :﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ آل عمران : ٨١) .

في هذه الآية قرن الله – تعالى– شهادته بشهادة النبيين جميعاً ؛ من لدن آدم إلى عهد عيسى – عليهما السلام ؛ وذلك عندما أخذ الميثاق عليهم ؛ بعدما ذكّرهم بما أعطاهم من كتب سماوية، وبلغوا فيها أيّما مبلغ من العلم والحكمة، لئن بعث الله – تعالى – رسولاً في زمانهم بشريعة غير شريعتهم، ليؤمنّ به ويتبعنّ شريعته الجديدة .[1]

ولم يقبل الله – تعالى– منهم مجرّد الإيمان بالرسول الجديد فحسب ؛ وإنما أمرهم بنصرته أيضا والدّفاع عنه، فكان العهد عبارة عن شيئين اثنين: الإيمان والنُّصرة، وكذلك أمر الأنبياء بأن يأخذوا العهد على أقوامهم بذلك، كما أخذه الله – تعالى– عليهم وقبلوه منه، ولو فرضنا أنّ الأنبياء – عليهم السلام – كلّهم أحياء مكلفون في زمن رسول الله ﷺ لكانوا كلهم أتباعاً له وتحت إمرته بسبب هذا العهد .[2]

---

[1] انظر بتصرف : ابن كثير ،**تفسير القرآن العظيم** ، ج(٢) ، ص(٦٧) . والخالدي ، صلاح عبد الفتّاح ،**(محاضرة فقه تأويل القرآن)** ، (الحلقة ٤٦ ، سورة آل عمران ، الآيتان ٨١ –٨٢) ، تاريخ النشر : ١٣ –٧ – ١٤٣٦هـ ٢١– ٥ – ٢٠١٥م . https://www.youtube.com/watch?v=KRPHU٢Oizi٠

[2] انظر : المراجع السابقة

وتنبع أهميّة هذا العهد من خلال عدّة أمور :

١. أنّ الله ﷻ قد شهد عليه، فالله ﷻ لا يشهد إلا على عظيم .[١]

٢. أنّ الله ﷻ أكّد العهد بأن أوقف الأنبياء موقف السؤال، فبعدما أخذ العهد عليهم بالإيمان والنصرة لمن يعاصرونهم من غيرهم من الأنبياء، زاد الله العظيم في التأكيد عليهم، فقال لهم (أأقررتم)، أي هل أنتم مقرون ومعترفون بأنكم ثابتون على هذا العهد ؟؟؟ .[٢]

ثم أكدّ سبحانه هذا السؤال بسؤال آخر؛ فقال لهم هل :﴿أَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ والإصر هو العهد العظيم[٣]،أي : هل قبلتم هذا العهد الذي هو حِمل ثقيل ليس بالهيّن القيام به ؟ فكانت إجابتهم – عليهم السلام :(أَقْرَرْنَا) أي اعترفنا بهذا العهد ؛ وقبلنا القيام به، وهذه الأسئلة تدل على أهميّة العهد .[٤]

٣. أنّ الله ﷻ أوقفهم موقف الشهادة بعدما أقرّوا العهد، فقال لهم (فاشهدوا)،أي إذا تمّ هذا الميثاق (اشهدوا)، وذلك زيادة في التأكيد عليهم .[٥]

٤. الإشارة إلى هذا العهد باسم الإشارة (ذلكم)، وهو اسم إشارة للبعيد، واستخدام "ميم" الجمع في هذا الاسم، وهذا يدل على تعظيم هذا العهد .[٦]

٥. معية الله ﷻ لأنبيائه في الشهادة على هذا العهد، لم يكتف الله العظيم بشهادة الرسل الكرام، مع أنّ شهادتهم –عليهم السلام – عظيمة لا تحتاج إلى توكيد ؛ بل تكرّم عليهم بمعيّته ؛ وقال

---

[١]انظر : الخالدي ،**(محاضرة فقه تأويل القرآن)**،(الحلقة ٤٦ ،سورة آل عمران الآيتان ٨١ –٨٢)
https://www.youtube.com/watch?v=KRPHU٢Oizi٠.

[٢]انظر : المرجع السابق .

[٣]انظر : الجوهري ، **الصحاح** ، ج(٢) ، ص(٥٧٩) .

[٤]انظر : الخالدي ،**(محاضرة فقه تأويل القرآن)**،(الحلقة ٤٦ ،سورة آل عمران الآيتان ٨١ –٨٢)
https://www.youtube.com/watch?v=KRPHU٢Oizi٠.

[٥]انظر: البقاعي ، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** ، ج(٢) ، ص(١١٩) . والخالدي ،(**محاضرة فقه تأويل القرآن)**،(الحلقة ٤٦ من سورة آل عمران ، الآيتان ٨١ –٨٢)
https://www.youtube.com/watch?v=KRPHU٢Oizi٠.

[٦]انظر : البقاعي ،**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** ، ج(٢) ، ص(١١٩) .

لهم: ﴿ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾، وهذا يدل على أنّ الأمر خطير[1] يقتضي شهادة الجليل مع شهادة الأنبياء العظماء لا انتقاصاً من شهادتهم ولكن ليعلم السامع أنّ هذا الميثاق مهم لا يمكن الاستهانة به أبداً، وهو الإيمان والنصرة للأنبياء الجدد .

من يقرأ الآية السابقة لابدّ أن يسأل لماذا التأكيد على هذا العهد ؟؟

لقد أكّد الله –سبحانه– هذا العهد : ليعلم الناس أنّ موكب الإيمان سيبقى متآزرا ومتلاحما ، فلا يأتي رسول برسالة من السماء ليصادم رسولاً آخر ؛ لأنّ المصادمة لا تكون إلا لمن لا يؤمنون برسالة السماء[2]، وليعلم أهل الكتاب خاصة ؛ أنّه لا تعارض بين الرسالات السماوية ؛ فبعضها يتمم بعض ؛ وهي مبنيّة على المولاة من أول نبي إلى آخر نبي ؛ وهي أبعد كل البعد عن التعصب لنبي معيّن كما يدّعي أهل الكتاب .

وهذه الشهادة العظيمة من العظيم الجليل تشهد على قاعدة عظيمة ؛ وهي : أنّ**(الدين عند الله الإسلام)** وهي حجّة دامغة على اليهود والنصارى الذين تولوا عنها، وعن شهادة أنبيائهم ؛ فلم يؤمنوا، ولم ينصروا النبي محمد ﷺ، ولم يقرّوا ولم يقبلوا الإصر ؛ فلذلك وصفهم الله –تعالى– بأنهم الفاسقون .

---

[1] انظر: البقاعي ، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** ، ج(٢) ، ص(١١٩) . والخالدي ،**(محاضرة فقه تأويل القرآن)** ،(الحلقة ٤٦ ،سورة آل عمران ، الآيتان ٨١ – ٨٢). https://www.youtube.com/watch?v=KRPHU٢Oizi٠

[2] انظر بتصرف : **الشعراوي**، الخواطر ، ج(٣) ، ص(١٥٧٥) .

ثانياً : شهادة الله ﷻ لنبيّه محمد ﷺ بالرسالة .

شهد الله ﷻ لرسوله محمدﷺ في كتابه العزير بصريح لفظ الشهادة، من خلال آيات عديدة، سيأتي تفصيلها في هذا الفرع، وتنقسم شهادة الله ﷻ لرسوله ﷺ إلى ثلاثة أنواع[1] :

الأول : ما أخبر الله –تعالى- به في كتابه، إمّا بصريح لفظة الشهادة كقوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ ﴾(الرعد: ٤٣)، أو من غير تصريح بلفظة الشهادة، كقوله تعالى:﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ ﴾(الفتح : ٢٩) .

الثاني : ما أيّد الله ﷻ به نبيه من معجزات كثيرة ؛ أعظمها القرآن الكريم .

الثالث : من خلال ما أنزله ﷻ في الكتب السابقة على أنبيائه – عليهم السلام، وبشارة الرسل الأولين به .

وسأتحدث في هذا الفرع عن شهادة الله ﷻ لنبيه ﷺ بصريح لفظة الشهادة كما هو منهجي في جميع الرسالة .

ذُكرت شهادة الله لنبيّه محمد ﷺ بالرسالة في آيات عديدة ؛ من أهمها ما ذكره الله ﷻ في سورة الأنعام : ﴿ قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ١٩ ﴾(الأنعام : ١٩).

في هذه الآية يقول الله –تعالى– بما معناه : قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يخاصمونك فيما تدعو إليه، واسألهم : أي شيء في هذا الوجود يشهد لك ؛ بحيث تكون شهادته أقوى ؛ وأعدل الشهادات، وتُقبل شهادته ولا ترد ؟؟؟ ثم أمره أن يجيبهم عن هذا السؤال بالحقيقة التي لا يمارى فيها عاقل، بأنّ الله ﷻ هو الشهيد بينه وبينهم، وهذا يعني أنّه لا شيء أكبر من شهادة الله ﷻ، فهي أكبر وأصدق وأعدل شهادة ، لأنها شهادة من يستحيل عليه الكذب أو الخطأ ؛ فلماذا تعرضون عن دعوتي ، وتنحرفون عن الطريق المستقيم؟ . [2]

---

[1] انظر بتصرف : رضا ،**المنار**، ج(٧) ، ص(٢٨٤) .

[2] انظر : ابن عاشور ،**التحرير والتنوير** ج(٧) ، ص(١٦٦) . وطنطاوي ، **الوسيط** ،ج(٥) ، ص(٥٢).

والشيء هو : سِمة لكل موجود وهو الأمر الذي يُعلم [1]؛ ويجري عليه الإخبار سواء كان موجوداً أو صفة موجود أو معنى يُتعقّل ويُتحاور فيه، وقد ناسبت هذه اللفظة شهادة الله – تعالى– لنبيه لأنها تفيد الشمول والإحاطة والاستقصاء وتدل على أكبر شهادة من الله ﷻ لرسولهﷺ .[2]

وصُدّرت الآية الكريمة ب (قل) وبصيغة الاستفهام(أي) تنبيهاً إلى جلال الشاهد ، وإلى سلامة دعوى النبي ﷺ ولكي تثير تفكير المعرضين؛ و يدركوا ما فيها من حق وما هم فيه من ضلال[3] فالله ﷻ هو الشهيد بينهم وبين نبيّه، وأعظم دليل على شهادة الله ﷻ لنبيّه أنه أوحى إليه القرآن، فقد قال سبحانه في نفس الآية :﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾،أي والقرآن شاهد بنبوتي،﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾ يا أهل مكة ،﴿وَمَنۢ بَلَغَ﴾، أي ومن بلغه القرآن . [4]

وقد وردت شهادة الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ بصيغة المبالغة (شهيد)، وذلك للمبالغة في التعظيم، فقد شهد الله ﷻ لنبيه بالرسالة ؛ التي هي عماد الدين وعليها أمر الدنيا والآخرة .

وجملة (أكبر شهادة)، كأنها لوحة فنية ، وفيها من الجمال والقوة ، بحيث تلفت الانتباه إليها، ولم يرد هذا التعبير إلا في هذا الموضع من كتاب الله ﷻ، فكأنّها أكبر شهادة من الخالق للمخلوق، وأكبر دفاع من الله ﷻ عن نبيه بأنّه صادق .

ووردت شهادة الله– تعالى – لنبيّه بالرسالة في آية أخرى ؛ وهي قوله تعالى :﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾(النساء :١٦٦)

وهذه الآية مرتبطة بما قبلها من الآيات[5]والتي تتحدث عن رفض أهل الكتاب الإيمان بالنبيﷺ، واشتراطهم عليه بأن ينزّل عليهم كتاباً من السماء، كسابق عهدهم، وهذه شهادة ضمنية منهم بعدم نبوته .[6]

---

[1] البيهقي أحمد بن الحسين(ت: ٤٥٨هـ) ، **شعب الإيمان**، تحقيق : محمد زغلول ، (٧)ج ، ط(١) ، (دار الكتب العلمية – بيروت : ١٤١٠هـ) ، ج(١) ، ص(١٣٦). وابن منظور ، **لسان العرب** ،ج(١) ، ص(١٠٣).

[2] انظر :ابن عاشور، **التحرير والتنوير** ،ج(٧) ، ص(١٦٦) . وطنطاوي ،**الوسيط**، ج(٥) ، ص(٥٢) .

[3] انظر : طنطاوي ،**الوسيط** ، ج(٥) ، ص(٥٢) .

[4] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٦) ، ص(٣٩٩) .

[5] انظر: سورة النساء ، الآية (١٥٣) .

[6] انظر : ابن كثير ،**تفسير القرآن العظيم**، ج(٢) ، ص(٤٤٦) .

ونلحظ أنّ هذه الآية التي شهد الله فيها لنبيّه ﷺ بالرسالة ؛ بدأت بحرف الاستدراك (لكن) لإثارة السامع ؛ ولمعرفة ما حُذف من الكلام المُستدرك؛ فلم يقل سبحانه (الله يشهد بما أنزل إليك) ولكن قال :﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ﴾؛ أي : **لم يشهد أهلُ الكتاب لك، لكن الله ﷻ شهد وشهادته خير من شهادتهم، فلا تحزن لعدم إيمانهم وشهادتهم** .[1]

وفي هذه الآية تفصيل لشهادة الله ﷻ **وهو، أنّ الله يشهد بإنزال ما أنزله إليك بعلمه، فهي شهادة أخرى من الله ﷻ تحتاج إلى وقفة أخرى معها وتأمّل جديد** .[2]

لقد أكد الله ﷻ وشهد في هذه الآية أنه أنزل هذا الوحي بعلمه ، وفي هذا عدّة معانٍ :

الأول : أنّ الله ﷻ أنزل هذا الكتاب وهو القرآن الذي فيه علمه الذي أراد أن يطّلع العباد عليه، فيه من البينات والهدى والفرقان وما يحبه الله ويرضاه، وما يكرهه ويأباه، وما فيه من العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل، وفيه أعظم تشريع تحتاج إليه البشرية .[3]

الثاني : أنّ الله أنزله بواسطة جبريل عليه السلام الذي يعلم أنه أمين عليه، وأنه خير مَلَك إلى خير رسول .

الثالث : أي أنزله بعلمه وهو يعلم أنك يا محمد أهل للاصطفاء والإرسال والتبليغ ؛ فقد اختارك من بين جميع الخلق بعلمه وحكمته .[4]

الرابع : أنزله بعلمه على آخر أمة، وخير أمّة ؛ حيث اصطفى لها خير كتاب وخير رسول ؛ واختار له خير صحبة ممن عاصروه ﷺ وأعانوه وبلّغوا عنه، وخير أحباب ممن لم يروه لكنهم آمنوا به واتبعوه بإحسان، وجاهدوا في الدفاع عن دينه .

وهذه المعاني الأربعة تدل على أنّه لم ينزل عبثاً وإنما **نزل** متلبساً بعلم الله الخبير[5]، ولم ينزل إلا على خير البشر المستحق لهذا الشرف .

---

[1] انظر : ابن عاشور، **التحرير والتنوير**،ج(٦) ، ص(٤٤) .

[2] انظر ابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(٦) ص(٤٥) .

[3] انظر : ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم**، ج(٢) ، ص(٤٧٦) . والجزائري ، أبو بكر جابر بن موسى(ت : ١٤٣٩هـ) ، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، ط(٥) ، (مكتبة العلوم والحكم : ١٤٢٤هـ) ، ج(١) ، ص(٥٧٦) .

[4] انظر : الزمخشري ،**الكشاف**، ج(١) ، ص(٦٥٢) . والقرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٦) ، ص(١٩) .

[5] انظر : الزمخشري ،**الكشاف** ، ج(١) ، ص(٦٢٥) .

﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ﴾مع شهادة الله ﷻ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾على ذلك[1] .

وفي هذه الآيات السابقة تسلية للنبي ﷺ، وإدخال للطمأنينة على قلبه أي: وإن كفر بك من كفر به ممن كذبك وخالفك ، فالله ﷻ يشهد لك بأنك رسوله الذي أنزل عليه الكتاب، ولن يضرك تكذيب من كذبك .[2]

[1] انظر : الزمخشري ،**الكشاف** ، ج(١) ، ص(٦٢٥) .

[2] انظر : ابن كثير ،**تفسير القرآن العظيم**، ج(٢) ، ص(٤٧٦) . والسعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، تحقيق : عبد الرحمن اللويحق ، ط(١) ، (مؤسسة الرسالة : ١٤٢٠هـ) ،ج(١) ، ص(٢١٥) .

ثالثاً : شهادة الله لحكم النَّبِيَّينِ الكريمَين داوود وسليمان – عليهما السلام .

يصف الله – عزّ وجل – مشهداً قضائيا دار في مجلس النبيَّين داوود وسليمان –عليهما السلام – عندما حكما في قضية تخصّ صاحب زرع ، أفسدت أغنام جاره مزروعاته، حيث يقول الله تعالى:﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ٧٩ ﴾(الأنبياء: ٧٨ –٧٩) وقد أخرج ابن جرير الطبري عن ابن عباس– رضي الله عنهما– أنّه قال : ((...أنَّ رجلينِ دَخلَا على دَاوودعليه السلام : أَحَدُهُما صَاحِبَ حَرْثٍ،والآخرُ صَاحِب غَنَم، فقالَ صَاحبُ الْحَرْثِ : إِنَّ هَذا أَرْسَلَ غَنَمَهُ فِي حَرْثِي فَلَمْ تُبقِ مِنْ حَرْثِي شَيْئَاً ؛ فَقَالَ لَهُ دَاود عليه السلام: إِذْهَبْ فإنَّ الْغَنَم كلّها لَك، فَقَضَى بِذَلك دَاوودعليه السلام، ومَرَّ صَاحبُ الْغَنَمِ بِسُلَيمانعليه السلام فَأَخْبَرَهُ بِالذي قَضَى به داوودعليه السلام،فَدَخَلَ سُلَيْمانعليه السلامعلى دَاوودعليه السلام فَقالَ : يا نَبِيَّ اللهِ إِنَّ الْقَضَاءَ سِوَى الْذي قَضَيْتَ، فَقالَ : كَيفَ ؟ قَالَ سُلَيْمانعليه السلام: إِنَّ الْحَرثَ لا يَخْفَى عَلى صَاحِبِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ فِيْ كُلِّ عَامٍ، فَلَهُ مِنْ صَاحِبِ الْغَنَمِ أَنْ يَنْتَفِعَ مِنْ أَوْلادِها وأَصْوَافِهَا وأَشْعَارِهَا حَتّى يَسْتَوفِيَ ثَمَنَ الْحَرْثِ فَإِنَّ الْغَنَمَ لها نَسلٌ كلّ عَامٍ، فَقَالَ دَاوود عليه السلام : قَدْأَصَبتَ،القَضاءُ كَما قَضَيْتَ)) .[1]

يتبيّن مما سبق أنّ داوود – عليه السلام – قد حكم برأيه بدايةً بين الرجلين، ثمّ بعد ذلك نزل على رأي ابنه سليمان – عليه السلام – لأنّه هو الأصوب والأعدل .

وقد ذكر الله ﷻ شهادته لحكمهما في جملة معترضة لبقيّة القصة، فقال :﴿ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ﴾وذلك للفت الانتباه لشمول علمه سبحانه، فهو معهما شاهد حين استمع كل منهما للمتخاصمين، وحين حكما لهما، فالله ﷻعالم حاضر بعلمه لا يغيب عنه شيء مما حدث في مجلسيهما[2]، والذي يتمعن في هذه الجملة يشعر أنّ الزمان يطوى به لينتقل إلى أحداث هذه القصة، فيجعل القارئ يتشوّق لمعرفة ما حكما به، وكيف نزل الأب على رأي ابنه لأنه الأصوب

---

[1] أخرجه : الطبري ،**جامع البيان**، ج(١٨) ، ص(٤٧٦) . والسيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال(ت:٩١١هـ) ،**الدّر المنثور**، (دار الفكر– بيروت : ١٤٠٣هـ) ، ج(٥) ، ص(٦٤٦) .

[2] **انظر** : البغوي ، حسين بن مسعود (ت: ٥١٠ هـ) ،**معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق : مسلم الحرش ، ج(٥) ، ص (٣٢٢) . والبيضاوي ،**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**،ج(٤) ، ص(٥٧) .

والأعدل، ولم تمنعه مكانته، من قبول الحق أينما كان، لذلك بيّن الله ﷻ أنه شاهد لحكمهما، راض عنهما، وقد ذكر الله ﷻ شهادته لحكمهما على صيغة الجمع (شاهدين)، ولم يقل : (وكان الله لحكمهما شاهد) وذلك للتعظيم، وقد ذُكرت صيغة (شاهدين) كصفة لله – تعالى – في موضعين اثنين في القرآن الكريم ؛ الأول :عندما أخذ الله – تعالى – الميثاق على أنبيائه بالإيمان والنصرة لبعضهم في سورة آل عمران في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾والثاني : في هذا الموضع في قوله تعالى : ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴾، وفي هذا تعظيم من الله – تعالى – لشهادة الأنبياء بالنصرة لبعضهم، وتعظيم لمن يحكم بالحق والعدل منهم وممن اتبع طريقهم ، وكلا الموضعين يدل على أهميّة اتباع الحق وأهله .

الفرع الخامس : شهادة الله ﷻ على المنافقين .

وردت شهادة الله ﷻ على المنافقين بصريح لفظ الشهادة في أربعة مواضع من كتاب الله ﷻ:

أولاً : شهادة الله ﷻ على المنافقين بالكذب في ادّعائهم الإيمان بنبوة محمدﷺ .

وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾(المنافقون:١) .

روى البخاري عن زيد بن أرقم[1] ﷺ أنّه قال :((خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فِى سَفَرٍ أَصَابَ النَّاسَ فِيهِ شِدَّةٌ،فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَي[2]لأَصْحَابِهِ : لاَ تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِهِ، و(لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ)،قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِي –صلى الله عليه وسلم– فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ فَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَي فَسَأَلَهُ فَاجْتَهَدَ يَمِينَهُ مَا فَعَلَ، فَقَالَ : كَذَبَ زَيْدٌ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–،قَالَ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِمَّا قَالُوهُ شِدَّةٌ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقِي﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ..﴾،قَالَ : ثُمَّ دَعَاهُمُ النَّبِيّ –صلى الله عليه وسلم– لِيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ ، قَالَ : فَلَوَّوْا رُءُوسَهُمْ)) .[3]

يتبيّن من الآية السابقة والحديث الشريف أنّه عندما دعا رسول الله ﷺ المنافقين ليسألهم عمّا نُقل إليه من كلام صاروا يحلفون له أنهم ما قالوا شيئاً، وعندما ادّعوا أنهم يشهدون أنّه رسول الله ﷺ،أنزل الله ﷻ آياته ليردّ عليهم بشهادة تشاكل شهادتهم، لكنه سبحانه قبل ذلك ذكّرهم بالحقيقة

---

[1] **زيد بن قيس بن النعمان الخزرجي،** من مشاهير الصحابة ، تقدّم للقتال مع النبي ﷺ في أحد فردّه لصغر سنّه ، ولما كبر سنّه غزا مع النبي سبع عشرة غزوة ، وشهد مؤتة أيضاً ، وتوفي سنة (٦٨هـ) . انظر : الذهبي ، **سير أعلام النبلاء**، ج(٣) ، ص(١٦٦– ١٦٨) .

[2] **عبد الله بن أبي بن سلول** : رأس المنافقين في عهد رسول الله ﷺ، وهو من بني عوف بن الخزرج ، كان يؤذي رسول الله ﷺ، نزلت في ذمّه آيات كثيرة ، كان ممن تكلم في عائشة في حادثة الإفك ، توفي في السنة التاسعة للهجرة . انظر : ابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب(ت:٢١٣هـ)،**السيرة النبوية** ،تحقيق : مصطفى السقا ، ط(٢) ،(١٣٧٥هـ) ، ج(١) ، ص(٥٢٦) . والدارقطني علي بن عمر (ت: ٣٨٥هـ) ،**المؤتلف والمختلف**، (دار الغرب الإسلامية) ، ج(١) ، ص(١٢٠).

[3] أخرجه : البخاري ، **صحيح البخاري**، كتاب : التفسير ، باب : سورة المنافقون ، ج(٤) ، ص(١٨٥٩) ، ر(٤٦١٧) . والواحدي ، علي بن أحمد (ت: ٤٦٨هـ) ،**أسباب نزول القرآن**، تحقيق : عصام الحميدان ،ط(٢) ، (دار الإصلاح: ١٤١٢هـ) ، ص(٤٣١) .

الكبرى ؛ بأنه يعلم أنّ محمداً رسوله وإن نافق من نافق، أو قالها من لا يؤمن بها ؛ خوفا على حياته ؛ أو طلبا لمصالحه الدنيوية ؛ فأنت يا محمد غني عن شهادة أمثالهم .[1]

وقد ذكّرهم الله ﷻ بهذه الحقيقة أولاً بقوله : ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ قبل شهادته عليهم ؛ دفعاً للتوهم بأن شهادته سبحانه هي تكذيب لشهادتهم الظاهرية ؛ وإنما هي تكذيب لبواطنهم واضطراب عقيدتهم .[2]

فالله ﷻ لم يكذبهم في هذه الحقيقة، ولكنه سبحانه قد كذبهم في قولهم : (نَشْهَدُ)، لأنّ قولهم : (نَشْهَدُ) تعني أن يوافق الكلام المنطوق ما يعتقدونه في قلوبهم، وقولهم : (نَشْهَدُ) هو قول لا يتفق مع ما في قلوبهم ، ولذلك صاروا كاذبين ، فلسان كل منهم لا يوافق ما في قلبه .[3]

وقد أكّد الله ﷻ شهادته لهم بحرف (إنّ)(واللام) المؤكدة كما أكدوها هم كذلك[4]وقد استعملت لفظة الشهادة هنا بمعنى الحلف ، والدليل على هذا ؛ ما جاء في الآيات التي بعدها :﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾(المنافقون: ٢)[5] لذلك على المؤمن أن يكون حذراً، فلا ينخدع بعذب كلام المنافقين من أمثال هؤلاء، فإنهم لا يخشون أن يحلفوا بالله– تعالى– الأيمان الكاذبة ، من أجل تحقيق مصالحهم .

ولكن **لماذا قال الله ﷻ : ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾، ولم يقل : (والله يشهد إنك لرسوله)؟**

الجواب على ذلك من وجهين :

أولاً : لأنّ مرتبة العلم أعلى من مرتبة الشهادة، فالشهادة غايتها والهدف منها إثبات حقيقة

---

[1] انظر : الماوردي ، علي بن محمد(ت : ٤٥٠هـ) ،**النكت والعيون**،(٦)ج ، (دار الكتب العلمية) ، ج(٦) ، ص(١٤) . وابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(٢٣) ، ص(٢٣) . وطنطاوي ، **الوسيط** ، ج(١٤) ، ص(٤٠١).

[2] انظر : الزمخشري، **الكشاف** ،ج(٤) ، ص(٥٤٠) .

[3] انظر: **الزمخشري**، الكشاف ،ج(٤) ، ص(٥٤٠) . وابن عاشور ،**التحرير والتنوير**،ج(٢٨) ، ص(٢٣٣) و ج(٢٣) ، ص(٢٣٥) .

[4] انظر : الشوكاني ، محمد بن علي (ت : ١٢٥٠هـ) ، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، ط(١) ، (دار ابن كثير : ١٤١٤هـ) ، ج(٥) ، ص(٢٧٤) .

[5] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(١٨) ، ص(١٢٣) .

العلم .[1]

ثانياً : لأنّ من غايات الشهادة إعلام الآخرين بالمشهود به، والله ﷻ قرر ذلك قبل أن يشهدوا فأصبحت شهادتهم لا قيمة لها .[2]

ثانيا : شهادة الله ﷻ على المنافقين بالكذب في حسن نيتهم من بناء مسجد الضرار.

وردت هذه الشهادة في التعقيب على هذه الحادثة المذكورة في سورة التوبة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾(التوبة :١٠٧).

روى ابن جرير الطبري عن ابن اسحق عن الزهري : ((أنّ بَني عَمْرو بن عوف لَمَّا بَنَوا مسجدَ قُباء سأَلوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أنْ يأْتِيهمْ فَيُصَلّي فيه ، فأتاهُمْ فصلَّى فِيهِ ، فَحَسَدَتهُمْ إِخْوانُهمْ ؛ بَنوْ غُنم بن عوفٍ ، فَبنوْا مَسْجِداً على قَصْدِ أَنْ يَأمَّهُمْ فيْه أَبو عامِر الرَّاهِبْ[3]إذا قَدِمَ مِنَ الشَّام ، فَلمّا أَتمّوه أَتَوا رَسولَ الله ﷺ، فقالوا : إِنّا قَدْ بَنيْنا مَسْجِداً لِذي الحاجَةِ والعِلّةِ واللّيْلةِ المَطِيرةِ ، فصلِّ لنا فيْهِ حتى نَتخذهُ مُصلّى ، وَكانَ ذلكَ قَبلَ خُروجِهِ لِتَبوك ، فقالَ لهمْ : إِنّي عَلى جَنَاح سَفَرٍ ، وإِذا قَدِمنا ، إِنْ شاءَ الله – تعالى ، صَلَّينا فِيه، فَلمّا قَدِمَ أَتوهُ ، فَأَخَذَ ثَوبَهُ لِيَقوم مَعَهُم ، فَنَزَلَتْ الآيةُ ،

---

[1] سؤال موجه للدكتورين : **القرشي،** جميل عبد العزيز، باحث في علوم القرآن الكريم \ ورئيس الدارة العالمية للقرآن الكريم في ماليزيا ، تاريخ المعلومة : ١– ١ – ١٤٣٧هـ \ ٢١٠٦م . **والأطرش،** عطية صدقي ، دكتور محاضر في جامعة الخليل (كلية الشريعة – قسم التفسير) ، تاريخ المعلومة : ١٥– ١ – ٢٠١٦ .

[2] د . القرشي ، جميل ، تاريخ المعلومة : ١– ١ – ١٤٣٧هـ \ ٢٠١٦م .

[3] **أبو عامر الراهب** : عبد عمرو بن صيفي ، أبو الصحابي (حنظلة) الملقب بغسيل الملائكة ، كان يعرف بالراهب في الجاهلية لأنه اعتنق النصرانية ، وسماه رسول الله ﷺ أبو عامر الفاسق لكثرة عداوته وحسده للنبي ﷺ، مات كافراً ، في السنة التاسعة للهجرة . انظر: ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي ،**الإصابة في تمييز الصحابة،** ط(١) ، (دار الجيل– بيروت : ١٤١٢هـ) ، ج(٥) ، ص(٦٦٩) ، ذكره ابن حجر في ترجمة ابنه (حنظلة) – رضي الله عنه .

فَدَعَا مالِك بن الدُّخشم، ومَعنَ بن عديٍ ، وعامِرَ بن السَّكن[1]، فقال : انطلقوا إلى هذا المَسْجد الظّالِمِ أَهلهُ فاهدموه وحرّقوه ؛ فَفَعلوا ، واتخذوا مكانه كُناسَة[2]))[3].

وبالنّظر إلى ما سبق يتبين أنّ هذه شهادة أخرى من الله –تبارك وتعالى– على فئة من المنافقين الذين يدّعون محبة المؤمنين ؛ ويقصدون الشعائر الدينية لأهدافهم الخبيثة، فقد ادّعوا بأَيْمانهم الكاذبة ؛ أنهم حريصون على إقامة شعائر الدين في المسجد، وعلى إغاثة الضعفاء من الناس ؛ وحرصوا على الظهور بأنهم أصحاب القلوب الرقيقة والنّوايا الحسنة ؛ وظنّوا أنّهم ظفروا بمرادهم عندما أراد رسول الله ﷺ أن يلبي دعوتهم للصلاة فيه ؛ لكنّ الله ﷻ أنزل آياته البيّنات فيهم ففصّل ما في قلوبهم بأنهم ما بنوا هذا المسجد إلا لأجل أربعة أهداف[4] :

أولاً : الإضرار بإخوانهم أصحاب مسجد قباء وإيقاع الأذى بالمؤمنين .

ثانياً : تقوية نفاقهم وكفرهم الذي يخفونه في صدورهم .

ثالثاً : تفريق وحدة المؤمنين الذين يصلون في مسجد قباء حسداً وحقداً منهم .

رابعاً : الاستعداد لقدوم الرجل الذي حارب الله ورسوله، وهو أبو عامر الراهب ؛ فقد كانوا ينتظرونه ليصلي فيه ويظهر على رسول الله حسب ظنهم .

وهذا التفصيل في صدر الآية يكفي لفضح ما في قلوبهم، لكنّ الله العظيم أكّد فضحهم مرة أخرى في الآية بأن شهد عليهم بأنهم كاذبون في أيمانهم التي حلفوها وفي نواياهم الطيبة التي يظهرونها، وهذه الشهادة من الله ﷻ ؛ هي تأكيد للرسول ﷺو للمؤمنين بأن لا ينخدعوا بالكلام المعسول الذي يخرج من تلك القلوب المريضة .

---

[1] الثلاثة المذكورون هم نفر من الصحابة الكرام قاموا بحرق المسجد . انظر : الزرقاني محمد عبد الباقي(ت: ١١٢٢هـ) ،**شرح الزرقاني على موطأ مالك**،(دار الكتب العلمية – بيروت : ١٤١١هـ) ، ج(١) ، ص(٤٩٦).

[2] كُناسة : مكان تلقى فيه القمامة والجِيَف . انظر : الزبيدي ،**تاج العروس** ، ج(١٦) ، ص(٤٥٣) .

[3] أخرجه : الطبري ،**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج(١٤) ، ص(٤٨٦) . والسيوطي (ت٩١١هـ) ،**لباب النقول في اسباب النزول**، (دار الكتب العلمية – بيروت) ج(١) ، ص(١١١) .

[4] انظر : **انظر الكشاف** ،ج(٢) ، ص(٢٩٥) . وطنطاوي ، **الوسيط**، ج(٦) ، ص(٣٠٤) .

ثالثاً : شهادة الله ﷻ على المنافقين بالكذب في ادّعائهم نصرة أهل الكتاب .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾(الحشر: ١١-١٢)

يخبر الله ﷻ نبياً محمداً ﷺ في الآيات السابقة عن موقف عجيب حدث مع رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول ومن معه من المنافقين، الذين كانوا يسرّون الموالاة لإخوانهم في الكفر من اليهود، ويحلفون لهم أنهم سينصرونهم على المسلمين، وقد ذكر ابن جرير الطبري عن ابن عباس تفسيره للآية السابقة :" أنّ عبد الله بن أُبي بن سلول وأصحابه من المنافقين دسُّوا إلى بني النضير الذين حاصرهم النبي ﷺ: أن لا تخرجوا من الحصن ، فإن قاتلوكم فنحن معكم ، لا نخذلكم ، ولئن أُخرجتم لنخرُجن معكم ، ولا نُطيعُ ؛ في قتالكم أحداً أبداً ".[1]

من خلال الآية السابقة نلحظ أنّ المنافقين قد أقسموا لليهود على ثلاثة عهود[2]:

أولاً : الخروج مع اليهود إلى ديارهم الجديدة إن تم إخراجهم من قبل المسلمين ؛ وذلك من خلال قوله تعالى على لسان المنافقين لحلفائهم اليهود :﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ .

ثانياً : البقاء على العهد مع اليهود وعدم الطاعة في قتالهم ؛ وذلك من خلال في قوله تعالى على لسان المنافقين في تتمة الآية : ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا﴾ .

ثالثاً : قتال المنافقين مع اليهود ونصرتهم إن قاتلهم أحد من المسلمين وذلك في تتمة الآية : ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ .

والفعل المضارع في كلمة (يقولون) يدل على استمرارهم في عقد المواثيق مع أهل الكتاب[3]

---

[1] الطبري ، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج(٢٣) ، ص(٢٩٠) .

[2] انظر : الشاذلي ،**البحر المديد**، ج(٨) ، ص(١٨- ١٩) . والآلوسي ، **روح المعاني**، ج(١٤) ، ص(٢٥٠-٢٥١) .

[3] انظر: البقاعي ، **نظم الدرر**،ج(٧) ، ص(٥٢٩) . والآلوسي ، **روح المعاني**، ج(١٤) ، ص(٢٥٠-٢٥١) .

وكلمة (أبداً) تدل على شدّة عزمهم فيما يقولون . [1]

والمتمعن في الآية يلحظ أنّ العهدين الأخيرين منطقيين إلى حد ما، أمّا العهد الأول فيُشعر القارئ أنه مبالغ فيه قليلاً ؛ لأنّه ليس مطلوباً من هؤلاء المنافقين أن يخرجوا من ديارهم، ويجلوا نساءهم وأطفالهم وأموالهم كرماً منهم حتى يشعر إخوانهم من اليهود أنهم ليسوا وحدهم .
لكن الله ﷻ فاجأهم بشهادته عليهم بأنهم كاذبون في عهودهم المبالغ فيها، وكرم أخلاقهم

وفي هذه الشهادة من الله ﷻ عدّة معانٍ :

أولاً : فضيحة للمنافقين أمام المسلمين ؛ وأمام إخوانهم من اليهود الذين فقدوا الثقة فيهم .

ثانياً : تطمين للرسول لئلا يتوجس خيفة من بأس المنافقين ؛ لأنّ هذه الآية نزلت بعد جلاء بني النضير ، وقبل غزوة بني قريظة [2]؛ فمجرد ما قالوه من كلام لن يترجم على أرض الواقع أبداً ؛ لأنهم جبناء يحبّون الحياة .

ثالثاً : درس عظيم للمؤمنين بأن لا يتأثروا بالحرب الإعلامية التي يشنّها المنافقون للتثبيط من عزائم المسلمين ؛ فكثير من كلامهم كذب ؛ وإن كان ظاهره الشجاعة والإقدام والكرم غير المسبوق .

ثم بعد هذه الشهادة فصّل الله ﷻ كذبهم في قوله تعالى : ﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ زيادة في إبطال المؤامرة التي حبكوها مع أوليائهم من اليهود .

ومن خلال شهادة الله –تعالى – على المنافقين في تلك الآيات الثلاث السابقة يتبيّن أنّهم يشتهرون بكثرة الحلف على صدق ما يقولون، ومع ذلك تنزل الآيات بتكذيبهم، ويشهد عليهم ربهم .

---

[1] انظر: البقاعي ، **نظم الدرر**،ج(٧) ، ص(٥٢٩) . والآلوسي ، **روح المعاني**، ج(١٤) ، ص(٢٥٠-٢٥١).
[2] انظر بتصرف : ابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(٢٨) ، ص(١٠٠) .

الفرع السادس : طلب الشهادة من الله ﷻ .

بالنظر في كتاب الله ﷻ نجد أنّ طلب الشهادة من الله ﷻ جاء في موضعين اثنين من نوعين متناقضين من الناس، وهم حواريو عيسى عليه السلام، والمنافقون في عهد النبيﷺ، وهذا ماسيأتي شرحه في هذا الفرع .

أولاً : طلب الحواريين الشهادة من الله – تعالى– على صدق إسلامهم .

الحواريون هم خلصاء الأنبياء وصفوتهم[1]، وكذلك كان حواريو عيسى عليه السلام، وقد ذكرهم الله ﷻ في سورة المائدة بعد أن ذكَّر الله عيسى – عليه السلام – بجملة من نعمه عليه[2]، وذكّره كذلك بوحيه للحواريين بأنّ يؤمنوا به وبرسوله الذي هو عيسىعليه السلام، فما كان منهم إلا أن استجابوا لدعوة ربهم، وأشهدوه على إسلامهم كما وصفهم في قوله تعالى :﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾(المائدة :١١١)، والعجيب أنّهم أشهدوا الله ﷻ على إسلامهم مع أنّهم كانوا مؤمنين في الأصل، لكنّ المقصود من خطاب الله ﷻ لهم هو الزيادة في التأكيد على إخلاص قلوبهم ونيّاتهم، وتصحيح أعمالهم الدّالة على إيمانهم[3]، وقد **اختلف المفسرون على عدّة أقوال في مرجعية الضمير المستتر في لفظة (وَٱشْهَدْ) هل هو عائد على الله ﷻأم على عيسى عليه السلام :**

القول الأول : قال بعض المفسرين إنّ الضمير عائد على الله ﷻ، وهو قول الطبري، وبه قال ابن عاشور ومحمد رشيد رضا .[4]

القول الثاني : إنّ الضمير يحتمل أن يكون عائداً على الله ﷻ أو على عيسى، بمعنى أنّ الآية تحتمل الوجهين، وهو قول ذكره القرطبي والماوردي وابن عطية الأندلسي .[5]

---

[1] مرتضى الزبيدي ، **تاج العروس** ، ج(١١) ، ص(١٠٣) .

[2] انظر : سورة المائدة : الآية (١١٠) .

[3] انظر : الرازي ، **التفسير الكبير**،ج(١٢) ، ص(٤٦١) .

[4] انظر : الطبري ، **جامع البيان**، ج(١١) ، ص(٢١٨) . وابن عاشور ، **التحرير والتنوير**،ج(٧) . ص(١٠٤) . ورضا ، **المنار**، ج(٧) ، ص(٢٠٨)

[5] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٦) ، ص(٣٦٣) . والماوردي ،**النكت والعيون**، ج(٢) ، ص(٨١) . وابن عطية ،**المحرر الوجيز**، ج(٢) ، ص(٣٥٠) .

والذي يترجح عندي هو الأول : لأن الضمير في اللفظة عائد على أقرب مذكور ؛ وهو الله ﷻ كما يدلّ سياق الآية المتعلق بخطاب الله – تعالى – مع الحواريين وهذا واضح في معنى الآية، فالله ﷻ يقول لهم : آمنوا بي وبرسولي عيسى، وهم يجيبون : آمنا بك يارب.

ويرجع طلب الحواريين الشهادة من الله – تعالى – إلى رغبتهم في التأكيد على صدق إيمانهم وإخلاصهم لله– تعالى، بعد أن قالوا (آمنا)[1].

ومن نظير الآية السابقة قوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٥٢ ﴾(آل عمران :٥٢) ، لكن **لماذا جاءت شهادة الحواريين في سورة المائدة مؤكدة بالنون على خلاف آية آل عمران ؟**

في سورة المائدة يقول الله ﷻ على لسان الحواريين : ﴿ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ﴾، وفي سورة آل عمران يقول اللهﷻ أيضاً على لسان الحواريين :﴿ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ .

الجواب على ذلك أنّ آية المائدة جاءت مؤكدة بالنون لأنّ الضمير فيها عائد على الله ﷻ، وأمّا آية آل عمران فالضمير فيها عائد على عيسىعليه السلام وشتان بين المذكورين، ولأنّ آية المائدة جاءت في مقام عدّ نِعم الله ﷻ على عيسى عليه السلام فناسب زيادة النون، وقد ناسبت أيضاً الطلب المهم من الله ﷻ بأن يؤمنوا به وبرسوله، فجاءت على أتمّ عبارة لتستوفي الإجابة على الطلبين بخلاف آية آل عمران التي كان الطلب فيها من عيسى عليه السلام وهو أن يكونوا أنصاره إلى الله فناسب التخفيف[2].

---

[1] انظر : الرازي ، **التفسير الكبير** ، ج(١٢) ، ص(٤٦١) .

[2] انظر : البقاعي ، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** ، ج(٢) ، ص(٥٦٤) . والتركي ، صالح بن عبد الله ، **(توجيه المتشابه في القرآن الكريم (٣٧) (واشهد بأنا مسلمون) و (واشهد بأننا مسلمون))** ، ٥ – ٨ – ١٤٣٧ \ ١٣ – ٥ – ٢٠١٦م . https://www.youtube.com/watch?v=zVpqr٤pO_wk

ثانياً : طلب المنافقين الشهادة من الله – تعالى – على محبتهم للإسلام (بحسب ادّعائهم) .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ﴾(البقرة : ٢٠٤) .

يحذّر الله – تعالى– نبيّه محمد ﷺ بأن لا ينخدع بالكلام المعسول الذي يقوله بعض الناس من المنافقين عن محبتهم الكبيرة للإسلام، وكراهيتهم للكفر، حتى وإن أشهدوا الله ﷻ على مايقولونه وهؤلاء في الحقيقة هم ﴿أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾ أي أشدّ الناس عداوة للإسلام، وهذه الآية عامة في جميع من يظهر الإيمان، ويضمر الكفر والنفاق من الناس .[1]

وقد تعددت المعاني التي ذكرها المفسرون بالمقصود باستشهادهم الله ﷻعلى ما في قلوبهم على النحو الآتي :

المعنى الأول : أي يقول : يعلم الله ﷻ أني أقول حقاً، وأنّ قلبي يوافق لساني .[2]

الثاني : جاءت الشهادة هنا بمعنى الحلف ؛ أي يحلف بالله ﷻ أنّ ما يقوله حقاّ.[3]

الثالث : أي يستشهد الله ﷻ على ما في قلبه، ويطلب من الله ﷻ أن يشهد على ما في قلبه، ويقول : اللّهم اشهد على ما في قلبي .[4]

وجميع المعاني السابقة معناها واحد وهو طلب الشهادة من الله – تعالى، ونلحظ أنّطلب المنافقين الشهادة من الله ﷻ يدل على ريائهم، وأنّهم يشهدون الله ﷻ على باطل، وأنّهم يحاولون إضفاء مصداقية على كلامهم، وذلك بإقحام الله ﷻ في كلامهم . [5]

وهذا تحذير للمسلمين بأن لا تغرّهم المظاهر والمقامات التي تظهر من بعض الناس الذين يدّعون محبة الإسلام، فالله– تعالى – وحده يعلم ما في قلوبهم .

---

[1] انظر : القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، ج(٣) ، ص(١٥) . وابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم**، ج(١) ، ص(٥٦٢).

[2] انظر : القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، ج(٣) ، ص(١٥) . والآلوسي ، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم**، ج(٢) ، ص(١٧٩) .

[3] انظر : الكشاف ، **الزمخشري**، ج(١) ، ص(٢٧٨) .

[4] انظر : الطبري ، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج(٤) ، ص(٢٣٤) .

[5] انظر : الشعراوي ، **الخواطر**، ج(٢) ، ص(٨٦٦) .

المطلب الثاني : شهادة الله – تعالى – من خلال اسمه "الشهيد" .

روى البخاري عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال : ((إنَّ لله تِسْعةً وتِسْعينَ اسماً مائةً إلا واحداً من أَحصَاهَا دَخَلَ الجَنَّة))[1]منها اسم الله الشهيد، وقد ذكر اسم الله الشهيد في تسع عشرة آية من آيات القرآن الكريم ، تحت موضوعات مختلفة تحدثت عنها الآيات، منها ثماني آيات سبقت بالفعل (كفى)، وآية واحدة سبقت بالفعل (يكفي) .

الفرع الأول : معنى اسم الله " الشهيد " .

الشهيد : هو بالغ الشهادة لأنّ صيغة " شهيد " على وزن فعيل ؛ تدل على المبالغة في الشهادة ، وهي أقوى في معناها من صيغة شاهد .[2]

قال الزجاجي[3] : "ورد اسم الله " الشهيد " في القرآن ؛ بمعنى الشاهد، كما أنّ العليم بمعنى العالم، والرحيم بمعنى الراحم ، والشاهد خلاف الغائب، تقول العرب : (فلان كان شاهداً لهذا الأمر)، أي لم يغب عنه، فالله – تعالى – لمّا كانت الأشياء لا تخفى عليه كان شهيداً لها، وشاهداً لها، أي عالماً بها وبحقائقها علم المشاهد لها، لأنه لا تخفى عليه خافية ".[4]

ويدل اسم الله الشهيد على صفة من صفات الذات، إن كان معناه المطلع الرقيب ، كقوله تعالى﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ﴾(آل عمران : ٩٨) ويدل على صفة من صفات الأفعال إن كان معناه الإخبار عن علم، أو كان معناه الحكم والقضاء، كقوله تعالى : ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ﴾(سورة الأنعام :١٩) .[5]

---

[1]أخرجه : البخاري ، **صحيح البخاري**، كتاب : التوحيد ، باب : إنّ لله مائة اسم إلا واحداً ، ج(٦) ، ص(٢٦٩١) ، ر(٦٩٥٧) .

[2]انظر : البقاعي ، **نظم الدرر**، ج(٣) ، ص(٤٩٩) .

[3]**عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي**، عالِم نحوي ولد في بغداد وعاش في دمشق، له مصنّفات كثيرة في النحو، عمل مُدّرساً بجامع بني أميّة بدمشق ، توفي سنة (٣٤٠)هـ . انظر : الفيروزأبادي ، محمد بن يعقوب (ت : ٨١٧هـ) ،**البلغة في تراجم أئمّة النحو واللّغة**، تحقيق : محمد المصري ، ط(١) ، (جمعية إحياء التراث الإسلامي : ١٤٠٧هـ) ، ج(١) ، ص(٣٢) .

[4]انظر : الزجاجي ،**اشتقاق أسماء الله الحسنى**، ص (١٣٢) .

[5]انظر : مجموعة من العلماء ،(أسماء الله الحسنى)
http://www.islamguiden.com/arkiv/asma.pps:.

ويرجع معنى الشهيد إلى العليم إذا اعتبر العلم مطلقاً، والى الخبير إذا أضيف إلى الغيب، أو إلى الأمور الباطنة، وإلى الشاهد إذا أضيف إلى الأمور الظاهرة للعيان، والله ﷻ هو الشهيد الذي يشهد على الخلق يوم القيامة بما علم وشاهد منهم في الدنيا .[1]

الفرع الثاني : الصّيغ التي ذكر من خلالها اسم الله " الشهيد " .

ورد اسم الله " الشهيد" في آيات عديدة ، تحت موضوعات مختلفة، مقترناً ببعض الصِّيَغ اللغوية أو غير مقترن، وقد قسمته إلى ثلاثة أقسام :

أولاً : اسم الله "الشهيد" غير مقترن بصِيَغْ لغوية معيّنة .

ورد اسم الله " الشهيد" غير مقترن بصِيَغْ لغوية معيّنة في معرض **الحديث عن :**

١. مصير المشركين الرجوع إلى الله – تعالى– بعد موتهم، وذلك من خلال قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ ﴾(يونس: ٤٦) .

في هذه الآية يبيّن الله ﷻ لنبيه أنه قادر على أن ينتصف له من الكفار كما هي سنّته مع أنبيائه، وذلك بأن يريه بعضاً من عذابهم في الدنيا، أو هو قادر على أن يمهلهم، وذلك بأن يتوفاه من غير أن يرى عذابهم ؛ فعلى كل حال فإنّ مصيرهم إلى الله ﷻ بعد موتهم فهوسيجزيهم ما يستحقون من العذاب في الآخرة ، ثم سيؤدي شهادته عليهم يوم القيامة .[2]

وقد ذكر الله ﷻ الشهادة هنا وأراد نتيجتها ومقتضاها ، وهو العقاب، كأنه يقول ثم الله معاقب على ما يفعلون[3]، فشهادة الله ﷻ عليهم بمعنى إعلامهم يوم القيامة بذنوبهم والحكم عليهم بما يستحقون من العقاب .

---

[1] انظر: الغزالي أبو حامد محمد الطوسي (ت: ٥٠٥هـ) ، **المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى،** تحقيق : بسام الجابي ، (١)ج ، ط(١) ، (١٤٠٧هـ) ، ص(١٢٦) .

[2] انظر : البيضاوي ،**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**،ج(٣) ، ص(١١٥) .

[3] انظر : الزمخشري ،**الكشاف**، ج(٢) ، ص(٣٣٣) .

ومن الملاحظ في الآية السابقة أنّ عبارة (فإلينا مرجعهم) عبارة مجملة تشمل حسابهم وعذابهم، أما عبارة﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ ﴾فهي عبارة مفصّلة لأحد أصعب لحظات حسابهم، حين يشهد الله ﷻ على أعمالهم التي حاربوا فيها الله ورسوله، والتفصيل بعد الإجمال يفيد الأهمية ويلفت الانتباه[1] .

وحرف العطف (ثُمّ) : يفيد التراخي في الزمن، أي بعد حين من الزمن سيرجعون إلى الله –تعالى – وسيشهد عليهم[2]، والفعل (يفعلون) : صيغة مضارع، تدل على أنّ الله شهيد على ما فعلوه في السابق، وما يفعلونه في المستقبل، أو ما فعلوه بالرسول، وأصحابه، وما سيفعله أمثالهم في المؤمنين من بعده .[3]

ومن الملاحظ أيضاً أنّ الآية جاءت على صيغة الجملة الشرطية وهي فعل الشرط وجواب الشرط فعبارة : (إما نرينك..) جوابها محذوف، أما عبارة : (نتوفينك) والتي تقديرها (إمّا نتوفينك) فجوابها (فإلينا مرجعهم)، وفي هذا تعريض بأنّ الله ﷻ سيؤخر عذابهم إلى حين يشهد عليهم يوم القيامة .[4]

٢. إنكار الله ﷻ على من كفر من أهل الكتاب .

وذلك من خلال قوله تَعَالَىٰ:﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾(آل عمران: ٩٨) .

هذا تعنيف من الله ﷻ لكَفَرة أهل الكتاب، على عنادهم للحق، وكفرهم بآيات الله– تعالى الدالّة على وحدانيته؛ كالقرآن الكريم، ونبوّة محمد ﷺ، رغم ما عندهم من العلم عن الأنبياء المرسلين – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وما بُشّروا به من أوصاف النبي محمد ﷺ، ثمّ أنكروا ذلك، لذلك توعّدهم الله ﷻ عن طريق تذكيرهم بأنه شهيد عليهم ؛ وأقرب إليهم من حبل الوريد .[5]

---

[1] انظر : ابن عاشور ،**التحرير والتنوير** ، ج(١١) ، ص(١٨٤– ١٨٦) .

[2] انظر : المرجع السابق .

[3] انظر بتصرف : المرجع الأسبق .

[4] انظر : الزمخشري ،**الكشاف**، ج(٢) ، ص(٣٣٣) . وابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(١١)، ص(١٨٣– ١٨٦) .

[5] انظر: **ابن كثير** ، تفسير القرآن العظيم ،ج(٢) ، ص(٨٥) . والآلوسي ،**روح المعاني** ، ج(٢) ، ص(٢٣١).

وقد جاء سياق الآية على شكل سؤال مباشر لهم ؛ ليكون ذلك أدعى لإعمال عقولهم، والتفكير في إجابة شافية، لعلهم يعودون إلى الحق ؛ وقد جيء باسم الله (الشهيد) دون غيره لتشديد التوبيخ عليهم ؛ لأن من تيقن أن الله " الشهيد" مطلع على أعماله في الدنيا، ومجازيه عليها يوم القيامة لا يكاد يقع منه الكفر الذي هو أعظم الكبائر[1]، ومن الواضح هنا الإظهار للفظ الجلالة في موضع الإضمار في قوله (والله شهيد على ما تعملون)، للزيادة في لفت انتباههم بأنه شهيد عليهم، وصيغة المبالغة في لفظة (شهيد) للمبالغة في الوعيد.

٣. الحديث عن شهادة الله لنبيّه بالرسالة .

وذلك في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾(الأنعام : ١٩) .

وقد سبق الحديث عنها في شهادة الله لنبيّه محمد ﷺ بالرسالة .

ثانياً : اسم الله " الشهيد" مقترن بصيغة (كل شيء) الدالة على العموم .

الله شهيد على كل شيء من عموم خلقه، وقد وردت عبارة (الله على كل شيء شهيد) في ثماني آيات من كتاب الله ﷻ، مع ورودها في بعض الأحيان مؤكدة بإنّ، أو غير مؤكدة بإنّ، وسأستعرضها كلها في هذاالفرع :

أ. ورود عبارة (الله على كل شيء شهيد) غير مؤكدة بإنّ .

وردت عبارة (الله على كل شيء شهيد) غير مؤكدة بإنّ ؛ في أربعة مواضع من كتاب الله ﷻ :

١. **في معرض الحديث عن بعث وحساب الكفار الذين يحادّون الله ﷻ ورسوله ﷺ**، وذلك من خلال قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾ (المجادلة: ٥ – ٦).

---

[1] انظر : أبو حيان ،**البحر المحيط** ، ج(٣) ، ص(١٦) .

هاتان الآيتان فيهما وعيد من الله ﷻ للذين يعادون ويشاقّون الله ورسوله بأنهم سيخزون، ويهلكون كما أُهلك من قَبلهم من أعداء الرسل، فلا عذر لهم في محادّة الله ورسوله ﷺ.[1]

﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ﴾ بهذه الآيات ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ يذهب بعزهم وكبرهم،﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾ تخجيلاً لهم وتوبيخاً وتشهيراً بحالهم، أَحْصَاهُ اللَّهُ ﷻ عليهم لم يفته منه شيء وَنَسُوهُ، لأنهم تهاونوا فيه حين ارتكبوه ولم يبالوا به لضراوتهم بالمعاصي﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ أي حفيظ رقيب عليهم حاضر لا يغيب عنه شيء .[2]

فإن كانوا هم نسوا ما فعلوه من معاصٍ فالله ﷻلا ينسى، فهو شهيد عليهم حين انتهكوا محارم الله ﷻ في الدنيا، وحين آذوا رسول الله ﷺ وأصحابه ، وسيشهد عليهم يوم القيامة، وتكون شهادة الله ﷻ عليهم في الآخرة بالإخبار بما فعلوا، وبالحكم عليهم بالجزاء الذي يستحقونه .

٢. الحديث عن قصة أصحاب الأخدود، وذلك من خلال قوله تعالى :

﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٨ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٩﴾(البروج: ٨ – ٩) .

هذه الآية الكريمة جاءت في معرض الحديث عن قصة الظلم الذي تعرض له جماعة من المؤمنين على يد أصحاب الأخدود، الذين حاولوا إجبار المؤمنين على الارتداد عن دينهم، وذلك بحفرهم شقاً عظيماً في الأرض، أضرموا فيه النيران، وخيروهم بين الارتداد عن الإسلام وبين الاحتراق بالنيران ، فما كان منهم إلا أن اختاروا الاحتراق بالنيران، على مرأى ومسمع من الكفار[3] الذين عذّبوا المؤمنين المستضعفين بغير ذنب اقترفوه إلا أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد، الذي هو مالك السموات والأرض، والله على كل شيء شهيد، أي شاهد على كل شيء في هذا الوجود صغيره وكبيره[4]، وشاهد على هذا الحدث العظيم الذي حصل مع المؤمنين به، عندما

---

[1] انظر : الزمخشري ،**الكشاف** ، ج(٤) ، ص(٤٨٨) . وابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ،ج(٢٨) ، ص(٢٤) .

[2] انظر : الزمخشري ،**الكشاف**، ج(٤) ، ص(٤٨٨) . والبقاعي ،**نظم الدرر**، ج(٧) ، ص (٤٨٧) .

[3] الحديث الذي ذكر القصة أخرجه : مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري ،**المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**، (دار الجيل – بيروت) ،كتاب : الزهد والرقائق ، باب قصّة أصحاب الأخدود ،ج(٨) ، ص(٢٢٩) ، ر(٧٧٠٣) .

[4] انظر بتصرف : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(١٩) ، ص(٢٩٤–٢٩٥) .

فضلوا ترك دنياهم والاحتراق في سبيل الله ﷻ، وطلباً لرضوانه، فهو نعم الشهيد الذي سيشهد لهم على كل لحظة فتنوا فيها، قبل أن يلقوا في النار، فراودتهم الأفكاروخافوا على أطفالهم، وحزنوا على من سيفارقونهم، وفي كل لحظة تألّموا فيها من شدّة الحرق، فهو لن يضيع تلك اللحظات التي ختم لهم بها فكانوا من خيرة الشهداء، عند خير شهيد، وهو الشهيد على هؤلاء الكفار الذين كانوا شهوداً حاضرين، يتلذذون بمشهد المؤمنين وهم يحترقون، فالله ﷻ حاضر عندما حفروا وأوقدوا، وأحرقوا، لكنّه يمهل ولا يهمل، وقد أخرهم ليوم القيامة لكي يوقفهم ويشهد عليهم بنفسه، فشهادته عليهم هي عذاب نفسي لهم، ترجف منها قلوبهم، فالجزاء من جنس العمل، فكما فتنوا المؤمنين قبل إحراقهم، سيفتنهم الله ﷻ بشهادته عليهم في هذا الموقف قبل أن يذيقهم عذاب الحريق كما وعدهم .

٣. الحديث عن محاورة الله ﷻ لعيسى بن مريم – عليه السلام – يوم القيامة :

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾المائدة: ١١٦ – ١١٧) .

في مشهد عظيم يوم القيامة، وعلى مسمع ومرأى ممن نسبوا ضلالهم إلى عيسى عليه السلام، وكانوا يدّعون في الدنيا أنّ عيسى عليه السلام قد أمرهم بعبادته وعبادة أمّه –عليهما السلام، يوقف الله عيسى عليه السلام موقف السؤال، ويوقف قومه موقف الخزي والتوبيخ، ويسأل الله ﷻ عيسى عليه السلام : ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ﴾ فينزّه الله – عز وجل – بقوله :﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ قبل أن يجيب على هذا السؤال، ثم ينفي أنه قال هذه المقالة :﴿ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾، ثم ينفي أنه قال هذا القول في نفسه حتى، بدليل أنّ الله ﷻيعلم ما في نفسه، ثم أثبت أنه يقول ما يناقض هذه المقالة : ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ﴾ من عبادتك وتوحيدك[١]

[١] انظر : ابن كثير ،**تفسير القرآن العظيم**، ج(٣) ، ص(٢٣٢) . والشعراوي، محمد متولي (ت: ١٤١٨هـ)،

وقد كنتُ في الدنيا شهيداً عليهم، ما دُمت موجوداً فيهم، فلما رفعتني عندك، كنت أنت يا رب رقيباً على أعمالهم،﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ﴾ شهادةً دائمة، لا كشهادتي عليهم[1]فشهادة الله ﷻ تقتضي حضوره وعلمه بأعمالهم في الدنيا، وحكمه عليهم بما يستحقون في الآخرة، وهي لحظة عصيبة على الخلق يوم القيامة ؛ عندما تحين ساعة الشهادة عليهم من الله العلي القدير. فالله ﷻ دائما شهيد على خلقه، وهو شهيد على النصارى، حين بدلوا وحرفوا ما جاء به عيسى عليه السلام من الحق، وسيوقفهم يوم القيامة ويشهد عليهم كما شهد عيسى عليهم، أنهم كاذبون في مقالتهم، وإذا شهد الله – عز وجل– عليهم فقد وجب لهم العذاب .

ويتّضح من الآيات السابقة أنّ عيسى– عليه السلام – لمّا نسب لنفسه الشهادة، ونسب لله ﷻ الرقابة استدرك وأثبت صفة الشهادة لله ، فقال :﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ﴾، وذلك تأدباً مع الله ﷻ، أي : وأنت يا رب دائماً شهيد على كل شيء من خلقك كما أنت رقيب أيضاً، وشهادتك على خلاف شهادة البشر القاصرة والمؤقتة [2] .

٤. الحديث عن عدم سؤال النبي محمد ﷺ الأجر على دعوته .

وذلك في قوله تعالى : ﴿ قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ٤٧ ﴾(سبأ: ٤٧) .

أي قل يا محمد لقومك المكذبين : ما أسألكم من أجر على الدعوة إلى الله ﷻ فهو لكم، لا حاجة لي به، كما تظنون وتدّعون، ثم ختم الآية بعبارة ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ﴾، ومعناه أنه استشهد الله ﷻ على باطنه ونيّته التي هي من جملة الكائنات التي شهد الله ﷻعليها[3]، بأنّه ما يريد بدعوته إلا وجه الله الكريم الذي سيشهد له يوم القيامة بالصدق، ويشهد على كذبهم، وهذا

(تفسير سورة المائدة ، الآية ١١٦ –١٢٠)
https://www.youtube.com/watch?v=WXoGxEZx٨DQ

[1]انظر : ابن كثير ،**تفسير القرآن العظيم**، ج(٣) ، ص(٢٣٢) . والشعراوي، **(تفسير سورة المائدة ، الآية ١١٦ –١٢٠)** https://www.youtube.com/watch?v=WXoGxEZx٨DQ

[2]انظر : المرجعين السابقين .

[3]انظر : الطبري ،**جامع البيان**، ج(٢٠) ، ص(٤١٨) . وابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(٢٢) ، ص(٢٣٧) .

الموقف الذي تعرض له النبي ﷺ ناسب ذكر اسم الله " الشهيد "، الذي فيه معنى النصرة للنبي ﷺ على قومه، فالله ﷻ الذي سيشهد له بالإخلاص في دعوته، سيشهد على قومه شهادة تؤدي إلى الاقتصاص منهم يوم القيامة .

ب : ورود عبارة (الله على كل شيء شهيد) مؤكدة بإنّ :

وردت عبارة (والله على كل شيء شهيد) مؤكدة بإنّ في أربعة مواضع من كتاب الله ﷻ .

١.في معرض الحديث عن أهل الأديان المختلفة من المسلمين والمشركين، والفصل بينهم يوم القيامة .

وذلك من خلال قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾(الحج : ١٧) .

يخبر – تعالى– عن أهل هذه الأديان المختلفة من المؤمنين، ومن سواهم من اليهود والصابئين والنصارى والمجوس، والذين أشركوا فعبدوا غير الله ﷻ معه؛ فإنه تعالى : ﴿ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ﴾ ، ويحكم بينهم بالعدل[١]، فليعبدوا الله – تعالى– كما شاءوا في الدنيا، إن شاءوا أن يتّبعوا النبي الأمّي فليتبعوه ولينصروه، ويحيوا سنته فهو شهيد على أعمالهم الصالحة، وحاضر معهم بسمعه وبصره وعلمه وتدبيره ، في كل لحظة يطيعونه فيها؛ فهي بشرى لهم بأنه لن يضيع أعمالهم، لأنّ الله – تعالى– الشاهد عليهم ليس كأي شاهد، فبعد أن يشهد لهم بالحق سيقضي لهم بالجنة، ويريحهم من عناء الدنيا .

وإن أرادوا أن لا يتّبعوا المرسلين فهم أحرار، فليشركوا بالله ﷻكما يشاءون، إن أرادوا أن بعبدوا البشر، أو الحجر، أو النار، أو النجوم، فسيأتي يوم يحاكمون فيه على أفعالهم، وليعلموا أنّ الله شهيد على ضلالهم، وإضلالهم للناس، فهو معهم في كل لحظة، حرّفوا فيها كتبه، وأنكروا ذكر خاتم النبيين، وحاربوا فيها المؤمنين، فسيأتي يوم يقفون بين يدي الشاهد العظيم، وسيشهد عليهم ويقضي لهم بالعذاب الأليم .

---

[١]انظر : ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، ج(٥) ، ص(٤٠٢) .

٢.الحديث عن إباحة ظهور المرأة على محارمها بغير حجاب.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّۚ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ٥٥ ﴾(الأحزاب : ٥٥) .

لا إثم على النساء في عدم الاحتجاب من آبائهن وأبنائهن، وسائر المحارم المذكورين في الآية بما في ذلك النساء المؤمنات، والعبيد المملوكين ؛ لشدة الحاجة إليهم في الخدمة، وكذلك أمر الله ﷻ النساء أن يتقينه ، حتى أمام هؤلاء المحارم ؛ فلايبدين من زينتهن ما ليس لهن أن يبدينه، أو يتركن الحجاب أمام غير المذكورين [١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴾ يشهد أعمال العباد ظاهرها وباطنها، وسيجزيهم عليها.[٢]

وهنا يظهر أنّ الكلام في بداية الآية كان بصيغة الغائب ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ ..﴾ ثم انتقل إلى الخطاب المباشر ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴾، وهذا الانتقال كما قال الزمخشري : للفت الانتباه، وللإشارة إلى أهميّة التقوى في هذه المواقف .[٣]

فالمؤمنات في هذا الموقف داخلات في عموم شهادة الله ﷻعلى كل شيء، **لكن على ماذا تكون هذه الشهادة إذا كانت الآية تتحدث عن الأمور المباحة ؟**

الجواب على هذا : أي وإن كان المذكورون محارماً للمرأة، فعليها أن تخاف الله ﷻ في الظهور عليهم، لئلا يجرها المباح إلى الوقوع في الحرام [٤]أو أنّ الله ﷻ معها في هذه المواقف التي يجب أن تكون مزينة بعاطفة الأبوة، والأخوة مع محارمها الرجال، أو حتى مع أخواتها المؤمنات من النساء، ولا يجب أن يتغير هذا الشعور، إلى شعور لا يرضي الله –عز وجل، وبخاصة أنه في الغالب لن يلاحظه أحد إلا الله ﷻ، فهذا تحذير للمؤمنات بأن لا يقعن في ما وقع فيه مَن خالف

---

[١]انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(١٤) ، ص(٢٣٠) . والتركي ، عبد الله بن عبد المحسن ومجموعة من علماء التفسير ،**التفسير الميسر**، ط(٢) ، (١٤٣٠هـ) ، ج(١) ، ص(٤٢٦) .

[٢] انظر : المرجعين السابقين .

[٣]انظر : الزمخشري ،**الكشاف**، ج(٣) ، ص(٥٦٦) .

[٤] انظر بتصرف : البقاعي ،**نظم الدرر**، ج(٦) ، ص(١٣١) .

فطرة الله ﷻ، ممن وقعوا في زنا المحارم، أو في الشذوذ الجنسي بين النساء، فعليها عدم المبالغة في التكشف على هؤلاء المذكورين، وبخاصة إذا لاحظت من بعضهم نظرات مريبة، لذلك ناسب ذكر اسم الله " الشهيد " في سياق الآية، لأن الشاهد يكون معك فيسمع ويرى ما يقع منك ومِن حولك، وسيشهد عليك يوم القيامة إن أسأت التصرف .

قال الإمام الرازي : " قوله تعالى :﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٗا﴾في غاية الحُسن في هذا الموضع ، وذلك لأن ما سبق من الآية فيه إشارة إلى جواز الخلوة بهم والتكشف لهم ، فقال : إن الله شاهد عند اختلاء بعضكم ببعض، فخلوتكم معهم مثل مِلْئِكُم بشهادة الله ﷻ فاتقوا "[1] ويدخل في معنى الآية أيضاً أنّ الله شهيد عليهنّ إن أظهرن زينتهن لغير المحارم . [2]

٣.الحثّ على إعطاء الموالي حقوقهم من التركة .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴾(النساء: ٣٣).

يخبرنا الله ﷻ أنّه جعل لكل واحد منا (موالي)[3]؛ أي ورثة يرثون مما ترك الوالدان والأقربون، والذين ﴿عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ أي الذين تحالفتم معهم (بالحِلف والمعاقدة) أي بالأيمان المؤكدة على النصرة، وإعطائهم شيئاً من الميراث ؛ فأعطوهم ما وعدتموهم،﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا﴾،أي إن الله ﷻ كان مُطَّلِعًا على كل شيء من أعمالكم وسيحاسبكم عليها .[4]

---

[1] الرازي ،**التفسير الكبير**، ج(٢٥) ، ص(١٨٣) .

[2] انظر : الزمخشري ،**الكشاف**، ج(٣) ، ص(٥٦٦) .

[3] **المولى**: أصله من ولي الشيء يليه، وهو إيصال الولاية في التصرف ، وهو لفظ مشترك يطلق على : المعتِق ، والمعتَق ، والناصر ، والوارث ، وصاحب العصبة . انظر : ابن أبي حاتم ، عبد الرحمن الرازي (ت : ٣٢٧هـ) ،**تفسير ابن أبي حاتم**، تحقيق : أسعد الطيب ، (المكتبة العصرية – صيدا) ، ج(٣) ، ص(٩٣٧) . وإلكيا الهرّاسي ، عماد الدين الطبري (٥٠٤هـ) ،**أحكام القرآن**، ط(٢) ، (دار الكتب العلمية – بيروت : ١٤٠٥هـ) ، ج(٢) ، ص(٤٤٤) .

[4] انظر : إلكيا الهرّاسي ،**أحكام القرآن**، ج(٢) ، ص(٤٤٦).وابن كثير ،**تفسير القرآن العظيم**، ج(٢) ، ص(٢٨٨).

ومناسبة هذه الآية أنّ الميراث في أول الإسلام كان يُستَحق بعدة أسباب منها الحلف والمعاقدة، وظل الأمر كذلك حتى نزلت آية : ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾ ﴾(الأنفال : ٧٥) فنسخت هذه الأسباب، وصار الميراث لأولي الأرحام دون غيرهم .

وقد ختمت الآية باسم الله " الشهيد" دون غيره لما فيه من الوعد والوعيد معاً[1]؛ وذلك لتذكيرهم بأنّ الله ﷻ شاهد ومطّلع عليهم إن قصّروا في إعطاء المذكورين حقوقهم، وهو شاهد لهم أيضاً إن أوفوا ولم يقصّروا في إعطائهم حقوقهم، ففي هذا تأكيد للمسلمين بأن يتقوا الله ﷻ فيهم .

٤.الحديث عن آيات الله في الآفاق والأنفس .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾(فصلت : ٥٣) .

سيأتي شرحها لا حقاً في (اسم الله الشهيد مسبوقاً بصيغة المضارع (يكفي)) .[2]

وقبل أن أنهي هذا الفرع لا بدّ من وقفة مع الموضوعات التي وردت فيها عبارة (الله على كل شيء شهيد) مقرونة بإنّ، إذ نجدها تدور حول الوعد والوعيد لأهل الأديان المختلفة وهذا يشير إلى أهميّة اختيار الدين الذي هو أساس الحياة في الدنيا والآخرة، وكذلك تتحدث عن الحثّ على إعطاء الحقوق لأصحابها وهذا يدلّ على ضرورة العدل والبعد عن ظلم العباد، وتتحدث أيضاً عن تقوى الله ﷻ في ظهور المرأة على المحارم وغير المحارم، وهذا يدل على أهميّة استشعار مراقبة العبد لربه حتى في القضايا المباحة، وتتحدث عن تحقُّق وقوع وعد الله ﷻ في الآفاق والأنفس، وهذه الموضوعات تعتبر مهمة، تحتاج للتأكيد عليها بإنّ، وتحتاج للتذكير بأنّ الله شاهد عليها بالذات وعلى كل شيء في هذا الوجود .

ثالثاً : اسم الله الشهيد مقروناً بصيغة " كفى" أو" يكفي" .

ورد اسم الله "الشهيد" مقروناً بصيغة الماضي (كفى)في ثماني آيات من كتاب الله – تعالى وورد بصيغة المضارع (يكفي) مرة واحدة فحسب، وسيأتي تفصيلها جميعاً :

---

[1] انظر : أبو السعود ،**إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** ، ج(٢) ، ص(١٧٣) .

[2] انظر : ص(٦٦) من هذه الرسالة .

أما معنى صيغة " **كفى**" فقد قال ابن فارس : " الكاف والفاء والحرف المعتل ؛ أصل يدل على الحَسْب الذي لا مستزاد فيه ".[1]

وقال أبو حيان : معنى كفى يفيد المبالغة في الشيء .[2]

من خلال ما سبق يتبيّن أنّ الآيات التي قرنت بصيغة الماضي (كفى) وصيغة المضارع (يكفي) ذات أهمية كبيرة، وذلك لأنّ فيها نوعين من المبالغة :

الأول : التعبير عن شهادة الله ﷻ بصيغة (كفى) أو (يكفي) وذلك لأنها تدل على المبالغة كما ذكرنا.

الثاني : التعبير عن شهادة الله ﷻ باسم الله " الشهيد " الذي يدل على صيغة المبالغة أيضاً .

أ. الآيات والموضوعات التي ورد من خلالها اسم الله الشهيد مسبوقاً بصيغة الماضي (كفى) :

١. في معرض الحديث عن تشاؤم المنافقين من النّبي محمد ﷺ والردّ عليهم، وذلك من خلال قوله تَعَالَىٰ:﴿... وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾ (النساء : ٧٨-٧٩) .

يخبرنا الله ﷻ عن المنافقين بأنّهم إن تصبهم نعمة من خصب ورخاء نسبوها إلى الله ﷻ،وإن تصبهم بلية من قحط وشدة أضافوها إلى الرسول ﷺ وقالوا : هي من عنده وبسببه، متشائمين منه ﷺ[3]، والسيئة تقع على البلية والمعصية، والحسنة تقع على النعمة والطاعة .[4]

ثم بعد ذلك يوجه الله ﷻ خطاباً عاماً بأنه : ما أصابك يا إنسان من حسنة فمن الله ﷻ ؛ تفضلا منه وإحساناً وامتحاناً، وما أصابك من سيئة فمن عندك ؛ لأنك السبب فيها بما اكتسبت يداك .[5]

---

[1] ابن فارس ، **مقاييس اللغة** ، ج(٥) ، ص(١٨٨) .

[2] انظر : أبو حيان ،**البحر المحيط**، ج(٢) ، ص(١٨٢) .

[3] انظر : الزمخشري ،**الكشاف** ، ج(١) ، ص(٥٦٩) .

[4] انظر : المرجع السابق .

[5] انظر : الزمخشري ،**الكشاف**، ج(١) ، ص(٥٧٠) .

﴿وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗا﴾ فيه بيان لجلالة منصبه ﷺومكانته عند الله –عز و جل– بعد بيان بطلان زعمهم الفاسد في نسب المصائب والسيئات إليه ﷺ .[1]

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾أي حسبك بالله شاهداً على أنه أرسلك للناس جميعا، وليس للعرب خاصة، وبما أنّ الله ﷻ شهد بذلك، فلا ينبغي لأحد أن يخرج عن طاعتك واتباعك، ولن يضرك تشاؤمهم[2]، وهو شهيد أيضا بينك وبينهم، بمعنى أنه حاكم بينك وبينهم، وهو شهيد على كفرهم وعنادهم .[3]

وناسب ذكر اسم الله (الشهيد) هنا لأنّ شهادة الله ﷻ فيها تسلية للنبي ﷺ عما يلاقيه من سوء أخلاق بعض الناس وجعله محلّاً للتشاؤم، فيخبره أنّ مهمته هي أداء الرسالة، وقد أدّاها ؛ والله ﷻ شاهد على ذلك .[4]

٢.الحديث عن شهادة الله ﷻ لنبيّه محمد ﷺبالرسالة، وذلك في قوله تعالى :﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ١٦٦﴾**(النساء –١٦٦)** .

وقد مر شرحها سابقاً في شهادة الله ﷻ لنبيّه محمد ﷺ بالرسالة .[5]

٣. الحديث عن الحكم بين المشركين وشركائهم الذين عبدوهم من دون الله ﷻ، يوم القيامة، وذلك من خلال قوله تعالى :

﴿ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ مَكَانَكُمۡ أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ فَزَيَّلۡنَا بَيۡنَهُمۡۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمۡ إِيَّانَا تَعۡبُدُونَ ٢٨ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ إِن كُنَّا عَنۡ عِبَادَتِكُمۡ لَغَٰفِلِينَ ٢٩ ﴾[6](يونس : ٢٨–٢٩) .

---

[1] انظر : أبو السعود،**إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج(٢) ، ص(٢٠٦) .

[2] انظر : الزمخشري ،**الكشاف**، ج(١) ، ص(٥٧٠) .

[3] انظر : ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم**، ج(٢) ، ص(٣٦٣) .

[4] انظر : الجزائري، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، ج(١) ، ص(٥١٢) .

[5] انظر : ص(٣٥) من هذه الرسالة .

[6] فزيلنا بينهم : ففرقنا بينهم . انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٨) ، ص(٣٣٣) .

هذه الآية تتحدث عن مشهد من مشاهد القيامة، حيث سيكون هناك ثلاثة فرقاء : فريق المؤمنين يشاهدون ويسمعون، وفريق المشركين الذين أشركوا مع الله ﷻ آلهة أخرى، وفريق الشركاء : وهم الأصنام التي عُبدت من دون الله ﷻ .

وفي حضرة القاضي الذي سيحكم بينهم وهو الله العظيم، يتمّ التفريق بينهم بعد أن كانوا مجتمعين ، ليُدلي كلٌّ منهم بشهادته .

يسأل الله ﷻ المشركين : هل عبدتموهم من دوني .

فيجيب المشركون : هم أمرونا بذلك .

فيسأل الله ﷻ الشركاء : هل أمرتموهم بعبادتكم ؟ [1]

فيجيب الشركاء بعد أن ينطقهم الله ﷻ :﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾أي إنكم لم تكونوا تعبدوننا على الحقيقة، وإنما كنتم تعبدون الشياطين الذين أمروكم أن تتخذوا لله ﷻ أنداداً .[2]

ثم يفوضون أمرهم إلى الله ﷻ بقولهم : ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾وفي هذا طلب منهم ؛ ليشهد الله ﷻ لهم ببراءتهم،ويحكم بينهم بالحق .[3]

وقوله تعالى : ﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ﴾؛ أي إننا لم نكن نشعر بعبادتكم، ولا نسمعكم ولا نبصركم، ولم نأمركم بعبادتنا ولم نرض بذلك .[4]

يتبيّن من قول الشركاء :﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾أنهم حريصون بشدّة على إثبات براءتهم أمام الله ﷻ، ويدل على ذلك أنهم أكدوا شهادتهم بالقَسَم[5] أولاً، وبصيغة كفى ثانياً، وباسم الله الشهيد ثالثاً، وهذا يدل على شدّة خوفهم، وتقطّع قلوبهم يوم القيامة .

---

[1] انظر بتصرف :ابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(١١) ، ص(١٢٥) .

[2] انظر بتصرف : الزمخشري ،**الكشاف**، ج(٢) ، ص(٣٢٨) .

[3] انظر : ابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(١١) ، ص(١٢٥) . وطنطاوي ،**الوسيط** ، ج(٧) ، ص(٦٢) .

[4] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٨) ، ص(٣٣٣). والبقاعي ،**نظم الدرر** ،ج(٣) ، ص(٤٣٦).

[5] قوله تعالى : ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ هو جملة مؤكدّة بالقسم ، وجواب القسم هو : ﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ . انظر : ابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(١١) ، ص(١٢٥) .

٤. الحديث عن ادّعاء المشركين بأنّ النّبي محمداً ﷺ غير مرسل من ربه .

وذلك من خلال قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ٤٣ ﴾(الرعد : ٤٣) .

بعد أن ادّعى الكفار أنّ النبيَّ محمداً ﷺ ليس مرسلاً من عند ربه، قال الله – تعالى – له :﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ﴾ أي كفى به شهيداً على صدقي وكذبكم ؛ فهو شاهد على تأييد رسالتي بما أظهر من الآيات، وأوضح من الدلائل، وهو شاهد على تكذيبكم لرسالتي وشهادته تعني أنه سيحكم بيننا يوم القيامة وسيحاسبكم على كذبكم[١]، وسيأتي توضيح شهادة (من عنده علم الكتاب في الصفحات القادمة) [٢].

٥. الحديث أنّ الله ﷻ يبعث الرسول من نفس جنس المرسل إليهم .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٤ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ٩٥ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾(الإسراء: ٩٤-٩٦) .

عندما اعترض المشركون على بشرية الرسول المبعوث إليهم من عند الله – تعالى– وطلبوا منه طلبات لا يقدر عليها البشر كتفجير ينابيع الماء، أو إسقاط السماء عليهم كَسَفاً، أو الرقي إلى السماء[٣]، وادّعوا أنّ عدم قدرته على تلبية طلباتهم هو سبب رفضهم لنبوّة محمد ﷺ؛ أخبرهم الله ﷻ أنه لا يبعث رسولاً إلا من جنس المرسل إليهم ؛ تيسيراً ورحمة بالناس .[٤]

وقوله تعالى :﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ﴾أي كفى بالله ﷻ حاكماً بيني وبينكم، وشاهداً عليكم بالكذب، وعلى أنني بشر رسول من عنده .[٥]

---

[١] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٩) ، ص(٣٣٥) .

[٢] انظر : ص(١٢٨) من هذه الرسالة .

[٣] انظر : الآيات (٩٠-٩٣) من سورة الإسراء .

[٤] انظر : ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم**، ج(٥) ، ص(١٢٢) .

[٥] انظر : المرجع السابق .

٦. الحديث عن اشتراط المشركين الآيات الشاهدة حتى يؤمنوا بالنبي محمدﷺ.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾(العنكبوت : ٥٠-٥٢) .

بعد أن طلب المشركون من النبي محمد ﷺ إنزال المعجزات كما نزلت على الأنبياء السابقين، رد الله – تعالى – عليهم قائلاً لهم : أولم يكفهم أنّ القرآن خير معجزة لهم، ثم أمر الله رسوله ﷺ أن يستشهد به على أنّه مرسل من ربه، وهذا القرآن هو كتابه، وهو خير معجزة لهم . [١]

وشهادة الله هنا تعني حكمه بين النبي ﷺ وبين الكافرين به، وحكمه بينهم يعني دفاعه عن نبيّه وتعني حسابه لهؤلاء الكفار، وصيغة كفى تعني أنّه لا حاكم مثل الله – تعالى بينهم .

٧. الحديث عن ادّعاء المشركين بأنّ النّبي محمداًﷺ **قد افترى القرآن من عنده، والردّ عليهم**

وذلك من خلال قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ ﴾(الأحقاف : ٨) .

يردُّ الله ﷻ على الذين يقولون : إنّ القرآن مفترى من عند نبيه محمد ﷺ على لسان نبيه ﷺ: إن كنتُ قد فعلت ذلك فرضاً، فأنتم لا تملكون لي من الله ﷻ شيئاً،إن أراد أن ينزل عذابه عليّ، وهو أعلم بما تخوضون فيه من الطعن والقدح[٢]،﴿كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾أي كفى به حاكماً بيني وبينكم، وشاهداً على كذبكم، وهو شاهد لي بالصدق والبلاغ، وببراءتي مما رميتموني به، وسوف يحكم بيننا يوم القيامة[٣]، وفي هذا تعريض بطلب الإقلاع عما هم فيه من الخوض في الباطل، قبل أن يحاكموا على كذبهم من الله الشهيد . [٤]

---

[١] انظر : البغوي ، **معالم التنزيل**، ج(٦) ، ص(٢٥٠) .

[٢] انظر: القرطبي ،**الجامع لأحكام القران**، ج(١٦) ، ص(١٨٤) . وابن عاشور ،**التحرير**، ج(٢٦) ، ص(١٤-١٦) .

[٣] انظر: الزمخشري ،**الكشاف**، ج(٤) ، ص(٣٠٠) .

[٤] انظر : ابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(٢٦) ، ص(١٤-١٦) .

٨. **الحديث عن نعمة إرسال الله ﷻ لنبيه محمد بالهدى ودين الحق،** وذلك من خلال قوله تعالى :﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٢٨﴾ ﴾(الفتح : ٢٨) .

يخبرنا الله ﷻ عن إرسال خاتم النبيين محمدٍ ﷺ داعياً بالهدى وهو القرآن العظيم، وما يحويه من أصول الدين والإيمان، وبدين الحق وهو الشرائع التي تقوم بها حياة الناس، حتى يظهر على الأديان الأخرى،[١]وهذا وعد من الله ﷻ **بأنّ دين الإسلام سيسود العالم،** وقد أشهد الله ﷻ نفسه على هذا الوعد بقوله :﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾أي وحسبك به شاهداً على صدق دعوتك .[٢]

حتى يزيد يقين المؤمنين بأنّ وعد الله ﷻ آتٍ لا محالة ؛ مهما اشتد الظلم وتأخر النصر، وقد بدأت بوادر هذا الوعد بفتح مكة، وما تبعها من بلاد المسلمين في عهد النبي ﷺوخلفائه الراشدين – رضي الله عنهم، ولا يزال هذا الوعد قائماً إلى يوم القيامة ؛ فمهما طال الزمان سوف تعود بلاد المسلمين إلى حكم المسلمين ؛ وسوف يظهر الإسلام على جميع الأديان كما وعدنا الله ﷻ وهذا يعني أنّ الله ﷻ سيبطل الباطل، وإن علت شوكته وطال زمانه، وأنّ الغلبة للإسلام في النهاية .[٣]

من خلال النظر إلى الآيات التي سُبقت بصيغة الماضي (كفى) يتبيّن لي أنّ جميعها يدور حول الدّفاع عن النبي ﷺ وعن الإسلام، وعن الحكم بينه وبين معارضيه، ما عدا موضعٍ واحدٍ جاءت فيه عن الحكم بين المشركين وبين شركائهم الذين عبدوهم من دون اللهﷻ يوم القيامة، وهذا يدل على أنّ من أقوى معاني اسم الله (الشهيد) هو الحاكم، ويدل على أنّ أكثر ما يحكم الله ﷻ به ويدافع عنه هو دينه ونبيّه ﷺ.

ب.**الآيات والموضوعات التي ورد من خلالها اسم الله الشهيد مسبوقاً بصيغة المضارع (يكفي).**

ورد اسم الله الشهيد مسبوقاً بصيغة المضارع (يكفي) في موضع واحد من كتاب الله ﷻ

---

[١]انظر : الطبري ،**جامع البيان،** ج(٢٢) ، ص(٢٦٠) . وابن عاشور ،**التحرير والتنوير،ج(٢٦) ، ص(٢٠١)** .

[٢]انظر : الطبري ،**جامع البيان،** ج(٢٢) ، ص(٢٦١) .

[٣]انظر بتصرف : الطبري ،**جامع البيان عن تأويل آي القرآن،** ج(٢٢) ، ص(٢٦١) . وابن عاشور ،**التحرير والتنوير،** ج(٢٦) ،ص(٢٠٢).

في سياق الحديث عن آيات الله ﷻ في الآفاق والأنفس، وذلك في قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾(فصلت : ٥٢-٥٣) .

في هذه الآية توبيخ للكفار الذين لا يصدّقون أنّ القرآن الكريم من عند الله ﷻ، فإنّ الله ﷻ قد وعدهم أنّه سيريهم دلائله وحججه وقدرته، في أنفسهم، وفي البلاد البعيدة، من الفتوحات الإسلامية، وما سيكتشفونه من أنواع الإعجاز العلمي في المستقبل في السموات والأرض بأنّ القرآن حق منزل من عند الله ﷻ . [١]

وقوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ ﴾ :هذه الجملة لتوبيخهم وتقريعهم [٢]، والمعنى : " ألم يغن هؤلاء الجاحدين عن الآيات الموعودة الدالة على صحة هذا الدين ، أن ربك – أيها الرسول الكريم – شهيد على كل شيء، وأنّك صادق فيما تبلغه عنه ... بلى إنّ في شهادة ربك وعلمه بكل شيء ما يغنيك عن كل شيء سواه ".[٣]

وقد يسأل سائل لماذا جيء بالفعل المضارع (يكفي) في هذه الآية على خلاف باقي الآيات التي سبقت بالفعل الماضي (كفى) ؟

الجواب على ذلك لتناسب صيغة (يكفي) مع أداة الاستفهام التقريري(أولم)، ولتناسبها مع الفعل المضارع المقرون بسين الاستقبال (سنريهم)، ولزيادة تقريع الكفار ؛ فهذا الخطاب حاضر ومستقبل لهم في كل زمان ومكان . [٤]

---

[١] انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج(٧) ، ص(١٨٦) . وطنطاوي ،**الوسيط** ، ج(١٢) ، ص(٣٦٦).

[٢] انظر : الشوكاني ، **فتح القدير**، ج(٤) ، ص(٥٩٩) .

[٣] طنطاوي ،**الوسيط**، ج(١٢) ، ص(٣٦٧) .

[٤] سؤال موجه للدكتور : **الأطرش، عطية صدقي**، تاريخ المعلومة ، ١ - ٣ - ١٤٣٨هـ \ ٢٠١٧ .

الفرع الثالث : الآثار المترتبة على الإيمان باسم الله "الشهيد" .

عندما يستشعر العبد معنى اسم الله " الشهيد" فإنه يترتب على ذلك آثار عديدة :

١. مراقبة العبد لربه في جميع أعماله ؛ وذلك لأنّه يستشعر أنّ الله شهيد على جميع أعماله ؛ فلا يعمل إلا صالحاً .

٢. الخوف من الحساب في الآخرة ؛ لأنّ الله " الشهيد" في الدنيا هو الذي سيشهد على الناس في الآخرة .

٣. تسلية المؤمنين المستضعفين أو المظلومين ؛ لأنّ من أهمّ معاني اسم الله " الشهيد" هو الحَكَم الذي سيفصل بينهم وبين من ظلمهم يوم القيامة .

٤. زيادة الإخلاص في العمل ؛ لأنّ الله ﷻ هو الشهيد على ما في القلوب ؛ وإن شهد النّاس ظاهر العمل ؛ فليس المهم شهادتهم ؛ وإنما شهادة الله ﷻ ورضاه .

٤. زيادة الشوق إلى لقاء الله ﷻ، فالمؤمن المخلص في عمله يحبّ أن يشهد الله ﷻ له يوم القيامة بالإيمان ؛ ويحكم له بالجنة .

وبالنّظر إلى الآيات التي ورد فيها اسم الله " الشهيد " يتبين لي أنّ محور الآيات بشكل عام يدور حول :

التذكير بالآخرة والبعث والنشور، ومشاهد الفصل بين العباد، والتحذير من بعض الأمور مثل الرجوع إلى الله ﷻ، ومحاسبة العباد على أعمالهم، كالشرك بالله ﷻ أو الكذب عليه ﷻ، أو إيذاء النبي ﷺ، أو ظلم المؤمنين وفتنتهم، أو الفصل بين المشركين وشركائهم الذين عبدوهم من دون الله ﷻ، والحديث عن نعمة إرسال النبي ﷺ بالهدى ودين الحق، والحديث عن نعمة الإسلام وأنّ الله ﷻ سينجز وعده بإظهار آياته في الآفاق وفي الأنفس، وهذه الموضوعات جميعها ناسبت التذكير باسم الله الشهيد دون غيره من أسماء الله الحسنى، وفيها إشارة إلى أنّ معنى الشهيد هو الحاكم الذي حَكَم بإظهار دينه في الدنيا والآخرة، وهو الحاكم الذي سيحكم بين عباده يوم القيامة وسيجزيهم بحسب أعمالهم .

المطلب الثالث : صفة الله "عالم الغيب والشهادة" .

الفرع الأول : معنى صفة الله " عالم الغيب والشهادة " .

العالِم : صفة من صفات الله ﷻ ثابتة في الكتاب والسنة، وهي مشتقة من العِلم، والعلم نقيض الجهل، وهو معرفة الأشياء على حقائقها .[١]

وعلم الله ﷻ مطلق غير محدود، فهو العالم بما كان وما سيكون، ويعلم ظاهر الأشياء وباطنها معاً [٢] .

الغيب : ضد الشهادة ، وهو كل ما غاب عن حواس الإنسان وعلمه .[٣]

ويدخل في هذا عالَم الملائكة الكرام ، وعالَم الجن والشياطين ، وعِلم المستقبل .... وغيره مما يغيب عن علم الإنسان، ويقال : غابت الشمس ؛ إذا استترت عن العين، ويقال : امرأة مغيّبة ؛ إذا غاب عنها زوجها .[٤]

الشهادة : ما يشهده ويعاينه الناس بحواسهم وأبصارهم،ويقال: امرأة مُشْهِد ؛ إذا حضرها زوجها.[٥]

وصفة الله عالِم الغيب والشهادة تعني : أنّ الله ﷻ قد أحاط بعِلم الغيب كله، وهو الشاهد على عِلم الشهادة كله .[٦]

---

[١] انظر : الزجاجي ،**اشتقاق أسماء الله** ﷻ، ج(١) ، ص(٥١- ٥٢) .

[٢] انظر : المرجع السابق .

[٣] انظر : الأصفهاني ،**المفردات في غريب القرآن**، ص(٦١٦) .

[٤] انظر : المرجع السابق .

[٥] انظر : الأصفهاني ،**المفردات في غريب القرآن**، ص(٤٦٥)

[٦] جامعة القصيم ، الدراسات العليا،كلية الشريعة،(**عالم الغيب والشهادة**) ، موقع : طريق الإسلام، ٢- ٢ - ١٤٢٨هـ . https://ar.islamway.net/article/٧٦٩٩/

الفرع الثاني : الآيات والموضوعات التي ذكرت من خلالها صفة الله " عالم الغيب والشهادة" .

ذكرت صفة الله " عالم الغيب والشهادة " في عشر آيات من كتابه الكريم، ووردت في بعض الآيات مقرونة بصفات أخرى لله ﷻ كالعزيز الرحيم، والعزيز الحكيم، والكبير المتعال .

وسأستعرض **الآيات والموضوعات التي وردت فيها هذه الصفة :**

١.**في معرض الحديث عن نفي الشرك**، وذلك من خلال قوله تعالى :﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(المؤمنون : ٩١ –٩٢) .

يردّ الله ﷻ على المشركين الذين ادّعوا أنّ للكون إلهين أو أنّ له ولداً ؛ بنفي هذا الادّعاء عن نفسه ؛ ويجيبهم الله ﷻعلى قدر عقولهم، بأنه لو كان هناك إلهان لانقسم الكون، ولتقاتل الإلهان، فتعالى عما يشركون، (سبحان الله عما يصفون) فهو (عالم الغيب والشهادة) في هذا الكون المحكم التدبير[١]، وقد ناسب ذكر صفة الله (عالم الغيب والشهادة) في هذا الموضع لأنّه العالِم بعلمه المطلق بما كان يحصل في الكون من أمور لو كان الأمر كما يدّعون.

٢. **الحديث عن خلق السموات والأرض والنّفخ في الصور**؛ وذلك من خلال قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ **(الأنعام :٧٣) .**

يخبرنا الله – تعالى ؛ أنه خلق السموات والأرض من أجل إقامة الحق عليها، أي إقامة دين الله في الأرض، واذكروا أيها الناس ؛ يوم القيامة ؛ عندما يقول الله ﷻ" كن فيكون" لما يشاء أن يكون، فقول الله ﷻ كله حق (يوم ينفخ في الصور) النفخة الثانية، التي تعود بها الأرواح إلى

[١] انظر : ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم**، ج(٥) ، ص(٤٩١) .

الأجساد، فهو دائما وأبداً (عالم الغيب والشهادة)[1]، وفي هذه اللحظات خاصة، فقد علم ما كان من الإنسان في الدنيا من عمل صالح أو غير صالح، علم بذلك في علم الغيب قبل أن يخلقه، وعلم ما كان منه عندما عمل في عالَم الشهادة، وهو العالِم بما سيكون مصيره إما إلى الجنة أو إلى النار، وقد أخبرنا الله ﷻعن أخبار هذا الغيب في الدنيا، وهو ما سنشاهده يوم القيامة مشاهدة البصر، فاتق الله أيها الإنسان قبل أن ترد إلى عالم الغيب والشهادة .

٣. **الحديث عن حسن تدبير الله ﷻلأوامره من السماء إلى الأرض**،وذلك من خلال قوله تعالى :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ﴾(السجدة : ٤- ٦) .

يخبرنا الله – تعالى – أنّه (يدبر الأمر)أي ينزل أوامره بحكمته وتدبيره من السماء والأرض، ثم يعرج الأمر إليه في يوم القيامة الذي مقداره (ألف سنة)، ذلك المدبّر العظيم هو (عالم الغيب والشهادة)[2] الذي يعلم ما يغيب وما يشاهد في السماء والأرض، ويعلم ما يصلح للسماء والأرض من قضاء وقدر، فينزله بحسب علمه غير المحدود، وإن كان في بعض الأحيان ظاهره الشر، فإنه نزل بعلم الله " عالم الغيب والشهادة " ، العزيز على الكفار، الرحيم بالمؤمنين .

٤ .**الحديث عن الدّعاء بصفات الله " فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة "، والحكم بين العباد يوم القيامة**، وذلك من خلال قوله تعالى :

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾(الزمر –٤٦) .

---

[1] انظر : البقاعي ،**نظم الدرر** ، ج(٢) ، ص(٦٥٦) .

[2] انظر : ابن عطية ،**المحرر الوجيز** ، ج(٤) ، ص(٤١٣) .

يأمر الله ﷻ نبيه، وسائر المؤمنين أن يدعوه بصفاته العليا ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ ، فالله تعالى هو فاطر السموات والأرض، أي المبدع لها من غير مثال سابق، وهو أيضاً (عالم الغيب والشهادة)، وهو الذي يحكم بين عباده يوم القيامة .[1]

وقد جيء بصفة الله عالم الغيب والشهادة مقرونةً بصفة الله الفاطر ؛ وذلك لنعلم أنّ الله الذي فطر السماوات والأرض، ليس خلقها وأبدعها فحسب ، وإنما هو محيط بما فيها من عالَم الغيب والشهادة، فهو العالِم بما في السماء من مجرات وأجرام وعوالم لا نعلمها، وما يحدث فيها من تغيرات وأحداث في كل لحظة .

فالإنسان لا يعلم حتى الألوان الحقيقية للأشياء التي يشاهدها، مثلاً : الوردة البيضاء يراها الإنسان بيضاء، وتراها النحلة زرقاء، ويراها الكلب رمادية، وذلك بحسب تركيبة عيونهم، فإذا كان الإنسان يدّعي أنه يعلم حقيقة عالَم الشهادة، فهو مخطئ، ولا يتعدّى علمه منها إلا ظاهراً من الحياة الدنيا .[2]

والله ﷻهو عالم الغيب والشهادة أيضاً في موقف الحُكم بين العباد يوم القيامة، على اختلافهم في عقائدهم، وفي معاملاتهم، فأكثرهم يدّعي أنه على حق، لكنّهﷻ هو الأعلم منهم، وهو الذي سيبين الحق لهم، و يحكم بينهم بالعدل يوم القيامة .

٥.**الحديث عن أسماء الله الحسنى وصفاته العليا**؛ وذلك من خلال قوله تعالى :﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(الحشر : ٢٢)

في أواخر سورة الحشر، يصف الله ﷻ نفسه بأنه واحد لا إله إلا هو، ثم يثني على نفسه بأنه (عالم الغيب والشهادة)، فهذه الصفة من أهم صفاته سبحانه، فهو يعلم عن عباده ظاهرهم وباطنهم، وسرهم وعلانيتهم[3]،ويعلم ضعفهم، في هذه الحياة الدنيا، لذلك قال في تتمة الآية (هو الرحمن الرحيم) فهو رحيم بهم، وقد قرن الله – تعالى– علمه بالغيب والشهادة بكونه

---

[1] انظر : البقاعي ، **نظم الدرر**، ج(٦) ، ص(٤٥٧) .

[2] انظر : الدمرداش ، صبري(ت : ١٤٣٧هـ) ،(**عالم الغيب والشهادة)** ، برنامج : زدني علماً .
https://www.youtube.com/watch?v=XzHhGHHNtXw

[3] انظر : ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم**، ج(٨) ، ص(٩٧) .

(الرحمن الرحيم) فوَصْفُ الله نفسه بعالم الغيب والشهادة، يكون أدعى لرحمة عباده، فالله يعلم أنّ من حولِ الإنسان شيطاناً يوسوس له ، وشهوة تضعفه، ونفس تأمره بالسوء، ومجتَمع يثبطه، ومع ذلك يجاهد نفسه ويبقى على عهده مع الله ﷻ، وقد يزلُّ في بعض الأحيان، فالله ﷻ الذي يعلم عنه كل هذا سوف يرحمه، فهو (عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم) .

٦. **الحديث عن علم الله ﷻ لما في الأرحام** ؛ وذلك من خلال قوله تعالى :﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ۝٨ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ۝٩ ﴾(الرعد : ٨-٩) .

يخبرنا الله ﷻ في هذه الآية أنّه يعلم كل شيء عن الجنين الذي (تحمله كل أنثى)، ويعلم (ما تغيض الأرحام وما تزداد) من دم الحيض أو مدة الحمل، (وكل شيء عنده بمقدار)،أي بقدر، سواء في الرزق أو في الأجل[١]أو في نظام الكون، وهو (عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال) الذي خص نفسه بتلك الغيوب، وأطلعنا على بعض منها في عالَم الشهادة، فمهما عرف الأطباء عن الجنين، فلن يعرفوا أجله ولا رزقه، وهل هو شقي أم سعيد، أو كم سيمكث في بطن أمه، فسبحان عالم الغيب والشهادة .

٧.**الحديث عن الإنفاق في سبيل الله** ﷻ، وذلك من خلال قوله تعالى : ﴿ إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ۝١٧ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١٨ ﴾(التغابن : ١٧ – ١٨) .

أي ما أنفقتم من مال في طاعة الله ﷻ، فكأنكم تقدمونه إلى الله ﷻ، وهو الذي سيضاعف لكم أجره، ويغفر لكم ذنوبكم ويشكر لكم أعمالكم[٢]، فالله هو (عالم الغيب والشهادة) الذي يعلم أحوال العباد ظاهرها وباطنها، فلن يضيع شيئاً من أجرهم، فعليهم أن يتوكلوا على الله الذي عنده الرزق في عالَم الغيب والشهادة فلا يبخلوا في الإنفاق، وعليهم مقابل ذلك أن يخلصوا النيّة في الإنفاق لأنّ الله ﷻ لا يقبل الشرك في العمل فهو(العزيز) عن الشرك (الحكيم) بعباده .

---

[١]انظر : الزمخشري ،**الكشاف** ، ج(٢) ، ص(٤٨٦) . وابن كثير ،**تفسير القرآن العظيم** ، ج(٤) ، ص(٤٣٦).

[٢]انظر : ابن كثير ،**تفسير القرآن العظيم**، ج(٨) ، ص(١٤١) .

٨.الحديث عن تحذير الإنسان من الرد إلى الله " عالِم الغيب والشهادة " .

وردت صفة الله " عالِم الغيب والشهادة " مقرونة بتحذير الإنسان من الرد إلى الله في ثلاثة مواضع من كتاب الله – تعالى :

الموضع الأول : الحديث عن ترغيب المؤمنين بالعمل الصالح ولقاء الله ﷻ؛وذلك من خلال قوله تعالى:﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾(التوبة : ١٠٥) .

يحثُّ الله – تعالى – المؤمنين في هذه الآية على العمل الصالح، لأنه سيأتي يوم تعرض فيه أعمالهم على الله ورسوله، وفي هذا اليوم سيردّ الإنسان إلى (عالم الغيب والشهادة)، فينبئه عن كل صغيرة وكبيرة عملها . [١]

وقد جيء بصفة الله (عالم الغيب والشهادة) في هذا الموقف ؛ كي يتذكر الإنسان عندما يهم بعمل سيء بأنّ الله عالِم الغيب يراه إن كان لا يراه أحد، وعندما يهم بعمل الخير بأنّ الله عالِم الشهادة يعلم إن كان عمله المشهود للناس خالص النيّة لله – تعالى، أم أُريد به رضا الناس، وبأنّ مصيره أن يردّ وحده إلى اللهﷻ ولن ينفعه أحد، وفي هذا السياق أيضاً ؛ ترغيب للمؤمنين بأن يكثروا من العمل الصالح، حتى يقفوا في موقف مشرّف يوم القيامة أمام الله عالِم الغيب الذي يحبّ من العمل أخلصه .

الموضع الثاني : الحديث عن الموت ولقاء الله في الآخرة، وذلك من خلال قوله تعالى :

﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨ ﴾(سورة الجمعة : ٨) .

هذه الآية هي تتمة لما قبلها من الآيات[٢] التي تتحدث عن اليهود الذين يزعمون أنهم أولياءُ لله ﷻ، محبون له، يطلب الله منهم أن يتمنوا الموت ولقاء من يحبون، كما يزعمون، لكنّ الله يخبرهم بأنهم سوف يموتون لا محالة ، وإن كانوا يخافون من الموت ويفرون منه، وذلك لأنهم يكرهون لقاء الله (عالم الغيب والشهادة)، الذي سينبئهم بقبيح أعمالهم التي عملوها .[٣]

---

[١]انظر : ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم**، ج(٤) ، ص(٢٠٩) .

[٢] انظر : سورة الجمعة، الآيات (٥– ٧) .

[٣]انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن** ، ج(١٨) ، ص(٩٦) .

الموضع الثالث : الحديث عن المنافقين الذين يبدون الأعذار في التخلف عن الجهاد في سبيل اللهﷻ، وذلك من خلال قوله تعالى : ﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾(التوبة : ٩٤) .

يخبرنا الله- تعالى – عن المنافقين بأنهم يعتذرون للمؤمنين العائدين من غزوة تبوك، بعدم خروجهم معهم، ويوجه الله- تعالى- المؤمنين بأن لا يلتفتوا لأعذارهم ؛ لأنّ الله ﷻ قد نبّأهم من خلال آيات القرآن أنهم كاذبون في أعذارهم، وإن حاولوا مراجعة أنفسهم والعودة إلى الحق ؛ فليعملوا ليوم سوف تعرض أعمالهم فيه على الله ورسوله ﷺ، وسوف يحاسبهم الله الخبير بهم (عالم الغيب والشهادة)[1]فهو العالم بنفاقهم، وسبب تخلّفهم عن الجهاد، وإن كانوا يظهرون لكم أنهم أصحاب أعذار حقيقية، وهو أعلم بمصيرهم يوم القيامة، فلن يستطيعوا أن يكذبوا على الله – تعالى- عندما يقفون بين يديه ؛ كما كانوا يكذبون على المؤمنين .

لكن **ألا يكفي أن يذكّرهم الله – تعالى- بأنّه سيرى صحيفة أعمالهم هو ورسوله الكريم، حتى يذكّرهم بعد ذلك أنهم عائدون إلى (عالم الغيب والشهادة) ؟**

قد يدل هذا على أنّهم سيقفون في موقفٍ خاصٍ، يختلف عن وقفتهم معه أمام الرسول الكريم، فموقفهم مع الرسول الكريم هو موقف تشهير وخزي، أما موقفهم الثاني وحيدين أمام من يعلم الغيب والشهادة فهو أصعب، وأنكل بهم .

وبالنظر إلى الآيات الثلاث التي ذُكرت فيها صفة الله (عالم الغيب والشهادة) مقرونة بالتحذير من الردّ إلى الله ؛ نجدها تتحدث عن الموت ولقاء الله ﷻ في الآخرة، ونجدها موجّهة بالدرجة الأولى إلى المؤمنين، والمنافقين، واليهود، مع العلم أنه يدخل في معناها أيضاً جميع النّاس، وهذا يجعلنا نستعد لذلك اليوم الذي نردّ فيه إلى عالم الغيب والشهادة .

---

[1] انظر : الطبري ، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج(١٤) ، ص (٤٢٤) . وابن عاشور ،**التحرير والتنوير** ، ج(١١) ، ص(٧) .

الفرع الثالث :الآثار المترتبة على الإيمان بصفة الله " عالم الغيب والشهادة " .

يترتب على الإيمان بصفة الله " عالم الغيب والشهادة " الآثار التالية :

١. زيادة خشية الله ﷻ في السرّ والعلن، فالله لا يخفى عليه شيء، وإن كانت المعصية لا يراها الناس .

٢. الإخلاص في العمل الصالح، وتجديد النية دائماً، لأن الله (عالم الغيب والشهادة)، هو أعلم بما يخفى في القلوب، وما يظهر من الأعمال .

٣. الدعاء والتقرب إلى الله ﷻ بهذه الصفة .

وبالنظر إلى جميع الآيات التي ذكرت فيها صفة الله (عالم الغيب والشهادة) نجدها تدور حول حسن تدبير الله ﷻ في السموات والأرض، والحديث عما في الأرحام، وعن الإنفاق في سبيل الله ﷻ، والدعاء بصفة الله (عالم الغيب والشهادة)، وتحذير الإنسان من الردّ إلى الله ﷻ، والحديث عن الآخرة والنفخ في الصور ، وعن نفي الشرك، وكل ما تحدثت عنه تلك الآيات هي موضوعات عظيمة، تشير إلى عظمة (عالم الغيب والشهادة) .

وفي ختام هذا المبحث نجد أنّ الله ﷻ هو الشهيد على عباده كلهم بمعنى علمه بأحوالهم، وهو شهيد لأنبياءه، وشهادته لهم تحمل معنى الحكم بصدقهم والدفاع عنهم وعن أتباعهم من المؤمنين،وهو شهيد أيضاً على الكفار،وشهادته عليهم تحمل معنى إعلامهم بسيئاتهم والحكم عليهم بالنار يوم القيامة، وهذه المعاني تحمل المؤمن على العمل الصالح الذي يجعل الله شاهداً له، لا شاهداً عليه يوم القيامة .

المبحث الثالث : شهادة الإنسان .

في هذا المبحث سوف أستعرض شهادة الإنسان التي وردت في القرآن الكريم بصريح لفظ الشهادة، والتي تتحدث عن موضوعين اثنين ؛ الأول : عن شهادة الإنسان الفطرية وإقراره بربوبية الله ﷻ في عالم الذّر، والثاني : عن شهادة الإنسان على نفسه بلسان حاله، وذلك من خلال المطلبين الآتيين :

المطلب الأول : شهادة الإنسان على ربوبية الله ﷻ في عالم الذَّر .

وذلك من خلال قوله تعالى :﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾(الأعراف: ١٧٢) .

لقد خلق الله – تعالى– جميع البشر على هيئة الذّر، وأوقفهم في أعظم موقف مرّ على بني آدم قبل أن يولدوا ، كأنّه يوم الحشر، فهم مجتمعون بأعدادهم الهائلة، وألوانهم المختلفة، ولن يجتمعوا جميعاً مرة أخرى، إلا بعد أن يموتوا، ثم يُبعثوا جميعاً يوم القيامة، (مليارات) البشر ينتظرون ماذا يريد الله –تعالى– منهم ؟ ولماذا جمعهم ؟ .

لقد مسح الله – تعالى– على ظهر أبيهم آدم، وأخرجهم ليخبرهم بأنه خالقهم وربّهم الذي عليهم أن يعبدوه، ثم بعد أن عرفوا ذلك، أخذ عليهم العهد الذي جمعهم من أجله، وهو أن لا يعبدوا غيره في المستقبل، فقال لهم :(ألست بربكم)، فقالوا جميعاً : (بلى شهدنا)، أي شهدنا أمام بعضنا، وأقررنا واعترفنا أنّك أنت ربنا، ولن نعبد سواك، لكن شاء الله – تعالى– أن ينسى البشر ذلك الموقف وتلك الشهادة، التي نطقتها ألسنتهم ! فهل لا فائدة منها ؟ ولماذا جمعهم الله ﷻ؟ وأخذ عليهم العهد قبل أن يولدوا، مع أنه لن يعذبهم على ضلالهم إن لم يبعث لهم رسلاً ؟

كل هذه الأسئلة يجيب عليها شيء ما في داخلنا، وهو نداء الفطرة، ينادينا بأنّ لنا خالقاً، وأننا محتاجون لعبادته ؛ لذلك يشعر الإنسان براحة نفسية عندما يهتدي إلى الله – تعالى، لأنّ ذلك يتوافق مع فطرته التي بقيت على تلك الشهادة وذلك العهد، أما الملحدون أو الضالون فيشعرون بنقص وضيق في أنفسهم لأنهم خالفوا ما شهدوا به أمام الله ﷻ في يوم من الأيام، لذلك بعث الله ﷻ الرسل مذكّرة بهذا الميثاق، كي تقوم الحجة على البشر .

الحكمة من هذا العهد ؟؟ .

تتجلى الحكمة من هذا العهد في قول الله – تعالى – على لسان الملائكة – عليهم السلام :﴿أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾أي لئلا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا الميثاق، وهذه الشهادة غافلين ، ولم نُنَبّه إليه عن طريق الأنبياء .[1]

كيف كان أخذ الذرية ، وكيف كان الإشهاد؟ .

هناك رأيان للعلماء في هذه المسألة :

الأول : أخذُ الله – تعالى– الذرية لم يكن على الحقيقة، وإنما هو إيجاد البشر قرناً بعد قرن، وشهادتهم على أنفسهم تكون بنصب الأدلّة القاطعة التي تدل أنّ للكون خالقاً واحدا، وأنه مستحق للعبادة وحده، وعلى هذا يكون إشهاد الله – تعالى – لهم بقوله : (ألست بربكم)، وقولهم : (بلى) **بلسان الحال**، وليس بلسان المقال، وقال بهذا القول الزمخشري، وبه قال محمد رشيد رضا.[2]

الثاني : أنّ الله ﷻ أخرج جميع ذرية آدم من ظهور الآباء في صورة الذّر على الحقيقة، وأشهدهم بلسان المقال : (ألست بربكم)، فقالوا : (بلى)، ثم أرسل الله ﷻ الرسل الكرام بعد ذلك مذكرة بميثاق الله – تعالى – الذي نسيه البشر، وبه قال معظم المفسرين كالطبري، والقرطبي .[3] وهذا الرأي الأخير هو الراجح، ويدل عليه ظاهر الآية، وحديث ابن عباس – رضي الله عنهما – عن النبي– صلى الله عليه وسلم أنه قال:((أَخَذَ اللهُ ﷻ المِيثاقَ مِنْ ظَهْرِ آدمَ، فأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَهَا، فَنَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ ، قُبُلاً، قال: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوْا بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ))[4]،وقد روي مثل هذا الحديث

---

[1] انظر : البغوي ، **معالم التنزيل**، ج(٣) ، ص(٣٠٠) .

[2] انظر : الزمخشري ،**الكشاف**، ج(٢) ، ص(١٦٦) . ورضا ،**المنار**، ج(٩) ، ص(٣٢٦) . والشنقيطي ، محمد الأمين(ت: ١٣٩٣هـ) ،**أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (دار الفكر – بيروت : ١٤١٥هـ) ، ج(٢) ، ص(٤٢) .

[3] انظر : الطبري ،**جامع البيان**، ج(١٣) ، ص(٢٢٨) . **والقرطبي** ، **الجامع لأحكام القرآن**، ج(٧) ، ص(٣١٥) . والشنقيطي ،**أضواء البيان** ، ج(٢) ، ص(٤٣) .

[4] أخرجه : الحاكم ، محمد بن عبد الله النيسابوري(ت :٤٠٥ هـ) ،**المستدرك على الصحيحين**، تحقيق : مصطفى عطا ، تعليق : شمس الدين الذهبي ، (دار الكتب العلمية – بيروت : ١٤١١هـ) كتاب: الإيمان ، ج(١) ، ص(٨٠) ، ر(٧٥) ، قال الإمام الحاكم : "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" . والألباني ،=

والرأي عن أبي بن كعب وسعيد بن جبير[1] وعكرمة وقتادة والسدي[2].[3]

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أنّ الشهادة تدل على الفكرة التي سيعتقدها الإنسان طوال حياته، وأعظم شهادة علّمها الله – تعالى – للإنسان هي وحدانيته وربوبيته، وقد طلب الله – تعالى– من الإنسان أن يشهد بهذه الشهادة قبل أن يولد، وهذا يدل على عظيم قدرها، فهي الكلمات التي سوف تُغرس في فطرة الإنسان وعقله، وهي الفكرة التي سيحيى عليها، وهي التي بعث الله ﷻ الرسل من أجل التذكير بها، وهي التي سيُبنى مصير الإنسان عليها إمّا خلود في الجنة أو خلود في النار .

= محمد ناصر الدين(ت: ١٤٢٠هـ) ، **السلسلة الصحيحة**، (مكتبة المعارف – الرياض) ، ج(٤) ، ص(١٥٨) ،ر(١٦٢٣) ، قال الإمام الألباني : " الحديث موقوف على ابن عباس وهو كما قال ، وهذا الحديث يصح مرفوعاً لأنه في تفسير القرآن ، وله شواهد مرفوعة من الصحابة ".

[1] **سعيد بن جبير بن هشام** التابعي ، أخذ عن ابن عباس الفقه والتفسير والحديث ، فكان من أشهر التابعين تفسيراً للقرآن ، قتله الحجاج صبراً سنة (٩٥)هـ . انظر : الذهبي ،**سير أعلام النبلاء**، ج(٤) ، ص(٣٢٢-٣٢٤) .

[2] **إسماعيل بن عبد الرحمن السدي**، أحد موالي قريش ، وهو من التابعين ، ومن كبار المفسرين للقرآن الكريم ، روى الحديث عن كثير من الصحابة توفي سنة (١٢٧)هـ . انظر : الذهبي ،**سير أعلام النبلاء**، ج(٥) ، ص(٢٦٤-٢٦٥) .

[3] انظر : ابن كثير ،**تفسير القرآن العظيم**، ج(٣) ، ص(٥٠٥) .

المطلب الثاني : شهادة الإنسان على نفسه بلسان حاله :

ورد ذلك من خلال قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ٧ ﴾ (العاديات : ٦-٧) .

يخبرنا الله – تعالى- أنّ ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ﴾أي إنّ في طبعه كفر النعمة، على تفاوت بين الناس، بحسب أعمالهم، فقد يكون الإشراك بالله ﷻ كُنوداً، وقد يكون العصيان كُنوداً لنعمة الله ﷻ، وقد يكون التبذير كُنوداً، فكل تلك الفئات لم تشكر الله ﷻالذي أنعم عليها بجليل النعم حق شكره .[1]

وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ﴾ ، اختلف العلماء في مرجعية الضمير المتصل (الهاء) في (وإنه) هل هو عائد على الله ﷻ، أم على الإنسان ؟

فمنهم من قال إنّه عائد على الله ﷻ كمجاهد وابن عباس في رواية عنهما .[2]

ومنهم من قال إنّه عائد على الإنسان كمجاهد في رواية ثانية عنه، والحسن البصري، وابن جُزي وابن عاشور[3]، وهو الراجح كما يدل عليه ظاهر الآية من اتّساق الضمائر في الآيات التي بعدها، واتحاد المتحدَّث عنه في تتمة السورة : ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ٨ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ...﴾(العاديات: ٨-٩) .[4]

وعلى هذا يكون معنى الآية : إنّ الإنسان شاهد على نفسه ؛ أي مقر ومعترف بكفره لنعمة ربه[5]، وتدل صيغة شهيد على مبالغة الإنسان في شهادته على نفسه .

وتكون شهادة الإنسان على نفسه بكفر نعمة الله ﷻ، شهادةً بلسان حاله، كما في قوله تعالى عن المشركين : ﴿ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ ﴾(التوبة : ١٧) أي مقرين بذلك

---

[1] انظر : ابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(٢٠) ، ص(٥٠٣) .

[2] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٢٠) ، ص(١٦٢) .

[3] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٢٠) ، ص(١٦٢) . وابن جُزَي ، محمد بن أحمد(ت: ٧٤١هـ) ،**التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق : عبد الله الخالدي، (دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت : ١٤١٦هـ) ، ج(٢) ، ص(٥٠٦) . وابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(٢٠) ، ص(٥٠٣) .

[4] انظر : ابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(٢٠) ، ص(٥٠٥) .

[5] انظر : الشاذلي ،**البحر المديد**، ج(٨) ، ص(٥١٧) . والجزائري ،**أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، ج(٥) ، ص(٦٠٦) .

بلسان حالهم، وحتى لو لم ينطق الإنسان بلسانه الحقيقي فأحواله تكذّبه وتشهد عليه بكفره، ويكون الإنسان شاهداً على نفسه بكفر نعمة ربه ؛ بتذكُّره للمصائب دائماً، ونسيانه لنعم الله ﷻعليه ، وعدم شكره عليها، ويكون أيضاً بشحّه على نفسه وغيره، فهو لا يشارك غيره في نعم الله التي أعطاه الله ﷻ إياها، وهو أيضاً قليل الخير، حريص على جمع المال، مهتم بدنياه دون آخرته [1]،وقد يكون الإنسان شاهداً على نفسه بالخير أيضاً، فمظهره وأحواله تشهد عليه بالخير الذي في داخله، ويظهر هذا الخير من خلال أفعاله وأقواله .

وهكذا تبدأ رحلة الإنسان مع الشهادة، في عالَم الذّر أولاً يشهد بتوحيد ربه – عز وجل، ولا يخطر بباله مطلقاً أنه قد ينكر هذه الشهادة، ويشهد على نفسه بالكفر فيما بعد، فطوبى لمن ثبت على شهادة الفطرة ولم يبدّل أو يغيّر .

---

[1] انظر : الشاذلي ،**البحر المديد**، ج(٨) ، ص(٥١٧) . والجزائري ،**أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، ج(٥) ، ص(٦٠٦) .

المبحث الرابع : شهادة الأشهاد .

جعل الله ﷻ الخيار للإنسان في هذه الدنيا بأن يشهد على نفسه بما يشاء من توحيد الله ﷻ أو الكفر به ، وجعل له في الآخرة أشهاداً يشهدون عليه بما عمل به في الدنيا، وهذا ما سيأتي ذكره في هذا المبحث الذي سوف أستعرض فيه مفهوم كلمة الأشهاد، والآيات والموضوعات التي ذكرت من خلالها هذه الكلمة، ثم بعد ذلك سوف أستعرض أنواع الأشهاد، وذلك ضمن المطالب الآتية :

المطلب الأول : مفهوم الأشهاد والآيات والموضوعات التي وردت من خلالها هذه الكلمة .

أولاً : مفهوم " الأشهاد " :

الأشهاد : جمع شاهد مثل صاحب وأصحاب، ويجوز أن يكون جمع شهيد مثل شريف وأشراف وهو الحاضر أو المخبر بما رأى .[1]

والأشهاد هي : فئة من الخَلق يصطفيها الله ﷻ لتشهد على النّاس يوم القيامة .

وردت لفظة الأشهاد من خلال آيتين كريمتين ؛ الأولى في قوله تعالى:﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(هود: ١٨)، والثانية في قوله تعالى:﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾(غافر: ٥١) .

وقد اختلف المفسرون في الفئات التي تشملها كلمة(الأشهاد) على عدّة أقوال :

الأول : هم **الملائكة الحفظة**، وهو قول مجاهد، وابن جريج[2]، ودليلهم قوله تعالى :

﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾

---

[1] انظر : ابن جرير الطبري ، **جامع البيان** ، ج(١٥) ، ص(٢٨) . والرازي ، **التفسير الكبير**، ج(١٧) ، ص(٣٣٣) .

[2] **عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج** ، التابعي الرومي الأصل ، من كبار الفقهاء والقراء في عصره ، وهو أول من دوّن العلم ، صنّف الكتب بمكة ، توفي سنة(١٥٠هـ) .انظر : الذهبي ، **سير أعلام النبلاء** ،ج(٦) ، ص(٣٢٦-٣٣٦) .

(الانفطار: ٩-١٢) وهؤلاء الحفظة بما أنّهم يعلمون ما نفعل فسيشهدون علينا يوم القيامة .[١]

الثاني : هم **الأنبياء والمرسلون** ؛ وهو قول الضحاك، ومقاتل، ودليلهم قوله تعالى :﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾(النساء : ٤١)، وقد سمّى الله – تعالى – نبي كل أمّة شهيداً . [٢]

الثالث : هم **الخلائق أجمع** ؛ وهو قول قتادة : ودليله من حديث ابن عمر– رضي الله عنهما – عن النبيﷺ قال :((إِنَّ اللَّهَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – يُدْنِي الْمُؤْمِنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، يَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ ، فَيَقُولُ : أَيْ عَبْدِي تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا وَكَذَا ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ ، أَيْ رَبِّ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَيْ عَبْدِي ، تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا وَكَذَا ، فَيَقُولُ : نَعَمْ ، أَيْ رَبِّ ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ ، وَرَأَى نَفْسَهُ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ ، قَالَ : فَإِنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا ، وَقَدْ غَفَرْتُهَا لَكَ الْيَوْمَ ، ثُمَّ يُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾))[٣]، وفيه إشارة إلى الآية السابقة من سورة هود ؛ حيث ذكرت اللّعنة بعد ذكر الأشهاد (الذين هم الخلائق على رأيه) .[٤]

الرابع : الأشهاد أربعة وهم **الملائكة والأنبياء والمؤمنون والأجساد** ، وهو قول : زيد بن أسلم والبيضاوي وأبو السعود.[٥]

والذي يظهر لي أنّ القول الرابع هو الراجح، وهو الذي يجمع بين القول الأول والثاني، وذلك لعموم لفظة " الأشهاد"، ولورود آيات من كتاب الله ﷻ تدل على أنّ كل صنف منهم سيشهدون على الناس يوم القيامة، وهو ما سيأتي معنا في الصفحات القادمة من هذا المبحث، أمّا بالنسبة للذين حصروها في صنف واحد، فالجواب على ذلك أنّ أدلّتهم لا تفيد الحصر بالضرورة، وأنّ لفظة الأشهاد أعمّ من ذلك، أمّا بالنسبة للقول الثالث، فالخلائق أجمع شهادتهم تكون بأن يشاهدوا

---

[١] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٩) ، ص(١٨) .

[٢] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٩) ، ص(١٨) .

[٣] أخرجه : البخاري ، **صحيح البخاري**، كتاب(المظالم) ، باب : قول الله ﷻ (ألا لعنة الله على الظالمن) ، ج(٢) ، ص(٨٦٢) ، ر(٢٣٠٩) .

[٤] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٩) ، ص(١٨) .

[٥] انظر : الماوردي ،**النكت والعيون** ، ج(٢) ، ص(٤٦٣) . والبيضاوي ،**أنوار التنزيل وأسرار التأويل** ، ج(٣) ، ص(١٣١) و ج(٥) ، ص(٦٠) . وأبو السعود ،**إرشاد العقل السليم** ، ج(٤) ، ص(١٩٦) .

بأعينهم فضيحة الكفار، وليس أن يشهدوا عليهم بالأدلّة القاطعة التي تكون سبباً في إدانتهم كما سيفعل الأشهاد، وإنما هي مجرّد مشاهدتهم للتشهير بهم .

ثانياً : الآيات والموضوعات التي وردت من خلالها لفظة " الأشهاد " .

وردت لفظة الأشهاد في موضعين من كتاب الله – تعالى :

الموضع الأول : شهادة الأشهاد على (الكاذبين على الله ﷻ) يوم القيامة، وذلك من خلال قوله تعالى :﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(هود: ١٨).

يصف الله– تعالى – مشهداً من مشاهد الذل والهوان يوم القيامة للمفترين عليه الكذب بادّعائهم : أنّ مع الله إلهاً آخر، أو أنّ القرآن مفترى، وذلك عندما يشهد عليهم الأشهاد، فيفضحونهم أمام الخلائق بقولهم :﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ ﴾ ثمّ ينادي مناد من الملائكة ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[١]، وعمل الأشهاد في هذا الموقف هو أن يُعلنوا أنّ الذين أنكروا الرسالة والرسل قد بُلِّغوا رسالات ربهم، وأنّهم بُلِّغوا أنّ إنكار هذا التبليغ هو الجريمة الكبرى ، وأنّ عقوبة هذا الإنكار هو الخلود في النار، وبما أنّ الحق سبحانه وتعالى هو العدل نفسه؛ لذلك فلا عقاب إلا بإظهار أدلّة وقوع الجريمة ، لذلك لا بد من شهادات متعددة تظهر هذه الأدلّة ، ولذلك يأتي الشاهد من الملائكة ، وهو من جنس غير جنس المعروضين ، ويأتي الشاهد من الأنبياء وهو من جنس البشر إلا أنه معصوم، وكذلك يأتي الشاهد من صالح المؤمنين الذين يشهدون أنهم قد بُلِّغوا منهج الإيمان ، ثم تأتي الشهادة من الأبعاض على الكل وهي شهادة الأجساد، فيشهدون عليهم شهادة توجب عليهم العقوبة .[٢]

الموضع الثاني : قيام الأشهاد يوم القيامة حين ينصر الله ﷻرسله والذين آمنوا،وذلك من خلال قوله تعالى :﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾(غافر: ٥١) .

---

[١] انظر : الطبري ، **جامع البيان**، ج(١٥) ، ص(٢٨٢) . والسمرقندي ، أبو الليث نصر بن محمد(ت: ٣٧٣هـ) ،**بحر العلوم**، تحقيق : محمود مطرجي، (دار الفكر – بيروت) ، ج(٢) ، ص(١٤٤) . وابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(١٢) ، ص(٣٢) .

[٢] انظر : الشعراوي ،**الخواطر**، ج(١٠) ، ص(٦٤٠١– ٦٤٠٢) .

يخبرنا الله – تعالى – أنه ينصر رسله وأتباعهم من المؤمنين في موضعين اثنين : الأول : في الحياة الدنيا وذلك بالظهور على أعدائهم، وكسر شوكتهم، والثاني : يوم القيامة عندما يُحضر الله ﷻالأشهاد ليشهدوا على أعدائهم أمام الخلق، فلا يبقى لهم أمل بالنجاة من العذاب، حتى لو قدموا الأعذار، فقد وجبت لهم اللعنة، ووجبت لهم النار، وقد وجبت لهم النار في الأصل دون أن يشهد عليهم الأشهاد، لكنّ الله ﷻ يُحضر الأشهاد رفعة لهم، ليريهم أنّ مقامهم عالٍ عنده[1]، حتى يشرّفهم في الحكم على المجرمين، فهم ليسوا كباقي الخلائق التي تشاهد هذا الحدث المهم، وإنما هم الشهود الصادقون الذين اصطفاهم الله – عز وجل، ليشهدوا هذا النصر الأخروي، فشهادتهم على الكفار هي نصر، وفرحة كبرى لهم، يشهدون على الكفار بأنهم لم يقبلوا الهداية، وبأنهم ظلموا المؤمنين، واستضعفوهم، ويشاهدونهم وهم يجرون إلى النار، فيشفي الله ﷻ صدورهم، ويَشهدون للرسل بالتبليغ، وللمؤمنين بالإيمان ونصرة الدين، وهذه الشهادة من الأشهاد هي جزء من النصر الذي وعده الله ﷻ للمؤمنين .[2]

ويظهر في الآيتين الكريمتين ذكر اللّعنة على الكفار بعد ذكر شهادة الأشهاد، واللعنة :هي الطرد من رحمة الله [3]، وقد يدل هذا أنّه لم يتبقَّ لهم أمل في النجاة أو الدفاع عن أنفسهم، فقد شهد الشهود، وتقرر مصيرهم، وانتهت المسألة، ووجبت عليهم لعنة الله ﷻ .

ويظهر أيضاً أنّ ذكر الأشهاد جاء في موقفين متناقضين كما مر معنا في الآيتين الكريمتين موقف الخزي والافتضاح للمشركين، وموقف النصر والافتخار للرسل الكرام، وهذا يدل على أنّ الأشهاد لهم مكانة خاصة عند ربهم، فهم أول من سيتوج النصر الرباني للرسل والمؤمنين، وهم الذين ستكون شهادتهم ذات مكانة في الحكم على الظالمين يوم القيامة، وهذا يدل على أنهم صفوة الخلق يوم القيامة .

---

[1] انظر بتصرف : الطبري ،**جامع البيان**، ج(٤) ، ص(٧٠٦) . والزمخشري ،**الكشاف**،**ج(٤) ، ص(١٧٦)** . والبقاعي ، **نظم الدرر**، ج(٦) ، ص(٥٢٤) . وابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(٤) ، ص(١٦٧-١٦٩) .

[2] انظر بتصرف : المراجع السابقة .

[3] انظر : بتصرف : البقاعي ، **نظم الدرر**، ج(٦) ، ص(٥٢٤) .

المطلب الثاني : أنواع الأشهاد .

النوع الأول : الملائكة .

عرفنا سابقاً أنّ الأشهاد أربعة، وهم (**الملائكة والأنبياء والمؤمنون والأجساد**)، إذن فالملائكة هي إحدى أنواع الأشهاد الذين سيشهدون على النّاس يوم القيامة، ولن يشرّف الله أحداً بالشهادة على النّاس يوم القيامة حتى يكون شاهداً على ما شهد الله – تعالى – به، لذلك خصّ الله– تعالى– الملائكة من بين الخلائق بالشهادة على وحدانيته من باب التشريف لهم، وخصّها أيضاً للشهادة لنبيّه محمد ﷺ بالرسالة من باب النصرة له أمام معارضيه، وجعل من مهامها العامّة أن تسوق كل نفس إلى ربها لتشهد عليها، وجعل من مهامّها الخاصّة أن تحفظ كتاب الأبرار تكريماً لهم بين النّاس، وفي هذا الفرع سوف أذكر الآيات والموضوعات التي وردت من خلالها شهادة الملائكة في القرآن الكريم :

أولاً. **شهادة الملائكة على وحدانية الله** ﷻ،وذلك من خلال قوله تعالى :﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾(آل عمران: ١٨) .

لقد شرّف الله ﷻ الملائكة الكرام بالشهادة معه على وحدانيته، وذكر شهادتهم بعد شهادته مباشرة، وتكون شهادة الملائكة بإقرارها بما شاهدته من شهادة الله ﷻ لنفسه، فهي تقرّ أنّ الله ﷻ واحد لا شريك له، وتُحقق ذلك عن طريق تنزيهه وتسبيحه، وعبادته ليل نهار، من غير تعب ولا ملل، فما في السماء من موضع إلا وفيه ملك ساجد أو قائم يعبد الله ﷻ، قال تعالى :﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾(الأنبياء : ٢٠)، ويظهر إقرار الملائكة أيضاً بتنفيذ أوامر الله ﷻ التي وكّلت بها، مثل نزع الأرواح، وتعذيب الكفار، وغيرها من الأعمال، قال تعالى :﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ ﴾(النازعات : ١– ٥)، وأعظم إقرار للملائكة يكون بتبليغ بعضهم الوحي من الله ﷻ إلى الرسل الكرام كالملك جبريل – عليه السلام، فهي تقر بشهادة الله ﷻ وتعلّمها للرسل الذين يعلمونها للناس، قال تعالى : ﴿ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾(المرسلات : ٥)، وقد ذكر الله ﷻ شهادة الملائكة

كما ذكر شهادة أولي العلم من باب التشريف لهم، وإظهار مكانتهم عنده، وليس لأنه محتاج لشهادتهم، فهم أحق من تُذكر شهادتهم مع شهادة ربهم ؛ وهم أحق من يقوم بتلك الشهادة .[1]

ثانياً . شهادة الملائكة على نبوة محمد ﷺ.

ذكر الله – تعالى – شهادة الملائكة بصريح لفظ الشهادة لنبيّه **محمد** – صلى الله عليه وسلم – فحسب من بين الأنبياء في القرآن الكريم وفي آية **واحدة** فحسب من كتابه الكريم ، ومع أنّ الملائكة شاهدة بالطبع لجميع الأنبياء بصدقهم، وشاهدة بجميع ما شهد الله ﷻ به، وقد خصّ الله ﷻ نبيّنا محمد بهذا التصريح من باب التكريم والنُّصرةً له، وقد ورد ذلك من خلال قوله تعالى :﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾(النساء :١٦٦) .

يخبرنا الله ﷻ أنّ الملائكة تشهد معه على نبوّة محمد ﷺ ، وبصدق ما أنزل إليه من وحي[2]، وقد رفض أكثر أهل الكتاب الإيمان بنبوته ﷺ، والشهادة له بذلك، وقد كانت الملائكة شاهدة له بذلك تثبيتاً لقلبه، وتسلية له بأن لا يحزن، وإن امتنع من امتنع عن الشهادة بنبوته .[3]

وتكون شهادة الملائكة للنبي محمد ﷺ بالرسالة ، بإقرارها بنبوته، واعترافها أمام الله ﷻ بذلك، وبتنفيذها أوامر الله ﷻ بالوحي إليه وإلى الرسل، فهي تنزل من السماء إلى الأرض حاملة رسالة الله– تعالى – لأنبيائه ؛ إقراراً منها أنهم رسل الله في أرضه .[4]

ونلحظ في نهاية الآية أنّ الله ﷻ قال (وكفى بالله شهيداً)، ولم يذكر شهادة الملائكة كما ذكرها في بداية الآية !

وتفسير ذلك كما قال الشعراوي – رحمه الله : لأن الله – سبحانه وتعالى– لا يأخذ شهادة الملائكة تعزيزاً لشهادته، ونحن لا نأخذ شهادة الملائكة تعزيزاً لشهادة الله – تعالى –، وإلا كانت

---

[1] انظر بتصرف : الثعلبي ، أحمد بن محمد (ت: ٤٢٧هـ) ،**الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، (دار إحياء التراث العربي :١٤٢٢هـ) ، ج(٣) ، ص(٣٣) . وابن عطية ،**المحرر الوجيز في تفسير الكتابالعزيز**، ج(١) ، ص(٢٠٢) ، وابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(٣) ، ص(١٦٨) .

[2] انظر : ابن كثير ،**تفسير القرآن العظيم**، ج(١) ، ص(٤٧٦) .

[3] انظر : ابن كثير ،**تفسير القرآن العظيم**، ج(١) ، ص(٤٧٦) .

[4] انظر بتصرف : الثعلبي ،**الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، ج(٣) ، ص(٣٣) .

الملائكة أوثق عندنا من الله – تعالى ؛ لكنّ الله –تعالى– يؤرخ شهادة الملائكة – بذكرهم في بداية الآية –ويعلي قدرهم ، وأنت يا رسول الله تكفيك شهادة الله وحده .[1]

ثالثاً. شهادة الملائكة على الأنفس، وذلك من خلال قوله تعالى :﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾(ق :٢١) .

بعد أن يُنفخ في الصور، ويُبعث الموتى، سيأتي كل إنسان إلى ربه ؛ ليس معه إلا عمله، لكنه لن يذهب وحده لمقابلة ربه، بل سيأتي معه سائق يسوقه إلى ربه، وشهيد يشهد عليه، وقد اختلف المفسرون في معنى السائق والشهيد هنا على عدة أقوال :

الأول .السائق ملك من الملائكة، والشهيد من أعضاء الجسم كالأيدي والأرجل ؛ وهو قول ابن عباس . [2]

الثاني . السائق ملك من الملائكة، والشهيد هو العمل، وهو قول أبي هريرة .[3]

الثالث . السائق والشهيد كلاهما من الملائكة، وهو قول الحسن و قتادة[4]، وابن عاشور . [5]

والذي يظهر لي أنّ القول الثالث هو الأقرب إلى معنى الآية؛ أي أنّ كلاهما من الملائكة .

وقد اختلف المفسرون في كون السائق والشهيد ملكين مختلفين، أم هما نفس الملك على قولين :

الأول : هما ملكان مختلفان، ملك سائق وملك شهيد، ودليلهم أنّ العطف في الآية هو عطف على ذات .[6]

---

[1]انظر : الشعراوي ،**الخواطر**، ج(٥) ، ص(٢٨٥٤) .

[2]انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن** ، ج(١٧) ، ص(١٤) .

[3]انظر : المرجع السابق .

[4]**قتادة بن دعامة السدوسي**، من التابعين ، ومن كبار المفسرين للقرآن الكريم ، عرف بعلمه باللغة العربية والأنساب ، وكان ضريراً ، ويضرب به المثل بقوّة حفظه ، توفي سنة (١١٨)هـ . انظر : الذهبي ،**سير أعلام النبلاء**، ج(٥) ، ص(٢٧٠-٢٧٢) .

[5]انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن** ، ج(١٧) ، ص(١٤) .وابن عاشور ،**التحرير والتنوير** ، ج(٢٦) ، ص(٣٠٨) .

[6]انظر: الطبري ،**جامع البيان**، ج(٢٢) ، ص(٣٥٠) . وابن عاشور ،**التحرير والتنوير** ، ج(٢٦) ، ص(٣٠٨) .

الثاني : السائق والشهيد ملك واحد يحمل الصفتين، ودليلهم أنّ العطف هنا عطف على الصفات .[1]

وبالنظر إلى الرأيين السابقين يتبين أنّ الرأي الأول هو الأقرب إلى ظاهر الآية، وأنّ الواو قد فصلت بين نوعين مختلفين هما (السائق والشهيد) .

وقد اختلف العلماء ماإذا كان سياق الآية يتحدث عن الكفار، أم عن جميع البشر على قولين:

الأول : أنها خاصة بالكفار وهو قول الضحاك، وابن عاشور .

ودليلهم الأول هو سياق الآية في قوله تعالى :﴿مَّعَهَا سَآئِقٌ﴾ لأن السائق يناسب إزجاء أهل الجرائم في النار ، وأمّا المهديون إلى الكرامة فإنما يهديهم قائد يسير أمامهم، فإن قيل : لقد ذكر السوق في الحديث عن المؤمنين[2] في قوله تعالى :﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ ﴾(الزمر: ٧٣)، فالجواب عليه أنه من باب المشاكلة لقوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ ﴾(الزمر: ٧١)،أمّا دليلهم الثاني فمن خلال سياق الآيات التي بعدها في قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴾(ق : ٢٢) وهو : خطاب التّهكم التوبيخي للنفس الكافرة،لأن المؤمن لم يكن في غفلة عن الحشر والجزاء ومن خلال قوله تعالى :﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾ (ق : ٢٣) .[3]

الثاني : أنها عامة في الكافر والمؤمن، لعموم قوله تعالى﴿ كُلُّ نَفۡسٖ﴾وهو قول الطبري .[4]

من خلال القولين السابقين يتبيّن لي أنّ السائق والشهيد ملكان يكونان للمؤمن والكافر كما يدل عليه عموم الآية (كلّ نفس) سواء نفس مؤمنة أو كافرة، وأمّا قولهم إنّ السوق إنما يتناسب مع الكافر ؛ فالجواب عليه : أنّ هذا الوصف يتناسب مع شدة الموقف في ذلك اليوم، كقوله تعالى

---

[1] انظر : انظر : الطبري ،**جامع البيان**، ج(٢٢) ، ص(٣٥٠) . وابن عاشور ،**التحرير والتنوير** ، ج(٢٦) ، ص(٣٠٨) .

[2] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن** ، ج(١٧) ، ص(١٤) .وابن عاشور ،**التحرير والتنوير** ، ج(٢٦) ، ص(٣٠٨) .

[3] انظر : المرجعين السابقين .

[4] انظر : الطبري ،**جامع البيان**، ج(٢٢) ، ص(٣٥٠) .

:﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ ﴾(الزمر: ٧٣)[١]، وكفى بهذه الآية واعظاً للمؤمن قبل الكافر، فأين دلالة الآية إن كانت لا تخاطب المؤمن والكافر معاً، وأين الحكمة من الآية إن قلنا إنها للكافر فحسب، فعندما يتذكر المؤمن أنه سيأتي يوم القيامة مع هؤلاء الملكين سيزداد خشية لله ﷻ وسيترك الذنوب ويتذكر تلك اللحظات، التي سيشهد فيها ذلك المَلَك الشهيد على حسناته أو سيئاته أمام الله ﷻ.

رابعاً . شهادة الملائكة المقربين لكتاب الأبرار يوم القيامة، وذلك من خلال قوله تعالى:

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾(المطففين: ١٨ – ٢١) .

يخبرنا الله – عز وجل– عن عباده الأبرار[٢]بأنّ صحائف أعمالهم موضوعة في مكان في غاية العلو والرّفعة يسمّى (عليين)، يحضر هذا المكان، ويطلع على هذه الصحائف جمع من المقربين، وذلك إجلالاً للأبرار وتعظيماً لشأنهم .[٣]

وقد اختلف العلماء في معنى المقربين على قولين :

الأول : المقربون هم الملائكة، وهو قول كعب الأحبار[٤]وقتادة .[٥]

دليلهم من حديث البراء بن عازب– رضي الله عنه –[٦]عن النبي ﷺأنه قال : ((.... إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي قُبُلٍ مِنَ الآخِرَةِ وَانْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا جَاءَهُ مَلَكٌ فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ : اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ الله وَرِضْوَانٍ، فَتَخْرُجَ نَفْسُهُ وَتَسِيلَ كَمَا يَسِيلُ قَطْرُ السِّقَاءِ، وَتَنْزِلُ مَلاَئِكَةٌ مِنَ الْجَنَّةِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ أَكْفَانٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ ، وَحَنُوطٌ مِنْ

---

[١] انظر بتصرف : الطبري ،**جامع البيان**، ج(٢٢) ، ص(٣٥٠) .

[٢] **الأبرار** : جمع بَرّ، وهم الذين برّوا الله ﷻ بأداء فرائضه، واجتناب محارمه. الطبري ، **جامع البيان**،ج(٢٤) ، ص(٢٩٠) .

[٣]انظر : الرازي ،**التفسير الكبير**، ج(٣١) ، ص(٩٦) . والبقاعي ، **نظم الدرر**، ج(٨) ، ص(٣٦٢) .

[٤] **كعب بن مانع الحميري**، التابعي المعروف بكعب الأحبار، كان يهودياً فأسلم بعد وفاة النبي ﷺ، قدم المدينة في خلافة عمر ﷺ، وكان عالماً بكتب بني إسرائيل ، واشتهر بتفسيره للقرآن الكريم ، توفي سنة (٣٢) هـ . انظر : الذهبي ،**سير أعلام النبلاء**، ج(٣) ، ص(٤٩٠) .

[٥]انظر : السيوطي ،**الدّر المنثور**، ج(٨) ، ص(٤٤٨) . والآلوسي ، **روح المعاني**، ج(١٥) ، ص(٢٨١) .

[٦]**البراء بن عازب بن حارث الأنصاري**، من كبار الصحابة ، شهد معركتي صفّين والجمل ، وشارك في فتوحات العراق وفارس ، توفي سنة(٧٢)هـ . انظر : ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) ، أحمد بن علي ،**الإصابة في تمييز الصحابة** ، ط(١) ، (دار الجيل – بيروت : ١٤١٢هـ) ، ج(١) ، ص(٢٧٨) .

حَنُوطِ الْجَنَّةِ ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ، فَإِذَا قَبَضَهَا الْمَلَكُ لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ ... قَالَ : فَتَخْرُجَ نَفْسُهُ كَأَطْيَبِ رِيحٍ وُجِدَتْ ، فَتَعْرُجَ بِهِ الْمَلاَئِكَةُ فَلاَ يَأْتُونَ عَلَى جُنْدٍ فِيمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلاَّ قَالُوا : مَا هَذَا الرُوحُ ؟ فَيُقَالُ : فُلاَنٌ – بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ – حَتَّى يَنْتَهُوا بِهِ إِلَى أبوابَ سَمَاءِ الدُّنيا ، ويُفْتَحُ لَهُ وَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَيُقَالُ : اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي عِلِّيِّينَ : وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ فَيُكْتَبُ كِتَابُهُ فِي عِلِّيِّينَ)).[1]

الثاني : هم الملائكة والأنبياء وخواص المؤمنين، وهو قول ابن القيم .

ودليله من قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾(الواقعة: ١٠-١١) [2]

والذي يظهر لي : أنه يمكن الجمع بين القولين السابقين من غير تعارض، فإذا كان المقصود من الشهادة هو الحضور لحفظ كتاب الأبرار ، فيكون المقربون هم الملائكة الموكلة بهذا العمل، لأنّ الحفظ ليس من مهام الأنبياء والصالحين، وإذا كان المقصود من الشهادة هو الحضور للاطلاع على كتاب الأبرار فيمكن أن يدخل فيها الأنبياء، والصالحون يوم القيامة بالإضافة إلى الملائكة المقربين .

قال ابن القيم : إنّ الملائكة المقربين يطوفون بالكتاب على الأنبياء وخواص المؤمنين، مباهاة بأعمال الأبرار، ويباهون بأسمائهم أمامهم كما يباهى بالنابغين في التعليم .[3]

ومن خلال ما سبق يمكننا القول إنّ شهادة الملائكة المقربين تكون من خلال أمرين :

الأول : حضورهم لحفظ كتاب الأبرار من الخارج في ذلك المكان الشريف(عليين) كما وكلهم الله – تعالى – بذلك .[4]

---

[1] أخرجه : الطيالسي ، سليمان بن داوود (ت: ٢٠٤هـ) ، **مسند أبي داوود الطيالسي**، (دار المعرفة – بيروت) ، مسند البراء بن عازب ، ج(١) ، ص(١٠٢) ، ر(٧٥٣) . والبيهقي ، **شعب الإيمان**، باب : دار المؤمنين ومأواهم الجنّة ودار الكافرين ومآبهم النّار ، فصل : في عذاب القبر ، ج(١) ، ص(٣٥٥) ، ر(٣٩٥) قال عنه البيهقي : هذا حديث صحيح الإسناد .

[2] انظر : ابن القيم ، محمد بن أبي بكر(ت: ٧٥١هـ) ، **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، (دار الكتب العلمية – بيروت) ، ص(٤٩) .

[3] انظر : ابن القيم ، **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح** ، ص(٤٩) .

[4] انظر : الرازي ،**التفسير الكبير**، ج(٣١) ، ص(٩٦) . والآلوسي ، **روح المعاني**،ج(١٥) ، ص(٢٨١) .

الثاني : حضورهم لشهادتهم بما فيه من أعمال مكتوبة في داخله، يوم القيامة .[1]

وتعود أهميّة كتاب الأبرار كونه يحمل أماناً لصاحبه من الناروفوزاً له بالجنّة .[2]

وهذه الشهادة بنوعيها هي مَهمّة خاصة أوكلها الله – تعالى –للملائكة المقربين تقديراً لأعمال الأبرار الذين اجتهدوا بالأعمال الصالحة في الدنيا، وكم هو عظيم أن يستشعر المؤمن أنّ عمله الصالح سيرفع إلى السماء، ثم يحفظ في مكان عظيم إلى أن يحين الوقت لفتحه يوم القيامة والمباهاة به، فهنيئاً للأبرار الذين خصّهم الله ﷻ بهذه الشهادة المشرّفة .

---

[1] انظر : الرازي ،**التفسير الكبير**، ج(٣١) ، ص(٩٦) . والآلوسي ، **روح المعاني**،ج(١٥) ، ص(٢٨١) .

[2] انظر : الطبري ، **جامع البيان**، ج(٢٤) ، ص(٢٩٤) .

النّوع الثاني : الرسل الكرام – عليهم السلام .

ذكر الله ﷻ الرسل الكرام من بين الأشهاد الذين سيشهدون على النّاس يوم القيامة، وكذلك ذكر شهادة بعض الرسل بالذات على وجه الخصوص، وهذا ما سيأتي شرحه في هذه الصفحات .

أولاً : معنى شهادة الرسل– عليهم السلام .

وصف الله ﷻ الأنبياء – عليهم السلام – في آيات عديدة بأنّهم شهداء، قال تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾(النساء : ٤١)، وقال تعالى :﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾(النحل :٨٩)،وقال تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾(القصص : ٧٥) .

وشهادة الأنبياء – عليهم السلام – بمعناها اللّغوي : هي الإخبار والتّبيين، وذلك لأنّ الشهيد هو المخبر، والمخبر قد يخبر عن غيره بالخير أو بالشر[١]، فإذا أخبر بالخير صار اسمه مزكياً، وإذا أخبر بالشر صار اسمه ذامّاً .

وأمّا بمعناها الاصطلاحي : **هي أن يخبر الأنبياء – عليهم السلام –ربهم يوم القيامة أنهم قد بلغوا رسالته على أكمل وجه، وأن يشهدوا أمام الله ﷻ للمؤمنين بإيمانهم وحسن اتباعهم، وللكافرين بكفرهم وسوء اتباعهم .**

وبالنظر إلى الآيات السابقة نجد أنّ الله ﷻ سمى نبي كل أمّة بالشهيد، وهذا ما اتفق عليه المفسرون كقتادة والطبري والقرطبي، ودليلهم من الآيات السابقة التي تشير إلى أنّ شهيد كل أمّة هو نبيها كما أنّ النبي محمد ﷺ هو شاهد على أمّته كذلك .[٢]

وقد توسّع بعض المفسرون في معنى كلمة " الشهيد " في الآيات السابقة، فقالوا : الشهداء هم عدول الدنيا والآخرة يشهدون على العباد بأعمالهم، وهذا يشمل الأنبياء– عليهم السلام –والعلماء والدعاة الصالحين، وهو قول مجاهد، وبه قال الرازي، وقد برر ترجيحه لهذا الرأي بأنّه

---

[١] انظر بتصرف : ابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(٢) ، ص(٢١) ، و ج(٢٦) ، ص(١٥٥) .

[٢] انظر : الطبري ،**جامع البيان**، ج(١٩) ، ص(٦١٤). والقرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**،ج(١٣) ، ص(٣٠٩) .

أعمّ من الأول، ويشمل الأزمنة التي لم يوجد فيها أنبياء ، ووجد فيها مبلغون ودعاة من عباد الله الصالحين، كما في الأزمنة بعد وفاة النبيﷺ[1]، وهذا ما قاله ابن عاشور، وعلل ذلك بأنّ معنى الشهيد هو المخبر، أي المخبر بتصديق أحد أو تكذيبه،[2]وهو القول الراجح .

وسيأتي توضيح شهادة الصالحين من المبلغين والدّعاة ضمن شهادة المؤمنين في الفرع القادم.

وكما سيشهد الأنبياء على أقوامهم في الآخرة، فإن لهم شهادة على أقوامهم في الدنيا، وذلك بتبليغهم دين الله ﷻ في الأرض، وتبيينهم لأحكامه .

ثانياً :الأنبياء الذين ذكرت شهادتهم في القرآن الكريم على وجه الخصوص .

ذكر الله ﷻ شهادة بعض الأنبياء بصريح لفظ الشهادة في القرآن الكريم، وهم محمد ﷺ، وإبراهيم وعيسى – عليهم السلام .

١. شهادة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم .

ذكر اللهﷻ شهادة نبيّه محمد ﷺفي آيات عديدة من كتابه الكريم كقوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة : ١٤٣)، وقوله تعالى : ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾(النحل :٨٩)، وقوله –تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ ﴾(الفتح : ٨) .

وبعد التجوال في التفاسير عرفت **أنّ للرسول الكريم ﷺ شهادتين : شهاة دنيوية، وشهادة أخروية :**

أما **الشهادة الدنيوية** فتكون **بشهادة الصُّحبة** على معاصريه ﷺ، من الصحابة الكرام ، أو **بشهادة الأخوّة**[3] على من لم يعاصروه ممن أقاموا شرعه واتبعوه بإحسان ، أوبشهادته بذاته على معارضيه من الكفار والمنافقين، وتكون أيضاً بشهادة شرعه على الذين أتوا بعده، إمّا بوفائهم

---

[1]انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**،ج(١٣) ، ص(٣٠٩) ،والرازي ،**التفسير الكبير**، ج(٢٥) ، ص(١٦).

[2]انظر : ابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(٢٦) ، ص(١٥٥) .

[3] هذه العبارة للدكتور : **الشرباتي** ، هارون كامل ، الأستاذ المحاضر في جامعة الخليل (كلية الشريعة – قسم التفسير) ، تاريخ المعلومة : (٢٢– ١٢ – ٢٠١٨) .

بما أوجبه عليهم، أو بعكس ذلك .[1]

أما **الشهادة الأخروية** فتكون بعدة صور:

الأولى : شهادته على أمّته أمام الله ﷻ أنّه قد بلغهم رسالة ربه، ولم يقصّر في ذلك .

الثانية : شهادته للمؤمنين بإيمانهم[2]، وبتبليغهم رسالته من بعده، وبنصرتهم لدينه، ويكون ذلك على تفاوت منهم بحسب أعمالهم .

الثالثة : شهادته على الكافرين منهم والمحرفين لدينه، وذلك بإقامة الحجة عليهم أمام الله ﷻ .[3]

وكم هو عظيم أن يستشعر المؤمن هذا الموقف عندما يحضر بين يدي ربه ليشهد عليه نبيّه، فإمّا أن يباهي به الأمم، وإمّا أن يقول له : سحقاً سحقاً، وهذا هو مصداق قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ﴾(التوبة : ١٠٥ .

وما يميّز شهادة النبي ﷺ عن غيره من الأنبياء أنّه سيشهد على أمته التي هي نفسها شاهدة على الأمم الأخرى، فهي شهادة من شاهد كريم على شهود كرماء .

وللرسول الكريم شهادة أخرى يوم القيامة ، وهي **الشهادة للأنبياء – الكرام**– الذين تنكّرت لهم أقوامهم وقالوا : ما أتانا من نذير، فسيشهد لهم الرسول محمد ﷺ وأمته بالبلاغ، وسيشهد على أممهم بالتكذيب، وهذا ما سيأتي شرحه في شهادة أمة محمدﷺ .

وقد علِمنا سابقاً أنّ النبي ﷺ سيشهد على أمته التي هي خير الأمم، **فلماذا قال الله تعالى** :﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾،**ولم يقل (ويكون الرسول لكم شهيداً)، فهل هذه شهادة للأمّة أم هي شهادة عليها ؟؟ .**

اختلف المفسرون في الإجابة على هذا السؤال على عدّة أقوال :

الأول : جيء بحرف الاستعلاء (على) من باب المشاكلة للشهادة الأولى﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾.[4]

---

[1] انظر : ابن عاشور ، **التحرير والتنوير**، ج(٢) ، ص(٢١) .

[2] انظر : أبو حيان ، **البحر المحيط**، ج(١) ، ص(٥٩٦) .

[3] انظر : المرجع السابق .

[4] انظر : القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن**، ج(٢) ، ص(١٥٦) . وابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(٢) ، ص(٢١) .

الثاني : شهيداً عليكم بمعنى لكم، أي يشهد لكم بالإيمان .[1]

الثالث :جيء بحرف الاستعلاء ؛ لأنّ معنى الشهيد يحمل معنى الرقيب، وما فيه من العلو والاستعلاء .[2]

الرابع : شهادة النبي ﷺعلى الأمّة تكون للمؤمنين، وتكون أيضاً على المعرضين ، ولكنّ اكتُفيَ في الآية بتعديتها بعلى ؛ إشارة إلى أهميّة شهادته على المعرضين منهم بأنّهم ما أحسنوا اتباعه وأمّا المؤمنين فقد شَهِد لهم إيمانهم أصلاً بحسن اتباعهم[3]، وجاءت شهادة نبيّهم زيادة في أجرهم ورفعاً لمقامهم .

وبالنظر إلى الأقوال السابقة نجد أنّ جميعها تحتمل معنى الآية، ويبقى القول الرابع أقواها لأنّ فيه تحذيراً وتعريضاً للأمة من أن يُشْهَدَ عليهم بالسوء من قبل نبيّهم[4]، وذلك كقول الله ﷻ على لسان الرسول– صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾(الفرقان : ٣٠)، فقد شهد الرسول على قومه بإعراضهم عن القرآن، وإهمالهم لما جاء فيه من تعاليم .[5]

وبعد أن عرفنا تلك المعاني عن شهادة نبيّنا الكريم، لابد من التأمل في بعض الآيات التي ذكرت فيها شهادته ﷺ كقوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَـٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾ (المزمل : ١٥)، فقد يسأل سائل **لماذا جيء هنا بصفة (شاهد) دون غيرها من صفات رسول الله ﷺ؟؟**

الجواب على ذلك أنّ المتمعّن في الآية يجدها جاءت في سياق التهديد غير المباشر لكفار

---

[1] انظر : القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن**، ج(٢) ، ص(١٥٦) . وأبو حيان ،**البحر المحيط**، ج(١) ، ص(٥٩٦).

[2] انظر : القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن**،ج(٢) ، ص(١٥٦) . وأبو حيان ،**البحر المحيط**، ج(١) ، ص(٥٩٦) .

[3] انظر : ابن عاشور ،**التحرير والتنوير**،ج(٢) ، ص(٢١) .

[4] انظر : المرجع السابق .

[5] انظر : البغوي ، **معالم التنزيل**، ج(٦) ، ص(٨٢) .

قريش وأمثالهم، بأنّ الله ﷻ قد بعث لهم محمداً كما بعث موسى عليه السلام إلى فرعون، فعصى فرعون رسول ربه فأخذه الله ﷻ أخذاً وبيلاً، وجعله عبرة لمن اعتبر إلى يوم القيامة [1]، وقد اختار الله ﷻ هذه الصفة لنبيّه زيادة في تهديدهم من أن يحلّ عليهم ما حل بفرعون وقومه، وزيادة بالتنكيل بهم يوم القيامة ، فهذا الرسول الذي عصيتموه لن تدخلوا النّار بتكذيبكم إيّاه فحسب ، وإنما سوف يشهد عليكم في الآخرة كما كان شاهداً على كفركم في الدنيا، ولن يدافع عنكم بل ستكون شهادته سبباً في دخولكم النار .

والمتمعّن في الآيات التي وردت فيها شهادة النبي ﷺ، قد يدفعه الفضول للمقارنة بين صيغة " شهيد " و" شاهد"، في بعض الآيات، كقوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة : ١٤٣)، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ ﴾(الفتح : ٨) وقد يسأل نفسه **لماذا جيء بصيغة شهيد في الآية الأولى، وبصيغة شاهد في الآية الثانية؟؟؟**

الجواب على هذا أنّ الآية الأولى جاءت بصيغة المبالغة " شهيد " لتناسبها مع السياق، الذي يتحدث عن خيرية الأمة وجعلها مؤهلة للشهادة على الأمم الأخرى يوم القيامة، فناسب صيغة المبالغة لتحفيز الهمم والمبالغة في استحقاق شهادته – صلى الله عليه وسلم، أمّا الآية الثانية فتتحدث عن مهام النبي – صلى الله عليه وسلم– الدنيوية، التي منها (الشاهد)، وليس فيها ذكر لأمته، فناسب صيغة (شاهد) .

---

[1] انظر بتصرف : الطبري ،**جامع البيان**، ج(٢٣) ، ص(٦٩٣) .

٢. شهادة نبي الله ابراهيم – عليه السلام – على ربوبية الله– تعالى .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٥٠ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ٥١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ٥٢ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ٥٣ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٥٤ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ٥٥ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٦ ﴾(الأنبياء : ٥٠ – ٥٦).

يخبرنا الله –تعالى – عن النبي إبراهيم – عليه السلام، عندما أنكر على أبيه وقومه عبادتهم للأصنام ووصفهم هم وآباؤهم الذين يقلّدونهم، بالضلال المبين، فما كان منهم إلا أن تعجّبوا منه ؛ فسألوه هل أنت جاد في كلامك، أم هو من باب المزاح ، فأجابهم أن الله ﷻ الذي أدعوكم لعبادته هو الذي فطر السموات والأرض ، وأنا شاهد على ذلك من بين شهود كثر .[١]

ومعنى (من الشاهدين) يحتمل عدة معانٍ :

١. أي مبيّناً للحكم، كقوله تعالى : (شَهِدَ اللَّهُ) أي بيّن الله ؛ فالمعنى : وأنا أبين بالدليل ما أقول.[٢]

٢.أي مؤكداً ما قلته بالقسم، فقد تكون الشهادة هنا بمنزلة القَسَم.[٣]

٣. أي أنا من الذين يثقون في صدق ما يقولون ثقة الشاهد على ما يشهد عليه .[٤]

٤. فيها إعلام لهم بأنه مرسل من الله ﷻ لإقامة دين التوحيد ؛ لأنّ رسول كل أمّة شهيد عليها، ولم يكن يومئذ في قومه من يشهد ببطلان إلهية أصنامهم ، فتعين أن المقصود من الشاهدين أنه بعض الذين شهدوا بتوحيد الله ﷻ بالإلهية في مختلف الأزمان أو الأقطار.[٥]

وجميع الأقوال السابقة متداخلة ، فنبي الله الشاهد هو المبيّن والمؤكّد والواثق بما يقول ، وهو الذي أعلمنا الله بأنّه الحنيفي المسلم الذي لا يرضى الشرك أبداً .

---

[١]انظر : ابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(١٧) ، (ص٩٥ –٩٦) .

[٢]انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(١١) ، ص(٢٩٦) .

[٣]انظر : ابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(١٧) ، (ص٩٥ –٩٦) .

[٤]انظر : طنطاوي ، **الوسيط**، ج(٩) ، ص(٢٢٣) .

[٥]انظر : ابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(١٧) ، (ص٩٥ –٩٦) .

٣. شهادة نبي الله عيسى– عليه السلام – على قومه .

جاء في كتاب الله ﷻ شهادتان لنبي الله عيسى –عليه السلام – الأولى **دنيوية** ، والثانية **أخروية**، فأمّا **الدنيوية** فهي في قوله تعالى :﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾(المائدة : ١١٧) .

ففي هذه الآية يخبر عيسى عليه السلام ربه أنّه شهيد على قومه ما دام مقيماً فيهم، وشهادة عيسى – عليه السلام – هنا تأتي بمعنى الرقيب على أفعالهم، بمعنى أنّه يراقب عقيدتهم بحيث يمنعهم ما استطاع من الشرك بالله ﷻ، أو تحريف دينه، وجيء بصيغة المبالغة " **شهيد**" بدل " **شاهد** " للمبالغة في كثرة ملازمته وحفظه لهم[١]، وهذا يدل على شدّة حرصه على قومه من أن يقعوا في الشرك أو التحريف، ولو يعلم أهل الكتاب اليوم كم كان نبيّهم حريصاً عليهم لرجعوا إلى الدين الصحيح، وما اتبعوا أهواءهم .

وأمّا **الشهادة الأخروية** فهي في قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾(النساء : ١٥٩) .

في هذه الآية يخبرنا الله – تعالى– أنّ كثيراً من أهل الكتاب سيؤمنون بعيسى عليه السلام إيماناً صحيحاً، بأنّه عبد الله ونبيّه ، وأنّه جاء بدين الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ وسائر الأنبياء – عليهم السلام، وذلك قبل موته أي عند نزوله إلى الأرض في آخر الزمان، ويوم القيامة سوف يكون عليهم شهيداً .[٢]

وقد جاء عن أبي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه – أنّه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم : ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا ، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ))[٣] .

وشهادته عليهم يوم القيامة تكون بأن يشهد أمام الله ﷻ بأنّه قد بلّغهم دعوة ربه، ولكنّهم حرفوا وبدلوا من بعده ، فجعلوه إلهاً من دون الله ﷻ، لذلك سوف يسأله ربه سؤالاً صريحاً على مسمع

---

[١] انظر : أبو حيان ، **البحر المحيط**، ج(٤) ، ص(٦٥) .

[٢] انظر : ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم**، ج(٢) ، ص(٤٧) .

[٣] أخرجه: البخاري ، **صحيح البخاري** ، كتاب : البيوع ، باب : قتل الخنزير ، ج(٢) ، ص(٧٧٤) ، ر(٢١٠٩) .

ومرأى منهم ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾(المائدة : ١١٦) فينكر عيسى عليه السلام ذلك، ويفوّض أمرهم إلى ربه قائلاً :﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾(المائدة : ١١٨) .

وكذلك سوف يشهد عيسى – عليه السلام – أمام الله ﷻ بالإيمان لمن آمن به ونصره من أتباعه، ولم ينجر وراء المحرّفين لدينه .

ولربما سيحظى كثير – ممن بقي على التوحيد من أتباع عيسى عليه السلام في زمن بعثة النبي محمد ﷺ بشهادتين يوم القيامة ؛ الأولى : من نبيهم عيسى عليه السلام، والثانية : من نبيهم محمد ﷺ كأمثال ورقة بن نوفل والنجاشي – رحمهم الله – فطوبى لهم بهاتين الشهادتين .

وفي نهاية الحديث عن شهادة الأنبياء أودّ التذكير أنّ جميع الأنبياء سيكونون شهداء على الناس يوم القيامة، وإن لم تُذكر شهادتهم في القرآن على وجه الخصوص كما ذُكرت لمحمد وإبراهيم وعيسى – عليهم السلام – وذلك مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (القصص : ٧٥) .

النوع الثالث : المؤمنون .

المؤمنون الملتزمون بدينهم عظماء عند ربهم ؛ لذلك سيكرمهم الله ﷻ بالشهادة على النّاس يوم القيامة، وتكون هذه الشهادة للمؤمنين بحسب أعمالهم في الدنيا، والشهداء من المؤمنين هم ثلاثة أصناف ؛ أوّلهم **أولو العلم** الذين شهدوا قبل ذلك لله ﷻبالوحدانية، فشرّفهم الله ﷻبالشهادة على النّاس يوم القيامة، وثانيهم **أمّة محمد**ﷺالتي ستشهد على النّاس يوم القيامة، وثالثهم **الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله**– تعالى –وهم الذين لهم شهادة خاصّة في الآخرة، وسيأتي ذكر هذه الأصناف ضمن هذا الفرع .

أولاً : شهادة أولي العلم .

ذكرت شهادة أولي العلم بعد ذكر شهادة الله ﷻ وشهادة الملائكة من باب التشريف لمقامهم [1]، وذلك من خلال قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(آل عمران:١٨) .

فمن هم أولو العلم الذين ذكرهم الله ﷻ في هذه الآية، وشرّفهم بشرف الشهادة معه، على أعظم مشهود به، وهو وحدانية الله ﷻ ؟

أولو العلم : هم أصحاب العلم من الأنبياء المرسلين، والعلماء الربانيين [2] .

فأمّا الأنبياء المرسلون فقد سبق الحديث عن شهادتهم في الفرع السابق، وأمّا العلماء الربانيون فهم الذين سأتحدث عنهم في هذا الفرع ، ولكن قبل أن أبدأ الحديث عنهم لابدّ من الإشارة إلى أنّ الله ﷻ جعلهم هم والأنبياء في صف واحد فشملهم بكلمة واحدة تدل عليهم جميعاً، وهذا يدلّ على عظيم شرفهم، والمتأمّل في بلاغة اختيار لفظة (أولي العلم) بدلاً من اختيار لفظة (الأنبياء) مثلاً يجد أنّ لفظة أولي العلم أعمّ من لفظة الأنبياء ؛ ويدخل فيها الأنبياء وأتباعهم المخلِصين العالمين بالله .[3]

---

[1] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٤) ، ص(٤١) .

[2] انظر : أبو حيان ،**البحر المحيط**، ج(٢) ، ص(٤١٩) . وابن القيم ، **مدارج السالكين**،ج(٣) ، ص(٤٧٢).

[3] انظر : ابن القيّم ، **مدارج السالكين**، ج(٣) ، ص(٤٧٢) . ومجموعة من العلماء ،(**فضل العلم ومنزلة العلماء**)، شبكة السكينة ،٢٨– ٨ – ١٤٣٤هـ . https://www.assakina.com

ويستثنى من هذا المعنى ملاحدة العلماء ممن لا يؤمنون بالله ﷻ، ولو بلغ علمهم الدنيوي ما بلغ، وإنما المقصود من ذلك هم العلماء القائمون بهذه الشهادة، وهم الذين يزيدهم علمهم الأخروي خشية لله ﷻ، ويتخذون من علمهم الدنيوي طريقاً إلى الله – تعالى – فهؤلاء هم أحقّ الخلق بهذه الشهادة وهم أهلها، وقد ذُكرت شهادتهم بعد شهادة الملائكة الكرام .

قال القرطبي – رحمه الله ﷻ: في هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء ؛ فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله ﷻ باسمه واسم ملائكته – الكرام – كما قرن اسم العلماء، وقال في شرف العلم لنبيه:﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾(طه : ١١٤) فلو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله –تعالى – نبيه أن يسأله المزيد منه كما أمر أن يستزيده من العلم فعن أبي الدرداء ﷺ[1] عن النبي ﷺ أنه قال : ((...إِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّماوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحيتَانُ في المَاءِ ، وَفضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ ، وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يوَرِّثُوا دِينَاراً وَلاَ دِرْهَماً وَإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بحَظٍّ وَافِرٍ))[2] وهذا شرف للعلماء عظيم[3].

وتكون شهادة العلماء بعدّة معانٍ :

الأول : الإقرار، أي بإقرارهم بوحدانية الله ﷻ بألسنتهم وجوارحهم، من غير تحريف ولا تعطيل، فهم أهل الإقرار، وأهل التوحيد، وهم الذين شهدوا بحقيقة ما شهد الله به لنفسه، وهم الذين يبذلون أرواحهم من أجل إقامة هذه الشهادة في الأرض .[4]

الثاني : التبيين والإظهار، وذلك بما يبينون للناس أمور دينهم، وبما يقيمون من حجج على الملاحدة، وأصحاب الشبهات .[5]

---

[1] **أبو الدرداء** عويمر بن عامر الأنصاري ، من مشاهير وعلماء الصحابة ، اشتهر بزهده ، ورجاحة عقله ، آخى النبي ﷺ بينه وبين سلمان الفارسي ، خرج إلى الشام ليعلّم الناس القرآن ، وتولى قضاء دمشق ، وتوفي سنة (٣٢)هـ . انظر : ابن حجر العسقلاني ،**الإصابة في تمييز الصحابة**، ج(٤) ، ص(٧٤٧) .

[2] أخرجه : أبو داوود ، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: ٢٧٥هـ) ، **سنن أبي داوود**، تعليق : الألباني ، (٤)ج ، (دار الكتاب العربي– بيروت) ج(٣) ، ص(٣٥٤) ، ر(٣٦٤٣) ، قال عنه الألباني : صحيح .

[3] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٤) ، ص(٤١) .

[4] انظر بتصرف : ابن القيم ، **مدارج السالكين**، ج(٣) ، ص(٧٤٣) . وابن عاشور ، **التحرير والتنوير**، ج(٣) ، ص(١٨٦) .

[5] انظر بتصرف : المرجعين السابقين .

فتبيين العلماء لأمور دينهم هو قيام بشهادة الله ﷻ، وهم أحقّ من قام بها بعد شهادة الملائكة والرسل – الكرام، وهم المبلغون عن الله ﷻ، وهم صفوة المؤمنين، وهم من يخشى الله ﷻ من بين عباده، قال تعالى :﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ (فاطر : ٢٨) وقد يأتي زمان يخلو من الأنبياء ولا يخلو من العلماء فيكونون هم القائمون بشهادة الله ﷻ في أرضه ، وأتباعهم من المؤمنين، وهؤلاء العلماء سيكونون هم على رأس أمة محمد التي ستشهد على النّاس يوم القيامة، فهم أحقّ الناس بهذا الشرف بعد الأنبياء – عليهم السلام .

ثانياً : شهادة أمّة محمد– صلى الله عليه وسلّم.

يعدّ موضوع شهادة أمّة محمد من أهمّ موضوعات الرسالة، بل هي الثمرة التي يجنيها المؤمن بعد تعب الدنيا، وذلك بأن يشرّفه ربّه ﷻ بأن يكون شهيداً على الناس يوم القيامة، وقد خصّ الله ﷻ أمّة محمد بصفة من صفات نبيها وهي الشهادة على النّاس، وذلك من خلال قوله تعالى :﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(البقرة:١٤٣) .

يخبرنا الله –تعالى – في هذه الآية بأنّه جعل هذه الأمّة أمّة وسطاً من بين الأمم، أي عدولاً خياراً ، وذلك لجعلها مؤهلة كي تشهد على الأمم الأخرى، ولكي يشهد عليها نبيها يوم القيامة، ووسط الشيء هو : خِياره وأجوده، وأبعده عن الخلل، ويقال وسط الوادي أي : خير موضع فيه وأكثره كلأً وعشباً، والأمّة الوسط أي : خير الأمم وأفضلها، وأعدلها أفراداً [1]وقد روى أَبِو سَعِيدٍ الخدري ﷺ[2]عَنِ النَّبِي صلى الله عليه وسلم فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ((﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾قَالَ: عَدْلاً))[3]، والعدل هو : هو الاستقامة والميل إلى الحقّ .[4]

فهذه تزكية ربانية بأنّ آخر الأمم على الأرض سيكونون عدول الدنيا والآخرة، وسيشهدون على أول الأمم وآخرها، فيا لها من عطية أكرمنا الله ﷻ بها، ويا لها من صفة حباها الله ﷻ لنبيّه ﷺ، ثم حباها لأمته في حياته وبعد موته، ولن تكون هذه الأمة شهيدة حتى تكون وسطية .

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسول اللَّهِ ﷺ: ((نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ))[5]،أي أنّ الله ﷻجعل

---

[1]انظر : الزمخشري ،**الكشاف**، ج(١) ، ص(٢٢٤) . والقرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٢) ، ص(١٥٣) . وابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم**، ج(١) ، ص(٤٥٤) .

[2]**أبو سعيد الخدري سعد بن مالك**، من مشاهير الصحابة ، روى عن النبي ﷺ الكثير من الأحاديث ، بايع النبي ﷺ ألا تأخذه في الله لومة لائم ، شهد غزوة الخندق وبني المصطلق ، توفي سنة (٦٣)هـ . انظر : ابن حجر العسقلاني ، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج(٣) ، ص(٧٨ –٧٩) .

[3]أخرجه : البخاري ،**صحيح البخاري**، كتاب: الأنبياء، باب: (إنا أرسلنا نوحا إلى قومه) ج(٢) ، ص(١٢١٥) ، ر(٣١٦١) .

[4] الجرجاني ، **التعريفات**، ص(١٩٢) .

[5]أخرجه : مسلم ، **صحيح مسلم**، كتاب : الجمعة ، باب : هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ، ج(٣) ، ص(٦) ، ر(٢٠١٧) .

أمّة محمد ﷺالأولى مكاناً في الدنيا والآخرة، وإن كانت الآخرة زماناً، وقد اكتسبت هذه المكانة بفضل وسطيتها واعتدالها[١]، وشهادة الأمّة بمعنى : الاحتجاج، أي إقامة الحجة على الناس .[٢]

ومن المعلوم بالضرورة أنّ الله ﷻ لا يحتاج شهادة أحد من خلقه لإثبات التهمة على عباده، وإنما هي من باب إقامة الحجة على الخلق، ومن باب التشريف لمقام من شهدوا أمام الله ﷻ، وقد خصّ الله ﷻ أمّة محمد بهذا الشرف دون سائر الأمم .

وبعد النظر في التفاسير تبيّن لي أنّ شهادة الأمّة تمر في مرحلتين :

<u>المرحلة الدنيوية</u> : ويكون ذلك بتبليغ رسالة نبيّهم ﷺ للأمم الأخرى وإقامة الحجة عليهم، وتكون أيضاً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للمسلمين أنفسهم، وذلك لأنهم عدول الدنيا والآخرة، وهم شهداء الله ﷻ في أرضه.[٣]

قال أبو حيان– رحمه الله: "هذه الأمة شهداء على من ترك الحق من الناس أجمعين" .[٤]

وهذا يعني أنّ نُصح الصالحين والدّعاة للعصاة المسلمين هو شهادة لهم، وكذلك تبليغهم لدين الله ﷻ في الأرض هو شهادة لهم، وإن تَرك حاكم المسلمين الحقَّ ونصحه علماء الأمّة فهم شهداء عليه في الدنيا والآخرة، وإن قام بقتلهم فهم خير الشهداء عند الله ﷻ، ألم يقل نبيّنا الكريم في الحديث الذي رواه ابن عباس – رضي الله عنهما – : ((أَكْرَمُ الشُّهداءِ يَومَ القِيامَةِ حَمْزة بنُ عَبدِ المُطّلب، ثُمّ رَجلٌ قامَ إلى إمامٍ جَائرٍ فأَمَرَهُ ونهاهُ فَقَتَلَه))[٥]، فالشهادة لا تقتصر على ساحات المعركة، كما يظن بعض الناس، وإنّما الشهادة أولاً بتليغ دين الله ﷻ، لأنّ الشهيد هو المبلّغ، فمن بلّغ الدين، وأمر ونهى فهو عند ربه شهيد في الدنيا ثم في الآخرة .

وشهادة الأمّة أيضاً لها اعتبارها عند الله ﷻ، عندما يشهدون لبعضهم بالخير أو الشرّ،

---

[١] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٢) ، ص(١٥٥– ١٥٦) .

[٢] انظر : أبو حيان ،**البحر المحيط**، ج(١) ، ص(٥٩٥) .

[٣] انظر بتصرف : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٢) ، ص(١٥٥– ١٥٦) ، وأبو حيان ،**البحر المحيط**، ج(١) ، ص(٥٩٥ – ٥٩٦) . والشعراوي ،**الخواطر**،ج(١٥) ، ص(٩١٢٥ – ٩١٢٦) .

[٤] أبو حيان ،**البحر المحيط**، ج(١) ، ص(٥٩٦) .

[٥] أخرجه : الحاكم ،**مستدرك الحاكم**، ج(٣) ، ص(١٥) ، ر(٤٨٨٤) ، قال عنه الحاكم : صحيح الإسناد .

جاء في الحديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ[1]قَالَ :((مَرُّوا بِجِنَازَةٍ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ** وَمَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا فَقَالَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ، فَقَالَ عُمَرُ : فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا فَقُلْتَ : وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرًّا فَقُلْتَ وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ، فَقَالَ : مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ))[2] .

ونلحظ في هذا الحديث أنّ شهادة المشيّعين للجنازة لم تكن مجرّد كلمات عابرة، وإنما كان لها قيمة عند الله ﷻ بأن وجبت بها الجنّة لمن شُهد له بالخير، ووجبت بها النار لمن شُهد له بالشر، وهذا يدلّ على أنّ شهادتهم هي شهادة العدول الأخيار .

قال القرطبي – رحمه الله : " ولا ينفذ قول الغير على الغير إلا أن يكون عدلا "[3]، ويدخل في معنى الشهادة الدنيوية، شهادتهم على أحاديث نبيّهم ﷺ، وتنقية الصحيح من الضعيف منها، فهم الذين رووا أحاديث رسول الله ﷺ جيلاً بعد جيل، وهم الذين نقلوا القرآن الكريم بالسند المتّصل عن رسول الله ﷺ، فصحّ نقلهم .

ويعدّ إجماع الأمّة على الحقّ، من أهمّ معاني الشهادة الدنيوية، فهم أهلٌ لهذا الإجماع بعدالتهم وأبعدهم عن الضلالة .[4]

قال القرطبي– رحمه الله – في تفسيره للآية السابقة (البقرة : ١٤٣) : " وفي هذه الآية دليل على صحة الإجماع ووجوب الحُكم به ، لأنهم إذا كانوا عدولاً شهدوا على الناس، فكل عصر شهيد على من بعده ، فقول الصحابة حجة وشاهد على التابعين ، وقول التابعين على من بعدهم، وإذ جعلت الأمة شهداء فقد وجب قبول قولهم " .[5]

---

[1] **أنس بن مالك** بن النّضر الأنصاري ، خادم الرسول ، وأحد المكثرين من الرواية عنه ، كنّاه النبي ﷺ بأبي حمزة ، غزا مع النّبي ﷺ ثماني غزوات ، وشهد الفتوح الإسلامية ، وتوفي بالبصرة سنة (٩١)هـ . ابن حجر العسقلاني ،**الإصابة في تمييز الصحابة**، ج(١) ، ص(١٢٧) .

[2] أخرجه مسلم ،**صحيح مسلم**، كتاب الجنائز ، باب : فيما يثنى عليه خيراً أو شراً من الموتى ، ج(٣) ، ص(٥٣) ، ر(٢٢٤٣) .

[3] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٢) ، ص(١٥٦) .

[4] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٢) ، ص(١٥٦) .

[5] القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٢) ، ص(١٥٦) .

ومن أهمّ معاني الشهادة الدنيوية لأمّة محمد ﷺ، هي البشارة الربانية أنّها ستسود الأمم، وأنّ العالم سيعود إلى حكمها، وذلك إن أدّت شهادة الله ﷻعليها والتزمت بوسطيتها، وهذا معنى جعلها شهيدة على النّاس. [1]

المرحلة الأخروية : وتكون **بالشهادة للأنبياء**– عليهم السلام – أولاً بأنهم بَلّغوا رسالة ربهم، ولم يقصّروا في تبليغ أقوامهم، وتكون أيضاً **بالشهادة على الأمم الأخرى** من اليهود والنصارى وغيرهم، وإقامة الحجة عليهم يوم القيامة أنّ رسلهم قد بلّغتهم رسالة ربهم[2]، وتكون أيضاً **بالشهادة على بعض المسلمين الذين حرفوا وبدلوا في دينهم**، أنّهم لم يحسنوا اتباع نبيّهم .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ – رضي الله عنه – قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((يَجِيءُ النَّبِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلانِ وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ فَيُدْعَى قَوْمُهُ فَيُقَالُ لَهُمْ : هَلْ بَلَّغَكُمْ هَذَا ؟ فَيَقُولُونَ : لا فَيُقَالُ لَهُ : هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ، فَيُقَالُ لَهُ : مَنْ يَشْهَدُ لَكَ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ ؛ فَيُدْعَى مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ ؛ فَيُقَالُ لَهُمْ : هَلْ بَلَّغَ هَذَا قَوْمَهُ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ؛ فَيُقَالُ : وَمَا عِلْمُكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : جَاءَنَا نَبِيُّنَا فَأَخْبَرَنَا أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾)) [3].

نفهم من الحديث السابق أنّ الأنبياء – عليهم السلام – لم يرتضوا شهيداً لهم من بين الأولين والآخرين إلا محمداً ﷺ وأمّته، وهذا يدل على أفضليتهم وتميّزهم، وشهادتهم تعني أنّ الله ﷻ قد ارتضى بهم حَكَماً بين الأنبياء وأقوامهم، والله ﷻلا يرضى إلا من كان أهلاً لهذا التحكيم .

وقد يسأل سائل كيف تشهد الأمة للأنبياء – عليهم السلام – من غير مشاهدة حقيقية لما حصل معهم في الدنيا ؟؟

---

[1] انظر : الشعراوي ،محمد متولي (ت: ١٤١٨هـ) ،(**متى يكون المسلمون شهداء على النّاس)** . https://www.youtube.com/watch?v=dzOblM٧R٥RI

[2] انظر بتصرف : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٢) ، ص(١٥٤) . وأبو حيان ،**البحر المحيط**، ج(١) ، ص(٥٩٥) .

[3] أخرجه : ابن ماجة ، محمد بن يزيد(ت: ٢٣٧هـ)،**سنن ابن ماجة** ، تحقيق : محمد عبد الباقي ، تعليق : محمد ناصر الدين الألباني ، (دار الفكر – بيروت) ، كتاب : الزهد ، باب : صفة أمّة محمد ، ج(٢) ، ص(١٤٣٢) ، ر(٤٢٨٤) . قال عنه الألباني : صحيح .

الجواب على ذلك أنّ هذه شهادة خاصة بأمّة محمدﷺ يشهدون للأنبياء– عليهم السلام، من غير مشاهدة حقيقية حسية لما حصل معهم، وذلك لأنهم شهدوا بذلك شهادة بالبصيرة[1]، بما عرفوه من أخبار الأنبياء مما هو موجود في القرآن ومما أخبرنا به نبينا الكريم، فنحن نعلم علم اليقين أنّ نوحاً وصالحاً وعيسى وموسى– عليهم السلام – قد بلغوا قومهم رسالة ربّهم، وسنشهد لهم يوم القيامة مع أننا لم نرهم في الدنيا، لكننا نؤمن بصدقهم أكثر ممن رآهم ولم يؤمن بهم، ونحن أولى بهم ممن كفر من أقوامهم .

وقد جاء في بعض الأحاديث أنّ الأمّة سوف تشهد لنوح بالذات كما ستشهد لعموم الأنبياء– عليهم السلام – فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ– رضي الله عنه– قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((يُدْعَى نُوحٌ – عَلَيْهِ السَّلام– يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ : هَلْ بَلَّغْتَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ ؛ فَيُدْعَى قَوْمُهُ فَيُقَالُ لَهُمْ : هَلْ بَلَّغَكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ أَوْ مَا أَتَانَا مِنْ أَحَدٍ، قَالَ : فَيُقَالُ لِنُوحٍ : مَنْ يَشْهَدُ لَكَ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، قَالَ : فَذَلِكَ قَوْلُهُ : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) قَالَ : الْوَسَطُ الْعَدْلُ)[2] وزاد أحمد : قَالَ : فَيُدْعَوْنَ فَيَشْهَدُونَ لَهُ بِالْبَلاغِ، قَالَ : ثُمَّ أَشْهَدُ عَلَيْكُم))[3].

وبالنّظر إلى ما سبق، **نفهم أنّ شهادة الأمّة تكون بين ندّين هما الحق والباطل،** ونفهم أنّ الله ﷻ لم يختر هذه الأمّة للشهادة على النّاس إلا لأمور قد أهّلتها لذلك، وميّزتها على غيرها من الأمم، **فما هي الأمور التي تحتاجها الأمّة حتى تكون مؤهلة للشهادة على الأمم الأخرى :**

تحتاج الأمّة لعدد من الأمور حتى تكون مؤهلة للشهادة على الأمم الأخرى :

١. أن تحمل صفة الوسطية، وهي الصفة التي ربطها الله ﷻ بصفة الشهادة على الأمم، قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾(البقرة:١٤٣) .

والوسطية تعني الأفضلية، وتعني أن تكون الأمّة معتدلة في كل شيء ؛ فلا يكون عندها غلو

---

[1] انظر :الشهادة بالبصيرة ، ص (٧) من هذه الرسالة .

[2] أخرجه : البخاري ، **صحيح البخاري**، كتاب : التفسير ، باب : سورة البقرة ، ج(٤) ، ص(١٦٣٢) ، ر(٤٢١٧).

[3] أخرجه : أحمد ،أحمد بن حنبل الشيباني ،**مسند أحمد بن حنبل**،تعليق : شعيب الأرناؤوط ، (مؤسسة قرطبة) ، مسند أبي سعيد الخدري ، ج(٢) ، ص(٣٢) ، ر(١١٣٠١) ، قال شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

اليهود، ولا تقصير النصارى[1]، وقد قال القرطبي : الأمة الوسط : أي منزلتها " دون الأنبياء وفوق الأمم " [2] .

٢. أن تكون قدوة للأمم، فالشاهد حتى يكون شاهداً ؛ يجب أن يكون أفضل من غيره ؛ في دينه وأخلاقه، وعلمه، وإنجازاته، بحيث يلفت الانتباه إليه ؛ ويثير فضول الآخرين للتشبه به، وحتى في الشهادة الدنيوية فعلى الشاهد أن يكون مقنعاً لغيره بأفعاله قبل أن يأمر النّاس بها .

٣. أن تحمل رسالة نبيّها، وتنشرها بين الأمم في الدنيا، وذلك لأنّ أعظم معنى للشهيد هو المبلّغ فهي الأمّة المبلّغة عن نبيها الذي بلّغ عن الله ﷻ .

وقد يسأل سائل : **هل جميع الأمّة على الإطلاق شهداء ؟؟**

الجواب على ذلك من خلال قوله تعالى :﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾(الحديد : ١٩) .

يصف الله – تعالى – في هذه الآية عباده المؤمنين به وبرسله بأنّهم صدّيقون وشهداء، ولفظة (الشهداء) في هذه الآية ليست خاصة بشهداء المعارك فحسب ؛ كما يظنّ كثير من النّاس، فمعنى (الشهداء) في هذه الآية يشمل شهداء المعارك، وصالح المؤمنين من الذين سيشهدون على الناس في الآخرة، فالله ﷻ يخبرنا بأنّ المؤمنين الملتزمين بدينهم سوف يكونون من الصدّيقين والشهداء يوم القيامة وإن ماتوا على فراشهم[3]،وقد وردت آثار كثيرة تدلل على ذلك:

وعن عمرو بن مرة الجهني[4] قال : ((جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ شَهِدْتُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ، وَأَنَّكَ رَسُولَ اللَّهِ ، وَصَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ ، وَأَدَّيْتُ الزَّكَاةَ وَصُمْتُ رَمَضَانَ وَقُمْتُهُ ، فَمَنْ أَنَا ؟ قَال : مِنَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ)) .[5]

---

[1] انظر بتصرف : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**،ج(٢) ، ص(١٥٢-١٥٤) .

[2] القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**،ج(٢) ، ص(١٥٣) .

[3] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(١٧) ، ص(٢٥٣) .

[4] **عمرو بن مرّة الجهني**، من أصحاب النبي ، دخل الإسلام شيخا كبيراً ، وكان سبباً في إسلام قومه ، وخاض مع النبي معظم الغزوات ، وشارك في حروب الردّة ، وتوفي في خلافة معاوية . انظر : ابن حجر ،**الإصابة في تمييز الصحابة**، ج(٤) ، ص(٦٨١) .

[5] أخرجه : ابن حبان ، محمد بن حبان البستي(ت: ٣٥٤هـ) ، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، تعليق : شعيب الأرناؤوط ، ط(٢) ، مؤسسة الرسالة : ١٤١٤هـ) . قال شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

ويشهد لهذا الحديث ما رُوي عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنّه قال يوما لأصحابه : ((كُلُّكُمْ صِدّيقْ وَشَهيد، قِيلَ لَه : ما تَقولُ يا أَبا هُريرَة ؟ قال : إقرأوا : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾)) .[1]

وما روي عن البراء بن عازب – رضي الله عنه – أنه قال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم –يقول : ((مُؤْمِنو أُمْتِي شُهَداءْ، ثمَّ تَلا :﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ .[2]

وعن ابن مسعود – رضي الله عنه– قال : ((إنَّ الرَّجُلَ لَيَمُوتُ على فِراشِهِ وَهُوَ شَهيد ثُمَّ تَلا : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾)).[3]

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ الأَلْهَانِيِّ[4]أنّه قَالَ: ((ذُكِرَ عِنْدَ أَبِى عِنَبَةَ الْخَوْلاَنِي[5]ﷺ الشُّهَدَاءُ فَذَكَرُوا الْمَبْطُونَ، وَالْمَطْعُونَ، وَالنُّفَسَاءَ، فَغَضِبَ أَبُو عِنَبَةَ وَقَالَ: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ نَبِيِّنَا عَنْ نَبِيِّنَا ﷺ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ شُهَدَاءَ اللَّهِ فِي الأَرْضِ أُمَنَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ فِي خَلْقِهِ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا)) .[6]

وكون هذه الأمة شهداء على الناس، فهذا المفهوم لا يكون على الإطلاق، وإنما يشترط من المؤمن أن يكون قائماً بمقتضيات هذه الشهادة من فعل الطاعات، واجتناب المنكرات، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر .

---

[1] أخرجه : عبد الرزاق ، **مصنف عبد الرزاق**، باب : الشهيد ، ج(٥) ، ص(٢٦٩) ، ر(٩٥٧٠) .

[2] أخرجه : عبد الرزاق ، عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت: ٢١١هـ) ، **مصنّف عبد الرزاق الصنعاني**، تحقيق : حبيب الأعظمي ، ط(٢) ، (المكتب الإسلامي – بيروت : ١٤٠٣هـ) ، باب : الشهيد ، ج(٥) ، ص(٢٦٩) ، ر(٩٥٧٠) . والطبري ،**جامع البيان** ، ج(٢٣) ، ص(١٩٢) .

[3] أخرجه : الحاكم ،**المستدرك على الصحيحين**، كتاب : الجهاد ، ج(٢) ، ص(١٢١) ، ر(٢٥٢٦) .

[4] **محمد بن زياد الألهاني**، من كبار محدثي حِمص ، قال عنه الإمام أحمد : ثقة ، وروى عنه بعض المحدّثين ، توفي سنة (٤٠)هـ . انظر : الذهبي ،**سير أعلام النبلاء**، ج(٦) ، ص(١٨٨) .

[5] **أبو عنبة الخولاني**، الصحابي المُعَمّر ، وصاحب معاذ بن جبل ، شهد اليرموك وسكن حِمص ، حدّث عنه بعض المحدّثين ، توفي سنة (١١٨)هـ .انظر : الذهبي ،**سير أعلام النبلاء**، ج(٣) ، ص(٤٣٤) .

[6] أخرجه : احمد، **مسند أحمد بن حنبل**، مسند الشاميين ، حديث أبي عنبة الخولاني ، ج(٤) ، ص(٢٠٠) ، ر(١٧٨٢١) ، قال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن .

قال ابن القيم : " من لم يقم بهذه الشهادة علماً وعملاً ومعرفةً وإقراراً ودعوةً وتعليماً وإرشاداً فليس من شهداء الله واللهُ المستعان " [١].

وقال الآلوسي في تفسيره للآية السابقة (الحديد : ١٩) : " وينبغي أن يحمل الذين آمنوا على من لهم كمال في ذلك يعتدّ به، ولا يتحقق إلا بفعل طاعات يعتدّ بها، وإلا فيبعد أن يكون المؤمن المنهمك في الشهوات الغافل عن الطاعات صديقاً شهيداً " .[٢]

وعلى الأمّة أن لا تغتر بكونها المصطفاة للشهادة على النّاس كما اغتر اليهود بأنفسهم عندما قالوا :﴿ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ ﴾(المائدة : ١٨)، وعليها أن تتذكر أنّها لن تشهد على الناس إلا من باطن ما شهد به رسولها الكريم، وعليها أن تتذكر أيضاً أنّ الرسول سيكون شهيداً عليها كذلك، بحسب إحسانها أو إساءتها، فكما سَتَشْهَد سَيُشهَد عليها. [٣]

وقد وردت بعض الآثار التي تستثني بعض الفئات بالذات من شرف الشهادة على الناس يوم القيامة منها :

١. **اللّعانون:** فعَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ ﷺ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يَقُولُ : ((إِنَّ اللَّعَّانِينَ لاَ يَكُونُون شُهَدَاءَ ، وَلاَ شُفْعَاءَ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) . [٤]

ويدل هذا الحديث أنّ من يكثر اللّعن لا يستحق أن يكون من فئة الشهداء على النّاس يوم القيامة[٥]، وأنّ اللّعن يناقض الشهادة ؛ فشتان بين من يدعو ويتمنى أن يُطرد الناس من رحمة الله وبين من يدعو النّاس إلى رحمة الله ﷻ .

٢. **الذين لا يردّون عن عرض إخوانهم :** فعن عمر ﷺ أنّه قال: (مَا لَكُمْ إِذَا رَأيتُم الرجُل يُخَرِّق أعْراضَ النَّاسِ أَنْ لا تُعَرِّبوا عليه ؟ قَالوا: نَخافُ لِسانَهُ، قَال: ذَاكَ أَدْنَى أَنْ تَكُونُوا شُهَدَاء) .[٦]

---

[١] ابن القيم ، **مدارج السالكين**، ج(٣) ، ص(٤٧٤) .

[٢] الآلوسي ، **روح المعاني**، ج(١٤) ، ص(١٨٣) .

[٣] انظر بتصرف : الشعراوي ، محمد متولي(ت : ١٤١٨هـ) ،(**تفسير سورة البقرة ،الآيات : ١٤٣– ١٤٦**). https://www.youtube.com/watch?v=By_aF٥٨RBQA

[٤] أخرجه : مسلم ، **صحيح مسلم**، كتاب : البر والصلة والأدب ، باب : النهي عن لعن الدواب وغيرها ، ج(٨) ، ص(٢٤) ، ر(٦٧٧٧) .

[٥] انظر : ابن الأثير ، المبارك بن محمد (ت : ٦٠٦هـ) ،**النهاية في غريب الحديث والأثر** ، تحقيق ، طاهر الزاوي ، (المكتبة العلمية – بيروت : ١٣٩٩هـ) ، ج(٢) ، ص(٥١٤) .

[٦] أخرجه : عبد الرزاق ، **مصنف عبد الرزاق**، باب : الاغتياب والشتم ، ج(١١) . ص(١٧٨) ، ر(٢٠٢٦١) .

قال ابن الأثير : أي إذا لم تردّوا عن عرض إخوانكم لم تكونوا من جملة الشهداء الذين يستشهدون يوم القيامة على الأمم التي كذبت أنبياءها .[1]

ومعنى (تُعرِّبوا عليه) أي : أن لا تفسدوا عليه، وتنكروا كلامه .[2]

والمتأمّل فيما سبق، يستنتج أنّه قد يُحرَم المؤمن مرتبة الشهادة على النّاس إذا لم يرد عن عرض أخيه، فكيف إذا كان إخوانه المسلمون في محنة وبلاء ولم ينصرهم أويدافع عنهم كما هو حال المسلمين اليوم لا نصير لهم، وهذا ما يجب أن يعلمه الحاكم المسلم إذا كان يريد أن يكون من شهداء الله ﷻ يوم القيامة، فهذا لا يكون إلا بالدّفاع عن المستضعفين في أي بلد من البلاد .

٣. من كان في قلبه حِنَة على أخيه .

قال ابن أنعم [3]: (بَلَغَنِي أنّهُ يَشْهَدُ يَومئذٍ أُمّةُ مُحمدٍﷺ إلا مَن كَانَ فِي قَلْبِهِ حِنَةٌ عَلى أَخِيهِ) .[4]

أي أنه سيحرم الشهادة على الناس من كان قلبه مليئاً بالحقد على إخوانه، والحِنَة من الإِحْنَة : وهي الحقد في الصدر[5]، أي أنّ مرتبة الشهادة على الناس لن ينالها حقود .

وبهذا نكون قد عرفنا عظمة هذا الدين الذي ليس فيه احتكار مناصب[6]، فالكل إن التزم بتعاليم دينه سوف يكون شهيداً عند ربه يوم القيامة .

---

[1] انظر : ابن الأثير ،**النهاية في غريب الحديث والأثر**، ج(٢) ، ص(٥١٤) .

[2] انظر : الزمخشري ، محمود بن عمر (ت: ٥٣٨هـ) ،**الفائق في غريب الحديث والأثر**، تحقيق : علي البجاوي ، ط(٢) ، (دار المعرفة – بيروت) ، ج(٢) ، ص(٤١٤) .

[3] **عبد الرحمن بن زياد بن أنعم** الإفريقي ، التابعي ، قاضي إفريقية وعالمها الثقة ، نقل كثير من الأحاديث ، لكنه كان سيء الحفظ ، توفي في القيروان سنة (١٦١)هـ . انظر : الذهبي ،**سير أعلام النبلاء**، ج(٦) ، ص(٤١٢).

[4] أخرجه : الطبري ، **جامع البيان** ، ج(٣) ، ص(١٥٢) ، قال عنه المحقق أحمد شاكر : حديث ضعيف .

[5] مرتضى الزبيدي ، **تاج العروس**، ج(٤٣) ، ص(١٥٨) .

[6] انظر : سيد قطب ، **في ظلال القرآن**، ج(٢٧) ، ص(٣٤٩٠) .

ثالثاً : الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله ﷻ .

الشهداء من المؤمنين في الآخرة نوعان ؛ الأول : هم الشهداء على الناس يوم القيامة، والثاني : وهم المقتولون في سبيل الله ﷻ، فأمّا النوع الأول فقد سبق الحديث عنه في الصفحات السابقة ويشمل العلماء والأنبياء – عليهم السلام – وأمّة محمد ﷺ، وأمّا المقتولون في سبيل الله ﷻ فسيتم الحديث عنهم هنا إن شاء الله ﷻ.

تعريف الشهيد .

الشهيد : من مات من المسلمين في جهاد الكفار، أو بسبب من أسباب قتالهم[١].

لقد مرّ سابقاً أنّ لفظة الشهيد مشتقة من الفعل (شَهِدَ)، والتي يدور معناها حول الحضور والعِلم والإعلام[٢]، فالشهيد هو الذي حضر المعركة، وعَلِم مُراد الله ، وأعلَم غيره أنّ ما يقاتل من أجله هو الحق الذي أمره الله ﷻ به .[٣]

ويكون إعلام الشهيد في الدنيا عن طريق جهاده في سبيل الله ﷻ، ويكون إعلامه في الآخرة عندما يطلب الله ﷻ منه أن يشهد على الناس يوم القيامة .

وقد تعددت أقوال العلماء في سبب تسمية الشهيد بهذا الاسم :

الأول : سمي بذلك لأنه مشهود له بالجنة . [٤]

الثاني : لأنّ روحه احتضرت دار السلام، وروح غيره لا تشهدها . [٥]

الثالث : لأنّ الله ﷻ وملائكته – عليهم السلام – شهدوا له بالجنة[٦].

الرابع : لأنّه يشهد مع الأنبياء والصديقين .[٧]

---

[١] انظر بتصرف : ابن نجيم ، زين الدين بن إبراهيم (ت: ٩٧٠هـ) وآخرون ،**البحر الرائق شرح كنز الدقائق ومنحة الخالق وتكملة الطوري**، ط(٢) ، (دار الكتاب الإسلامي) ، ج(٢) ، ص(٢١١) .

[٢] انظر: ابن فارس ، **مقاييس اللغة** ، ج(٣) ، ص(٢٢١) . وابن منظور ، **لسان العرب** ، ج(٣) ، ص(٢٣٨).

[٣] انظر بتصرف : سيد قطب ، **في ظلال القرآن**، ج(٤) ، ص(٤٨١) . وشحادة، وسيم يوسف،(**معنى اسم الله " الشهيد "**) ، ١٦ – ٩ – ١٤٣٥هـ \ ٢٠١٤م .
https://www.youtube.com/watch?v=HQl٧cb٩PLHI

[٤] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٤) ، ص(١٨) .

[٥] انظر : المرجع السابق .

[٦] انظر : الرازي ،**التفسير الكبير**، ج(٩) ، ص(٣٧١) .

[٧] انظر : المرجع السابق .

الخامس : لأنه كالمُشاهد للجنة .[1]

السادس : لأنّه حي، فكأنّ روحه حاضرة شاهدة، وذلك لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾(آل عمران : ١٦٩) .[2]

السابع : لأنه يُشهد له بالأمان من النار .[3]

الثامن : لأنه يَشهد يوم القيامة بإبلاغ الرسل، وتَشهد له الأنبياء – عليهم السلام – بحسن الاتباع [4].

التاسع : لأنّ عليه علامة شاهدة بأنه قد نجا[5]؛ كابتسامته، وانبعاث رائحة زكية من جسده .

العاشر : لأنه شُهد له بالإيمان، وخاتمة الخير بظاهر حاله .[6]

الحادي عشر : لأنه شاهد على من قتله بالكفر .[7]

الثاني عشر : لقيامه بشهادة الحق، حتى قتل في سبيل الله ﷻ.[8]

الثالث عشر :لأنه يشهد كرامة – الله – تعالى في الآخرة، ويشهد على العباد بأعمالهم يوم القيامة إذا ختم له بالقتل في سبيل الله .[9]

الرابع عشر : لأنّه أعطى شهادة عملية للنّاس أنّ ما ذهب إليه أثمن من حياته .[10]

وهذه الأقوال كلها محتملة لمعنى الكلمة وأقواها هو ما قاله الشعراوي (القول : الرابع عشر)، وهو ما قاله الشهيد سيد قطب قبل ذلك عن تفسيره لمعنى لفظة (الشهيد) :

---

[1]انظر : الشوكاني ،**فتح القدير**، ج(١) ، ص(٤٤٠) .

[2]انظر : ابن حجر ، أحمد بن علي (ت: ٨٥٢هـ) ، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (دار المعرفة – بيروت : ١٣٧٩هـ) ، ج(٢) ، ص(٤٢) .

[3]انظر : ابن حجر ، **فتح الباري**، ج(٢) ، ص(٤٢) .

[4]انظر : المرجع السابق .

[5]انظر : المرجع الأسبق .

[6]انظر : النووي ، يحيى بن شرف(ت: ٦٧٦هـ) ،**المجموع (شرح المهذب مع تكملة السبكي والمطيعي)**، (دار الفكر) ، ج(١) ، ص(٢٧٧) .

[7]ابن عابدين ، **حاشية رد المختار على الدّر المختار**، (بيروت : ١٤٢١هـ) ، ج(٢) ، ص(٢٤٧) .

[8]انظر : الماوردي ، **النكت والعيون**، ج(١) ، ص(٥٠٤) .

[9]انظر : الماوردي ،**النكت والعيون**، ج(١) ، ص(٥٠٥) .

[10]انظر : الشعراوي ،**الخواطر**، ج(٦) ، ص(٣٣٤٣) .

قال الشهيد سيد قطب – رحمه الله – : الشهيد هو الذي يجعل من نفسه ومن سلوكه ومن حياته صورة حيّة لهذا الدين ويشهد لهذا الدين بالأحقية والأفضلية، وأنّه خير من الحياة ذاتها، وهو أعزّ ما يحرص عليه الأحياء[1]، والشهداء هم الذين يستشهدهم الله ﷻ على الحق الذي بعث به للناس، يستشهدهم فيؤدون الشهادة ... يؤدونها بجهادهم حتى الموت في سبيل إحقاق هذا الحق، وتقريره في دنيا الناس، ويطلب الله ﷻ منهم أداء هذه الشهادة، على أنّ ما جاءهم من عنده الحق، وعلى أنّ حياة الناس لا تصلح ولا تستقيم إلا بهذا الحق ..، وتكون شهادتهم هي الجهاد حتى الموت، وهذه شهادة لا تقبل الجدال ولا المحال. [2]

ونفهم مما سبق أنّ شهادة الشهيد في سبيل الله ﷻ تكون شهادة عملية ؛ عن طريق جهاده وإراقة دمه في المعركة ، وفي هذا إخبار للناس أنّ ما ذهب إليه من نصرة هذا الدين أغلى من حياته، وسيطلب الله ﷻ منه أن يؤدي شهادته هذه أمام الناس يوم القيامة، وبما أنّ الشهادة على الناس فيها معنى إقامة الحجة كما مرّ سابقاً، فهذا يعني أنّه سيقيم الحجّة على من قعد عن الجهاد، وآثر الحياة الدنيا، وسوف يشهد بالخير لمن نصر هذا الدين وسار على درب الشهادة.

وقد عدّ القرآن الشهداء من صفوة البشر الذين أنعم الله ﷻ عليهم،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ﴾**(النساء : ٦٩)** .

أي إنّ من يطع أوامر الله ﷻ ورسوله سيكون يوم القيامة مع الصدّيقين[3]والشهداء والصالحين، ولم يكتف الله – العظيم – بذلك، بل ذكر أنه سيكون رفيقاً لهم أيضاً، والرفيق هو الذي يرتفق به في الحضر والسفر، وقد يكون الإنسان مع القوم ولكنه لا يكون رفيقاً لهم، وذلك لأنّ الرفقة لا تنطبق إلا على الذي يهتمّ بشأن صاحبه ويعتني به ويسرّ لرؤيته، فهذا حال المؤمن الصالح فإنه سيكون مع الذين أنعم الله ﷻ عليهم، وسيكون رفيقاً ملازماً لهم .[4]

---

[1]انظر : سيد قطب ، **في ظلال القرآن**، ج(٣) ، ص(٤٠٢) .

[2] انظر : سيد قطب ، **في ظلال القرآن**، ج(٤) ، ص(٤٨١) .

[3]الصدّيقون : جمع صدّيق ، وهم أتباع الأنبياء ، وسمّوا بذلك نسبة إلى كثرة صدقهم مع الله ﷻ . انظر : الماوردي ،**النكت والعيون**، ج(١) ، ص(٥٠٤) .

[4]انظر : الرازي ،**التفسير الكبير**، ج(١٠) ، ص(١٢٩) .

ومعنى ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾أي لا توجد رفقة أفضل منهم .[1]

وسبب نزول هذه الآية ما رواه سعيد بن جبير وقتادة وغيرهم أنَّ ناساً توهموا أنهم لا يرون الأنبياء في الجنة لأنهم في أعلى عليين ، وحزنوا وسألوا النبي – صلى الله عليه وسلم – فنزلت هذه الآية .[2]

عَنْ عَائِشَةَ– رضي الله عنها – قالت: ((جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رسول اللَّه – صلى اللَّه عليه وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَأَهْلِي وَوَلَدِي، وَإِنِّي لَأَكُونُ فِي الْبَيْتِ فَأَذْكُرُكَ فَمَا أَصْبِرُ حَتَّى آتِيَكَ فَأَنْظُرُ إِلَيْكَ، وَإِذَا ذَكَرْتُ مَوْتِي وَمَوْتَكَ عَرَفْتُ أَنَّكَ إِذَا دَخَلْتَ الْجَنَّةَ رُفِعْتَ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَإِنِّي إِذَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ خَشِيتُ أَنْ لَا أَرَاكَ، فَلَمْ يَرُدَّ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم شَيْئًا، حَتَّى نَزَلَ جِبْرِيلُ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – بِهَذِهِ الْآيَةِ : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾)) .[3]

وقد يخطر ببال القارئ لهذه الآية أنّ المقصود بالشهداء فيها ؛ المقتولون في سبيل الله ﷻ فحسب ، وهذا خطأ كبير، قال الإمام الشعراوي– رحمه الله – في تفسير لفظة الشهداء هنا :

لفظة الشهداء في هذه الآية تشمل نوعين من الناس :

الأول : من قتل في سبيل الله ﷻ .[4]

الثاني : من بقي في المسلمين دون الخروج إلى القتال، لتبليغ الدين، والدعوة، فهو شاهد على هذا الدين مبلغ له ، وسيشهد على الأمم يوم القيامة ؛ لأنه ليس من المعقول أن يخرج جميع المسلمين للجهاد .[5]

فالشهيد ليس هو من قتل فحسب ، إنما الشهيد هو من يعطي شهادته لأنّ الشاهد هو المبلغ .[6]

---

[1] انظر : الشعراوي ،**الخواطر**، ج(٤) ، ص(٢٣٩٠) .

[2] انظر : الماوردي ،**النكت والعيون**، ج(١) ، ص(٥٠٤ – ٥٠٥) .

[3] أخرجه : الطبراني ، سليمان بن أحمد (ت: ٣٦٠هـ) ،**الروض الداني (المعجم الصغير)**، تحقيق : محمد أمرير ، ط(١) ، (المكتب الإسلامي : ١٤٠٥هـ) ، ج(١) ، ص(٥٣) ، ر(٥٢) . وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد : " رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران العابدي وهو ثقة ". الهيثمي ، نور الدين علي (ت: ٨٠٧هـ) ،**مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، (دار الفكر – بيروت : ١٤١٢هـ) ،ج(٧) ، ص(٦٣) ، ر(١٠٩٣٧).

[4] انظر : الشعراوي ،**الخواطر** ،ج(٤) ، ص(٢٣٨٩) .

[5] انظر : المرجع السابق .

[6] انظر : الشعراوي ،**الخواطر** ،ج(٤) ، ص(٢٣٨٩) .

وقال الرازي – رحمه الله : " لا يجوز أن تكون الشهادة مفسرة بكون الإنسان مقتول الكافر ، بل نقول : الشهيد فعيل بمعنى فاعل ، وهو الذي يشهد لدين الله ﷻ تارة بالحجة بالبيان ، وتارة بالسيف والسنان " [1] .

ومن نظير الآية السابقة قوله تعالى : ﴿ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٩ ﴾(الزمر : ٦٩) .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾(الحديد : ١٩) والتي تشمل النوعين السابقين من الشهداء .

فضل الشهداء :

للشهيد عند الله ﷻ فضل عظيم، أولها أن يؤمّنه الله ﷻ فتنة القبر، جاء في الحديث الشريف عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بَالُالْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ قَالَ كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً)) .[2]

وقد وردت أحاديث أخرى تذكر فضل الشهيد، من أهمها ما رواه الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ كَرِبَ الْكِنْدِيﷺ[3] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سِتَّ خِصَالٍ: أَنْ يُغْفَرَ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الإِيمَانِ، وَيُزَوَّجَ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُجَارَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنَ مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعَ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ)) .[4]

---

[1] الرازي ، **التفسير الكبير**، ج(١٠) ، ص(١٢٩) .

[2] أخرجه : النسائي ، أحمد بن شعيب(ت: ٣٠٣هـ) ،**المجتبى من السنن**، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، تعليق : محمد ناصر الدين الألباني ، ط(٢) ، (مكتب المطبوعات الإسلامية : ١٤٠٦هـ) ، ج(٤) ، ص(٩٩) ، ر(٢٠٥٣) . قال عنه الألباني : صحيح .

[3] **الصحابي : المقدام بن معد كرب الكندي**، نزل حمص ، وروى عدد من الأحاديث عن النبي ﷺ، توفي سنة (٨٧)هـ . انظر : الذهبي ،**سير أعلام النبلاء** ، ج(٣) ، ص(٤٢٨) .

[4] أخرجه : الترمذي ،**سنن الترمذي**، كتاب : فضائل الجهاد ، باب : في ثواب الشهيد ، ج(٤) ، ص(١٨٧) ، ر(١٦٦٣) ، قال عنه الترمذي : حديث حسن صحيح غريب ، قال عنه الألباني : صحيح .

أنواع الشهداء :

مَرّ سابقاً أنّ الشهيد في الأصل هو من قُتل في سبيل الله ﷻ، وقد جاء في بعض الأحاديث ذكر لأنواع أخرى من الشهداء غير شهداء المعارك سماهم العلماء **شهداء الآخرة :**

عن أبي هريرة أَنَّ رسولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – قال : ((الشهداءُ خَمْسَةٌ : الْمَطْعُونُ ، والْمَبْطُونُ ، والغَرِقُ ، وصاحبُ الَهدْمِ ، والشهيدُ في سبيل الله)) .[1]

وفي الحديث عن جابر بن عتيك [2]عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنّه قال : ((وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيدَةٌ))[3] .

المطعون : هو الذي مات في مرض الطاعون .[4]

المبطون : هو الذي مات في مرض في بطنه .[5]

صاحب الهدم : هو الذي يقع عليه بناء أو حائط فيموت تحته.[6]

وأما المرأة تموت بجمع : أي التي تموت حاملا جامعة ولدها فى بطنها .[7]

قال العلماء : المراد بشهادة هؤلاء كلهم غير المقتول في سبيل الله – تعالى– أنهم يكون لهم في الآخرة ثواب الشهداء، وإنّما كانت هذه الموتات شهادة عند الله – تعالى – بسبب شدتها وكثرة ألمها .[8]

---

[1]أخرجه : البخاري ،**صحيح البخاري**، كتاب : الجهاد والسِّيَر ، باب : الشهادة سبع سوى القتل ، ج(٣) ، ص(١٠٤١) ، ر(٢٦٧٤) . ومسلم ، **صحيح مسلم**، كتاب : الإمارة ، باب : بيان الشهداء ، ج(٦) ، ص(٥١) ، ر(٥٠٤٩) .

[2]**الصحابي جابر بن عتيك الأنصاري**، شهد بدراً ، وآخى النبي ﷺ بينه وبين خباب بن الأرَت ، توفي سنة (٦١)هـ . انظر : الذهبي ،**سير أعلام النبلاء**، ج(٢) ، ص(٣٦) .

[3]أخرجه : أحمد ، **مسند أحمد بن حنبل**، مسند الأنصار ، حديث : جابر بن عتيك ، ج(٥) ، ص(٤٤٦) ، ر(٢٣٨٠٤) ، قال عنه شعيب الأرناؤوط : حديث صحيح .

[4]انظر : ابن الأثير ،المبارك بن محمد (ت : ٦٠٦هـ)،**جامع الأصول في أحاديث الرسول**، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ، ط(١) ، مكتبة الحلواني : ١٣٨٩هـ) ج(٢) ، ص(٧٣٩) .

[5] المرجع السابق .

[6] المرجع الأسبق .

[7]انظر : النووي ، يحيى بن شرف(ت: ٦٧٦هـ) ،**المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ط(٢) ، (دار إحياء التراث العربي – بيروت : ١٤٩٢هـ) ، ج(١٣) ، ص(٦٣) .

[8]انظر : النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ج(١٣) ، ص(٦٣) .

قال ابن التين[1]: " هذه كلها ميتات فيها شدة، تفضّل اللهﷻ بها على أمّة محمد – صلى الله عليه وسلم – بأن جعلها تمحيصاً لذنوبهم وزيادة في أجورهم ؛ يبلّغهم بها مراتب الشهداء " .[2]

وقد جاء في حديث سعيد بن زيد ، عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم – ذِكر لأنواع أخرى من الشهداء، حيث قَالَ ﷺ: ((مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ)) .[3]

وذلك لأنّ هذا الشهيد سوف يشهد أمام الله ﷻ وأمام النّاس أنه قُتل ظلماً في سبيل الدفاع عن دينه وعرضه .

هل جميع الشهداء في الأجر سواء :

قال ابن حجر – رحمه الله ﷻ:" الذي يظهر أن المذكورين (أي شهداء الآخرة) ليسوا في المرتبة سواء(مع شهداء المعارك)، ويدل عليه حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما : ((أنّ النبيَّ– صلى الله عليه و سلم – سُئِلَ أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ مَنْ عُقِرَ جَوَادُهُ، وَأُهْرِيقَ دَمُهُ))[4]" .[5]

ويُفهم مما سبق أنّ الشهادة تتفاضل كما أنّ الأعمال تتفاضل، ونسأل الله ﷻ أن يعطينا مراتب الشهادة بفضله وكرمه .

---

[1] **عبد الواحد بن التين** الصفاقسي المغربي ، محدّث ومفسّر ، له شرح على البخاري اسمه (المخبر الفصيح في شرح البخاري الصحيح) ، اعتمد على شرحه ابن حجر العسقلاني ، توفي سنة (٦١١) هـ . انظر : مخلوف ، محمد بن محمد (ت : ١٣٦٠هـ) ، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** ، تعليق : عبد المجيد خيالي ، ط(١) ، (دار الكتب العلمية – بيروت : ١٤٢٤هـ) ، ج(١) ، ص(٢٤٢) .

[2] ابن حجر ، **فتح الباري**، ج(٦) ، ص(٤٤) .

[3] أخرجه : أحمد، **مسند أحمد بن حنبل**، مسند سعيد بن زيد ، ج(١) ، ص(١٩٠) ، ر(١٦٥٢) ، قال شعيب الأرناؤوط : إسناده قوي .

[4] أخرجه : أحمد،**مسند أحمد بن حنبل**، مسند : المكثرين من الصحابة ، مسند : جابر بن عبد الله ، ج(٣) ، ص(٣٠٠) ، ر(١٤٢٤٨) . فال شعيب الأرناؤوط : إسناده قوي على شرط مسلم .

[5] ابن حجر ،**فتح الباري**، ج(٦) ، ص(٤٤) .

وقبل أن أُنهي شهادة المؤمنين بجميع أنواعها ؛ جال في خاطري سؤال مهم، وهو :

هل الأمم السابقة ليس لها حظ بالمطلق في الشهادة على النّاس يوم القيامة، وهل هذه الشهادة خاصّة فقط بأمّة محمد ﷺ فحسب ؟؟

يمكن الإجابة على هذا السؤال كما تبيّن لي من خلال تكرار النّظر في آيات القرآن الكريم ؛ أنّ اصطفاء الله ﷻ لأمّة محمد ﷺ للشهادة على النّاس هو لحكمة بالغة من عنده، وقد مرّ معنا سابقاً الآيات التي تدل على هذا الاصطفاء كقوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾(البقرة:١٤٣).

ولو أمعنا النظر في كتاب الله – تعالى – لوجدنا بعض الآيات التي تخصّص فئاتٍ معيّنة بشرف الشهادة على النّاس دون أن تقصرها على أمّة محمد ﷺ، وهي فئة الشهداء المقتولين في سبيل الله ﷻ، وفئة الدّعاة إلى الله ﷻ، وقد ذُكرت تلك الفئات في آيات عديدة كقوله تعالى :

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾(النساء : ٦٩) وهذه الآية عامّة تشمل جميع الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله ﷻ من أمّة محمد ﷺ وغيرها من الأمم ممن كانوا يدافعون عن الإسلام على مرّ العصور والأزمان، وكذلك تشمل جميع المبلّغين لهذا الدين من العلماء والدّعاة، وذلك لأنّ لفظة الشهداء هنا تشمل المعنيين كما مرّ سابقاً، ولو أمعنا النّظر في الآية السابقة لوجدنا أنّ لفظتي (الصديقين والصالحين) أيضاً تشمل عموم الصديقين والصالحين على مر العصور كما هو حال لفظة (الشهداء) .

وعلى هذا يكون المبلّغون والدّعاة من الأمم السابقة والشهداء المقتولون في سبيل الله ﷻ مع شهدائنا يوم القيامة، وسيكونون هم على رأس من يشهد معنا على النّاس يوم القيامة، وقد تدفعنا هذه النتيجة إلى قاعدة مهمة وهي أنّ مرتبة الدّعوة والجهاد هي مرتبة عظيمة على مرّ التاريخ، ولا بدّ أنّها كانت دافعاً للصالحين من الأمم السابقة للوصول إلى هاتين المرتبتين ومن ثمَّ الوصول إلى شرف الشهادة على النّاس يوم القيامة، فما أعظم هذا الدين الذي أعزّه الله ﷻ بدعاته ومجاهديه على مرّ الزمان .

وهكذا نكون قد انتهينا من شرح شهادة المؤمنين بأصنافها الثلاثة حتى نبدأ بالنوع الرابع من أنواع الأشهاد وهم (الأجساد)، وسيأتي شرحه في الصفحة القادمة .

النّوع الرابع : الأجساد .

قد لا يخطر ببال الإنسان أنّ جسمه الذي يعتني به كثيراً سوف يكون شاهداً عليه يوم القيامة من ضمن الأشهاد، وقد ذكر الله ﷻ شهادة الأجساد في أكثر من موضع في القرآن، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾(فصلت: ١٩ -٢٢) .

في الآيات السابقة يحدّثنا الله – العظيم – عن مشهد من مشاهد الحشر، عندما يحشر الله ﷻ أعداءه تمهيداً لدخولهم إلى النار، حيث يستوقفهم ليسألهم عن ذنوبهم ؛ فيحاولون خداع الله ﷻ بإنكار ذنوبهم، لعلهم يحمون أجسادهم من النار، لكن الله ﷻ الذي لا تخفى عليه خافية يفاجئهم فينطق : سمعهم وأبصارهم، وجلودهم، عند ذلك تثبت التهمة عليهم، وهي ثابتة في اللوح المحفوظ ، ويحكم عليهم بدخول النار، لكنهم قبل ذلك يتعجبون من أعضائهم التي كانوا يدافعون عنها، ويكذبون على ربهم من أجلها، فيلومونها قائلين﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ﴾ فتعتذر إليهم بأنه ليس من اختيارها وإنما أنطقها الله ﷻالذي أنطق كل شيء .[1]

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – رضي الله عنهما –قَالَ : ((كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضَحِكَ، فَقَالَ : هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ ؟ قَالَ قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ : مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ : يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ، قَالَ : يَقُولُ بَلَى، قَالَ : فَيَقُولُ فَإِنِّي لاَ أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلاَّ شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ : فَيَقُولُ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ : فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ انْطِقِي، قَالَ : فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ : ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلاَمِ، قَالَ : فَيَقُولُ بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ)) [2].

---

[1] انظر بتصرف : ابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(٢٤) ، ص(٢٦٦) .

[2] أخرجه مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب : الزهد والرقائق ، باب : حدثنا قتيبة ، ج(٨) ، ص(٢١٦) ، ر(٧٦٢٩) .

بالعودة إلى الآيات السابقة قد يسأل سائل لماذا خُصص السمع والبصر والجلود بالذكر دون سائر الأعضاء ؟

أجاب على هذا السؤال الإمام ابن عاشور– رحمه الله –حيث قال : وتخصيص السمع والأبصار والجلود بالشهادة على هؤلاء دون بقية الجوارح ؛ لأن للسمع اختصاصاً بتلقي دعوة النبي – صلى الله عليه وسلم – وتلقي آيات القرآن ، فسمعهم يشهد عليهم بأنهم كانوا يصرفونه عن سماع ذلك، كما حكى الله ﷻ عنهم بقوله :﴿ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ ﴾(فصلت : ٥)،ولأنّ للأبصار اختصاصاً بمشاهدة دلائل المصنوعات الدالة على انفراد الله –تعالى– بالخلق والتدبير، فذلك دليل وحدانيته في إلهيته، وقد توجهوا بالملامة على جلودهم دون سائر الأعضاء لأنها تحوي جميع الحواس والأعضاء، ولأنها هي المستحقة للحرق ؛ كما قال الله– تعالى :﴿ كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ ﴾(النساء : ٥٦) .[1]

وقد جاء في بعض الأحاديث أنّ أول ما يشهد على الإنسان من أعضائه هو فخذه وكفه، فقد روى بهز بن حكيم [2]عن أبيه عن جده عن النبي– صلى الله عليه وسلم – أنه قال : ((إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ مُفَدَّمٌ عَلَى أَفْوَاهِكُمْ بِالْفِدَامِ[3] ، فَأَوَّلُ مَا يُسْأَلُ عَنْ أَحَدِكُمْ فَخِذِهُ وَكَفُّهُ))[4].

وحتى العظم واللّحم سيشهد على الإنسان كما جاء في الحديث عن أبي هريرة– رضي الله عنه – مرفوعاً : ((إِنّهُ يَلْقَى الْعَبْدُ رَبّه فَيَقول الله– تعالى – أَيْ فُلانْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالإِبِلَ ... فَيَقُولُ بَلَى ...، فَيَقُولُ : أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاَقِيّ، فَيَقُولُ : لاَ، فيقُولُ : فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي ...، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : الآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ مَنْ ذَا

---

[1] انظر : ابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(٢٤) ، ص(٢٧٦) .

[2] **بهز بن حكيم بن معاوية القشيري**، أحد رواة الحديث النبوي ، روى الحديث عن أبيه التابعي (حكيم بن معاوية) ، وكذلك روى أبوه الحديث عن جده الصحابي (معاوية بن حيدة) ، وثّقه أبو داوود والنسائي ، توفي قبل الخمسين ومائة للهجرة . انظر : الذهبي ،**سير أعلام النبلاء**، ج(٦) ، ص(٢٥٣) .

[3] **الفدام** : ما يشدّ على فم الإبريق لتصفية الشراب . انظر: الزمخشري ، **الفائق في غريب الحديث**،ج(٣) ، ص(٩٢) .

[4] أخرجه : أحمد ،**مسند أحمد بن حنبل**، مسند : الكوفيين ، باب : حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده – رضي الله عنهم ، ج(٥) ، ص(٣) ، ر(٢٠٠٣٨) . قال شعيب الأرناؤوط : إسناده حسن .

الَّذِي يَشْهَدُ عَلَي فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ : انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ)) [1].

وكما ذكر الله ﷻ شهادة السمع والأبصار والجلود في سورة فصلت، ذكر الله ﷻ شهادة الألسن والأيدي والأرجل على وجه الخصوص في سورة النور، وذلك في معرض الحديث عن الذين يرمون المحصنات المؤمنات بالزنا[2]، وقد خصص الله ﷻ تلك الجوارح بالذات في هذا الموضع في قوله تعالى :﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾(النور: ٢٤)،لأنّ لهذه الأعضاء عملاً في رمي المحصنات فهم ينطقون بالقذف بألسنتهم، ويشيرون بالأيدي إلى المقذوفات، ويسعون بأرجلهم إلى مجالس الناس لإبلاغ القذف، وقد قُدّم اللسان على الأيدي والأرجل هنا لأنه هو الذي يبدأ بالقذف .[3]

وقد ذكر الله – تعالى – شهادة الأيدي والأرجل أيضاً في سورة (يس) في قوله تعالى :﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾(يس:٦٥)

وقد يسأل سائل **لماذا خصّ الله ﷻ الأرجل بلفظة الشهادة دون الأيدي مع أنّ كلاهما سيتكلم ويشهد ؟**

أجاب الإمام الآلوسي عن ذلك بأنّ : إضافة التكليم إلى الأيدي أنسب من الشهادة لأنها هي التي تباشر الأعمال أكثر من الأرجل، وقد أُشير إلى ذلك في آيات عديدة كقوله تعالى : ﴿ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾(يس : ٣٥)، وقوله تعالى : ﴿ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾(الشورى : ٣٠)، وبما أنّ الأرجل لم تضف إليها مباشرة الأعمال كالأيدي فناسب إضافة الشهادة إليها أكثر من التكليم .[4]

وفي نهاية هذا الفرع نكون قد انتهينا من هذا المبحث المهم، الذي تعلمنا منه أنّ الأشهاد أربعة وهم **(الملائكة والأنبياء والمؤمنون والأجساد)** وأنّ الإنسان يوم القيامة قد يكون شاهداً، أو

---

[1] أخرجه : مسلم ،**صحيح مسلم**، كتاب : الزهد والرقائق ، باب : حدثنا قتيبة ، ج(٨) ، ص(٢١٦) ، ر(٧٦٢٨) .

[2] انظر : ابن كثير ،**تفسير القرآن العظيم**، ج(٦) ، ص(٣١-٣٢) .

[3] انظر : ابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(١٨) ، ص(١٩١) .

[4] انظر : الآلوسي ،**روح المعاني**، ج(١٢) ، ص(٤١) .

مشهوداً عليه، أو كلاهما معاً، والعقبى لمن شُهِدَ له بالخير، ولمن اصطفاه الله ﷻ للشهادة على النّاس .

المبحث الخامس : شهادة أهل الكتاب والكفار.

ذكر الله – تعالى – أهل الكتاب والكفار من ضمن الشهود الذين ذكرهم في القرآن الكريم، وقد جمعتُ شهادات أهل الكتاب في هذا المبحث، وصنّفتها إلى شهادات محمودة وغير محمودة ، وكذلك جمعت شهادات الكفار بحسب أحوالهم المذكورة في القرآن الكريم، وتكون شهادتهم على الله – تعالى– تارة ، وعلى أنفسهم تارة أخرى، وهذه الشهادات جميعها فيها من الحجج لهم وعليهم، وسيأتي ذكرها في هذا المبحث من خلال المطالب الآتية :

المطلب الأول : شهادة أهل الكتاب.

في هذا المطلب سوف أتحدث عن الشهادة المحمودة لأهل الكتاب التي دفعت كثيراً منهم لسلوك الطريق المستقيم واتّباع الأنبياء الصادقين، وكذلك سوف أتحدث عن الشهادة المذمومة في حقهم التي سوف تكون حجة عليهم في الدنيا والآخرة، وذلك من خلال الآتي :

الفرع الأول : الشهادة المحمودة لأهل الكتاب .

ذُكر في كتاب الله ﷻ عدد من الشهادات المحمودة لأهل الكتاب، وهذا يدل على اهتمام القرآن الكريم بهم وتقديره لمن آمن منهم، وسوف يأتي ذكر شهاداتهم في هذا الفرع :

أولاً : شهادة الحواريين للمائدة التي نزلت من السماء .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ (المائدة : ١١٢-١١٣) .

إنهم أصحاب عيسى عليه السلام يطلبون منه بأدب﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾أي هل يرضى ربك، أن ينزل علينا مائدة من السماء، فقال لهم عيسى عليه السلام:﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾فلا تسألوا ما

يكون فتنةً لكم كما سَأَل أصحاب موسى عليه السلام، فكانت إجابتهم :﴿ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾،ونراها رأي العين تنزل من السماء، فتطمئن قلوبنا بها، ويزداد إيماننا بصدقك [1] .

أمّا قوله تعالى على لسان الحواريين : ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ ففيه عدّة معانٍ[2] :

الأول : أي من المشاهدين لهذه المعجزة، مشاهدة حسيّة، أنها نزلت من السماء فليس السماع كالعيان .

الثاني : نكون من المبلغين الشاهدين لمن لم يشاهدها من بني إسرائيل ؛ فيؤمن الكافر، ويزداد إيمان المؤمن .

الثالث : نكون من الشاهدين لعيسى بصدق هذه المعجزة، ومن الشاهدين لله بكمال قدرته ﷻ .

الرابع : نكون من الداعين لشريعة عيسى بين الناس، وذلك لأنّ من أهم معاني الشاهد هو المبلّغ، فهم المبلغين عن الله ﷻ وعن رسوله ﷺ.

وبالنّظر إلى المعاني السابقة للآية نراها تدور حول المشاهدة والتبليغ .

وسؤالهم مشاهدة هذه المعجزة ؛ ليس شكاً في قدرة الله ﷻ، أو خللاً في إيمانهم، وإنما هو كسؤال إبراهيم عليه السلام ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، فلما عاتبه ربه قائلاً :﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾قال : ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾(البقرة : ٢٦٠)، فهو لزيادة اطمئنان القلب ويقينه بالله ﷻ[3] لذلك تعتبر شهادتهم هذه شهادة محمودة في **حقهم** .

ولما اطمئن عيسى عليه السلام لصدق إيمانهم، قال :﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾(المائدة : ١١٤) فلما

---

[1] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٦) ، ص(٣٦٥-٣٦٧) . وابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(٧) ، ص(١٠٥) .

[2] انظر : ابن عطية ،**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج(٢) ، ص(٣٠٧) . والقرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٦) ، ص(٣٦٥-٣٦٧) . وأبو حيان ،**البحر المحيط**، ج(٤) ، ص(٥٩) . وابن عادل ،**اللباب في علوم الكتاب**، ج(٧) ، ص(٦٠٨) . وأبو السعود ،**إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج(٣) ، ص(٩٧) . وابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(٧) ، ص(١٠٥) .

[3] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٦) ، ص(٣٦٦) .وابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(٧) ، ص(١٠٥).

استجاب الله ﷻ لعيسى عليه السلام، وأنزل عليهم المائدة، حذّرهم بأنّ الكفر بعد المشاهدة الحسيّة للمعجزة تكون عاقبته ليست كعقابة أحد من العالمين، كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾(المائدة : ١١٥)[1] .

وليس طلب الحواريين من ربهم – هذه المعجزة – مُستغرَباً، فهم قد عاشوا في وقت يشاهدون فيه المعجزات المتتالية من نبيهم عيسى عليه السلام، كإحياء الموتى، ونفخ الروح في الطير، فأرادوا أن يكون لهم معجزة تخصّهم يكونون عليها من الشاهدين، ويخبروا من وراءهم بشرف مشاهدتهم لها.

[1] انظر : ابن كثير ،**تفسير القرآن العظيم**، ج(٥) ، ص(٩١) .

ثانياً : شهادة من عنده علم الكتاب على صدق ما جاء به النبي ﷺ، وذلك من خلال قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾(الرعد : ٤٣) .

عندما ادّعى المشركون أنّ النبي ﷺ غير مرسل من ربه، وكذبوه بما جاء به، أمره الله ﷻ أن يجيبهم جواب الواثق بأنّ شهادة ربه –على صدقه– تكفيه، وكذلك شهادة مَن ﴿ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ . [1]

لقد أشهد الله ﷻ مَن عنده علم الكتاب على صدق نبيه ﷺ لرسوخ علمه بصفات النبي ﷺ، ولشدّة يقينه بصدق ما جاء به، **وقد اختلف المفسرون في المقصود بمَن عنده علم الكتاب على عدّة أقوال**[2] :

الأول : هو الله ﷻ، وهو قول مجاهد .

الثاني : جبريل عليه السلام، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه .

الثالث : ورقة بن نوفل رضي الله عنه، وهو من ضمن الأقوال التي ذكرها القرطبي .

الرابع : عبد الله بن سلام رضي الله عنه، وهو قول سعيد بن جبير .

الخامس : علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو قول محمد بن الحنفية .

السادس : علماء أهل الكتاب من مؤمني اليهود والنصارى، وذلك بمعرفتهم بصفات النبي عليه السلام بما جاء في كتبهم من بشارات لصفات النبي ﷺ وزمان ظهوره، وعلى هذا يكون**(من عنده علم الكتاب)** اسم جنس ؛ لكل من عنده علم الكتاب، وليس اسم عَلَم ؛ كما هو الحال في بقيّة الأقوال، وهذا قول الحسن وقتادة .

من خلال الأقوال السابقة يتبين أن القول السادس هو القول الراجح، وذلك لعدم وجود دليل

---

[1] انظر : ابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(١٣) ، ص(١٧٦) .

[2] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٩) ، ص(٣٣٦) . وابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(١٣) ، ص(١٧٦) .

صحيح يخصصها بأحد المذكورين ، لذلك تبقى على عمومها تشمل كل من عنده علم الكتاب من مؤمني اليهود والنصارى ؛ أمثال **ورقة بن نوفل** ، **وعبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي**[1]، **والنجاشي** وغيرهم، وهذا ما رجحه الإمام القرطبي، وقال به ابن عاشور .[2]

ومما يؤيد هذا القول، قوله تعالى :﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ (يونس : ٩٤)، ففي هذه الآية إشارة إلى أهميّة علمهم وشهادتهم للنبي ﷺ . [3]

وهؤلاء الذين يستحقون أن يشهدوا للنبي ﷺ، وهؤلاء هم الشهود الحقيقيون له ﷺ، وعلماؤهم يدخلون من ضمن أولي العلم الذين شهدوا لله ﷻ بالوحدانية .

وهذا احتجاج على مشركي العرب لأنهم كانوا يرجعون إلى أهل الكتاب في كثير من شؤونهم، وكانت شهادتهم قاطعة لقول الخصوم، ولها اعتبارها عندهم .[4]

---

[1] **سلمان الفارسي**ﷺ، الصحابي الجليل ومولى رسول الله ﷺ، يكنّى بأبي عبد الله ، قَدم من بلاد فارس بحثاً عن الدين الصحيح ، وكان عبداً عند يهود المدينة ، وأسلم بعد قدوم النبي ﷺإلى المدينة المنورة ، توفي سنة (٣٣) هـ . انظر : البغوي ، عبد الله بن محمد (ت : ٣١٧هـ) ، **معجم الصحابة** ، ط(١) ، (مكتبة دار البيان : ١٤٢١هـ) ، ج(٣) ، ص(١٦١) .

[2] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٩) ، ص(٣٣٦) . وابن عاشور ، **التحرير والتنوير**، ج(١٣) ، ص(١٧٦) .

[3] انظر : الشنقيطي، **أضواء البيان** ، ج(٢) ، ص(٢٤٠) .

[4] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٩) ، ص(٣٣٦) .

ثالثاً : شهادة الشاهد من بني إسرائيل على نبوّة محمد ﷺ، وأنّ القرآن حق كما جاء في التوراة، وذلك من خلال قوله تعالى :﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ (الأحقاف : ١٠) .

في هذه الآية ينكر الله ﷻ على مشركي قريش، ويأمر نبيه محمد ﷺ أن يسأل المشركين من قومه : أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله ﷻ وكفرتم به، وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثل هذا القرآن – وهو ما في التوراة من التصديق بنبوة محمد ﷺ والتبشير بظهوره – فصدَّق وعمل بما جاء في القرآن، وجحدتم ذلك استكبارًا، فهل هذا إلا أعظم الظلم وأشد الكفر؟ إن الله ﷻلا يوفِّق إلى الإسلام وإصابة الحق القوم الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله ﷻ.[1]

وقد اختلف المفسرون في تفسير(الشاهد) هنا على ثلاثة أقوال :

الأول : هو عبد الله بن سلام ﷺ، ويدل عليه ما رواه الشيخان – رحمهما الله – عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: ((مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم – يَقُولُ لأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلاَّ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلاَمٍ، قَالَ: وَفِيهِ نَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ : ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾))[2] ، وهو قول ابن عباس ﷺ .[3]

الثاني : هو موسى بن عمران ﷺ .[4]

الثالث: الشاهد هنا هو اسم جنس، أيْ أيُّ شاهد من مؤمني أهل الكتاب .[5]

بالنظر إلى الأقوال السابقة يتبين لي أنّ القول الثالث هو الأقرب إلى الصواب، ويدخل في معناه عبد الله بن سلام وغيره ممن آمن من أهل الكتاب وشهد للنبي محمد ﷺ بالصدق، وذلك لأنّ

---

[1] انظر : ابن كثير ،**تفسير القرآن العظيم**، ج(٧) ، ص(٢٧٧–٢٧٨) . والتركي ،**التفسير الميسر**، ج(٩) ، ص(١٣٧) .

[2] أخرجه : البخاري،**صحيح البخاري**، كتاب : فضائل الصحابة ، باب : مناقب عبد الله بن سلام ، ج(٣) ، ص(١٣٨٧) ، ر(٣٦٠١) .

[3] انظر : الثعلبي ،**الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، ج(٩) ، ص(٩) .

[4] انظر : المرجع السابق .

[5] انظر : ابن كثير ،**تفسير القرآن العظيم**، ج(٧) ، ص(٢٧٨) . وابن حجر ،**فتح الباري**، ج(٧) ، ص(١٣٠) .

هذه الآية مكية نزلت قبل إسلام عبد الله بن سلام ﷺ ، الذي كان إسلامه في المدينة . [1]

قال ابن حجر – رحمه الله عن سبب نزول هذه الآية : " ولا مانع أن تكون نزلت في الجميع"، وهذا ما قاله الإمام ابن كثير – رحمه الله [2]، والأحاديث السابقة محمولة على أنه – رضي الله عنه – داخل في عموم الآية، بل هو من خيرة من شهد لله ﷻ ولرسوله ﷺ، وأمّا غيرها من الأقوال فليس عليها دليل مقنع .

وفي نهاية هذا الفرع أكون قد انتهيت من ذكر الشهادة المحمودة لأهل الكتاب ؛ لأنتقل بعد ذلك لذكر الشهادة المذمومة لأهل الكتاب .

[1] انظر : ابن كثير ،**تفسير القرآن العظيم**، ج(٧) ، ص(٢٧٨) . وابن حجر ،**فتح الباري**، ج(٧) ، ص(١٣٠) .
[2] انظر : المرجعين السابقين .

الفرع الثاني : الشهادة المذمومة لأهل الكتاب .

ذَكر القرآن الكريم بعض الشهادات المذمومة لأهل الكتاب، سوف يأتي ذكرها في هذا الفرع :

أولاً : استشهاد أهل الكتاب على إسلام المسلمين .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾(آل عمران: ٦٤) .

يقول الله – تعالى : قل يا محمد : ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾من اليهود والنصارى ،﴿تَعَالَوْا۟﴾ أي : هلمّوا﴿إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ ﴾أي : كلمة عدل مستوية﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾وهي﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾أي : نوحده بالعبادة ، ونقر له بالوحدانية﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾أي : لا نجعل غيره شريكاً له في استحقاق العبادة ،﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾ أي : لا نقول عزير بن الله ﷻ، ولا المسيح ابن الله ﷻ، ولا نطيع الأحبار فيما أحدثوا من التحريم والتحليل ، لأنهم بشر مثلنا،﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾وأعرضوا عن التوحيد ،﴿فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾أي فاعترفوا بأنا مسلمون دونكم ، وأنتم كافرون بما نطقت به الكتبُ وتواطأت عليه الرسل، فقد لزمتكم الحجة .

ومعنى مسلمين : أي متصفين بدين الإسلام منقادين لأحكامه، غير متخذين أحداً ربا لا عيسى ولا عزيزاً ولا الملائكة .[1]

ونلحظ أنّ جدال أهل الكتاب قد ختم باستشهادهم على إسلام مجادليهم، **واستشهادهم على ذلك لا يقتصر على معنى الاعتراف بإسلامنا فحسب ، وإنّما فيه معانٍ أخرى :**

أولاً : فيه تعريض لهم بأن يشهدوا على أنفسهم أنّهم كافرون معرضون عن الحقّ الذي بُشروا به في كتبهم . [2]

---

[1] انظر : الشاذلي ، **البحر المديد** ، ج(١) ، ص(٤٤٢) .

[2] انظر : الزمخشري ، **الكشاف** ، ج(١) ، ص(٣٩٨) .

ثانياً : فيه توبيخ وتهديد لهم، أي سترون أنتم أيها المعرضون عن الحق عاقبة إعراضكم كيف ستكون .[1]

ثالثاً : أنّ هذا هو قول الغالب للمغلوب عادةً في أي جدال أو صراع يدور بينهما، وهو بمثابة اعتراف المغلوب بفوز الغالب وتسليمه له بالغلبة .[2]

رابعاً : التعريض بالاستبراء إلى الله ﷻ من التقصير في دعوتهم إلى الحق بالحجج والبراهين الواضحة، ومجادلتهم بالتي هي أحسن .

وليس في معنى استشهادهم على إسلامنا، أنهم سيكونون من بين الشهداء علينا يوم القيامة، بل سيشهد المسلمون عليهم بأنهم قد جاءتهم البينات، ولكنهم تولّوا عنها، فالمسلمون هم شهداء الآخرة، أما هم فشهداء لنا في الدنيا ؛ إن قبلوا هذه الشهادة .

والحق أنهم قد قبلوها بقلوبهم، ولكن تأبى ألسنتهم نطقها، لذلك هي شهادة مذمومة في حقهم، والأحرى بهم أن يكونوا شهداء معنا على صدق ما جاء به كتابهم وكتابنا .

---

[1] انظر : ابن عطية ، **المحرر الوجيزفي تفسير الكتاب العزيز** ، ج(١) ، ص(٤٦٤) .

[2] انظر : الزمخشري ، **الكشاف** ، ج(١) ، ص(٣٩٨) .

ثانياً : شهادة أهل الكتاب على تطابق الصفات التي بشروا بها في كتبهم عن النبي محمدﷺ .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴾(آل عمران : ٧٠)

يخاطب الله ﷻ أهل الكتاب خطاباً مباشراً باستفهام إنكاري، ويقول لهم : لمَ تجحدون الآيات التي بها نُعت الرسول ﷺ في التوراة والإنجيل، وتجحدون آيات القرآن الدّالة على صدقه ﷺ[1]أليس هذا قبحاً منكم وشراً تعود عاقبته عليكم[2] ؟

وقوله تعالى :﴿وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾ فيه عدة معانٍ :

الأول : وأنتم تشهدون بلسان حالكم؛ أنّ الصفات والنعوت التي بُشرتم بها في الآيات عندكم منطبقة على الرسول ﷺ، وأنّ القرآن حق، وأنّ الدين عند الله ﷻ الإسلام .[3]

الثاني : وأنتم تشهدون سراً بلسان المقال إذا خلوتم إلى بعض ؛ أنّ هذه هي صفات النبي ﷺ التي بشرتم بها، ثم تنكرونها أمام المسلمين . [4]

الثالث : وأنتم تشهدون وتقرون بمثلها من آيات الأنبياء السابقين أنها حق .[5]

الرابع : وأنتم تعلمون صدق وصحة ما جاء به محمدﷺ علماً يقينا كعلم المشاهدة والعيان ، وتعرفون أنه نبي حقاً كما تعرفون أبناءكم، ولكنكم تستكبرون .[6]

وبالنظر إلى المعاني السابقة للآية يتبيّن أنّ شهادتهم هي شهادة مذمومة بسبب استكبارهم عن الحق الذي تعرفه قلوبهم ؛ ومن مثل ما ذكرنا قوله تعالى:﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٩٩ ﴾ (آل عمران : ٩٩)،عن أهل الكتاب الذين يصدون الناس عن الإيمان بالنبي محمد ﷺ، مع أنهم

---

[1]انظر : الطبري ،**جامع البيان**، ج(٦) ، ص(٥٠٣) .

[2]انظر : أبو بكر الجزائري ،**أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، ج(١) ، ص(٣٣٠) .

[3]انظر : البغوي ،**معالم التنزيل**، ج(٢) ، ص(٥٣) .والسيوطي ،**الدر المنثور**، ج(٢) ، ص(٢٤٠) .

[4]انظر : الرازي،**التفسير الكبير**، ج(٣) ، ص(٥٩٠) . والآلوسي ،**روح المعاني**، ج(٣) ، ص(١٩٩) .

[5]السمعاني ، أبو المظفر منصور بن محمد (ت : ٤٨٩هـ) ،**تفسير القرآن**، تحقيق : ياسر غنيم ، (دار الوطن العربي – الرياض : ١٤١٨هـ) ، ج(١) ، ص(٣٣١) .القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** ،ج(٤) ، ص(١١٠) .

[6]انظر : طنطاوي ،**الوسيط** ، ج(٢) ، ص(١٣٩) .

يشهدون أنّه رسول الله ، ولكن أبت قلوبهم الإيمان به .[1]

ونلحظ أنّ الله ﷻ قد وصفهم في هذه الآية أنهم (شهداء)، وهي صيغة تدل على الاستغراق في الشهادة،لأنها صيغة جمع لشهيد، الذي هو بالغ الشهادة كما مرّ سابقاً [2]، وهذا يدل على شدّة علمهم ومعرفتهم بصفة الرسول رغم كفرهم به، ووصفهم بهذه الصفة فيه وخز لقلوبهم، كأنه يقول لهم : وأنتم العقلاء أصحاب العلم، فلم تفعلون ما تفعلون[3].

وقد أخذ الله – تعالى – عليهم العهد في آية أخرى بأن يكونوا حافظين لأحكام التوراة ، شهداء مبينين للناس ما فيها، وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤ ﴾(المائدة : ٤٤) فلم يلتزموا كعادتهم بما عاهدهم الله – تعالى – عليه .[4]

وبعد النّظر في الآيات السابقة وغيرها من الآيات، تبيّن لي أنّ صيغة (شهداء) التي ذكرت في الآيات السابقة في وصف شهادة أهل الكتاب، وفي غيرها من الآيات التي وصفت شهادة الكفار بهذه الصفة كقوله تعالى :﴿ قُلۡ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشۡهَدۡ ﴾(الأنعام : ١٥٠) ؛ هي في الحقيقة وصف لشهادتهم في الدنيا، وذلك إن قبلوا أن يكونوا شهداء، أمّا في الآخرة فلم يرد أيّ وصف لهم بأنهم (شهداء) وذلك لأنّ هذه الصيغة هي جمع (شهيد) وهي من صيغ المبالغة، فلا يمكن لأهل الكتاب ولا لغيرهم من الكفار أن يبالغوا في الشهادة على أنفسهم بالكفر في الآخرة، ولا يمكن أيضاً أن يبالغوا في الكذب على الله – تعالى –، ولا يمكن أن يكونوا شهداء على النّاس، وقد اقتصرت هذه الصيغة في وصف شهادة المؤمنين في الآخرة .

---

[1] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٤) ، ص(١٥٥) .

[2] انظر : ابن فارس ، **مقاييس اللغة** ،ج(٣) ، ص(٢٢١) . وابن منظور، **لسان العرب** ، ج(٣) ، ص(٢٣٨).

[3] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٤) ، ص(١٥٥) . وابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(٤) ، ص(٢٧).

[4] انظر : السمرقندي ،**بحر العلوم**، ج(١) ، ص(٤١٦) .

ثالثاً : كَتْم أهل الكتاب لشهادة الحق من الله أنّ إبراهيم وذريّته من الأنبياء – عليهم السلام – كانوا مسلمين .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾(البقرة: ١٤٠).

في هذه الآية ينكر الله – تعالى– على من يدّعي من اليهود أنّ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط –عليهم السلام – كانوا على دين اليهود أو النصارى، فيخبرهم أنّ ما يدّعونه افتراء وكذب، وأنّهم ولدوا وماتوا قبل أن تنزل التوراة والإنجيل، وأنّ هؤلاء الأنبياء كانوا حنفاء مسلمين ؛ والله– تعالى– أعلم منهم بهذا .[1]

وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾أي ومن أظلم منكم أيها اليهود حين تكتمون شهادة الله – تعالى– بأنّ الأنبياء السابقين كانوا على حنيفية إبراهيم– عليه السلام، وكانوا بريئين من اليهودية والنصرانية .[2]

وتعدّ هذه شهادة مذمومة في حقهم لأنهم يشهدون بخلاف ما شهد الله ﷻ به، ولأنّهم كتموا شهادة الحق المذكورة في كتبهم، وقد حذرهم الله ﷻ من كتم هذه الشهادة إرضاءً لأهوائهم ولأحبارهم، لما في هذا الكتم من صدّ الناس عن الإسلام، وبقائهم على ضلال كهنتهم .

---

[1] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن** ، ج(٢) ، ص(١٤٧) .

[2] انظر : المرجع السابق .

رابعاً: شهادة بني إسرائيل على العمل بالميثاق الذي أعطاهم اللهﷻ إياه .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾(البقرة : ٨٤) .

يخاطب الله ﷻ بني إسرائيل بأن يذكروا عندما أخذ الله ﷻ عليهم الميثاق ؛ بأن لا يقتل بعضهم بعضاً، ولا يخرج بعضهم بعضاً من بلادهم .[١]

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ فيه عدد من المعاني :

الأول : أنكم أقررتم هذا العهد الرباني، وقبلتموه، وتعاهدتم وأنتم تشهدون على الوفاء والالتزام به ما حييتم .[٢]

الثاني : أي تم الإقرار وهو الاعتراف بقبول الميثاق، وأنتم تشهدون، أي : تحضرون هذا المجلس الذي تم فيه الميثاق والإقرار .[٣]

الثالث : أقررتم خلفاً بعد سلف أنّ هذا الميثاق قد أُخذ عليكم، وأنتم تشهدون اليوم على ذلك، أي تروون ما حدث لكم .[٤]

الرابع : أي أنكم أقررتم هذا العهد فحصل لكم بذلك العلم اليقيني الذي يبلغ إلى درجة الشهادة.[٥]

الخامس : أقررتم شهادة أسلافكم بهذا الميثاق .[٦]

السادس : أقررتم أنّ هذا الميثاق حق، وأنتم شهود على ذلك .[٧]

السابع : أقررتم أي اعترفتم على أنفسكم بلزوم الميثاق، وأنتم تشهدون على ذلك .[٨]

---

[١]انظر : البقاعي ، **نظم الدرر**، ج(١) ، ص(١٨٢) .

[٢]انظر : طنطاوي ، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، ج(١) ، ص(١٣٨) .

[٣]انظر : الرازي ،**التفسير الكبير**، ج(٣) ، ص(٥٩٠) . وابن كثير ،**تفسير القرآن العظيم**، ج(١) ، ص(٣١٩) . وابن عرفة ، محمد بن عرفة المالكي (ت :٨٠٣هـ) ،**تفسير ابن عرفة** ، تحقيق : حسن المناعي ، ط(١) ، (مركز البحوث – الزيتونة) ، ج(١) ، ص(٣٥٨) .

[٤] انظر : الرازي ،**التفسير الكبير**، ج(٣) ، ص(٥٩٠) .

[٥]انظر : ابن عرفة،**تفسير ابن عرفة** ج(١) ، ص(٣٥٨) .

[٦]انظر : الرازي ، التفسير الكبير ، ج(٣) ، ص(٥٩٠). وابن عرفة،**تفسير ابن عرفة**، ج(١) ، ص(٣٥٨).

[٧]انظر : القرطبي،**الجامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج(٢) ، ص(٣٠٢) .

[٨]انظر : الرازي ،**التفسير الكبير**، ج(٣) ، ص(٥٩٠) .

الثامن : أقررتم أي اعترفتم بقبول الميثاق وشهد بعضكم على بعض بذلك، لأنه كان شائعاً بينهم الإشهاد على الأمر بعد قبوله .[1]

التاسع : وأنتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على إقرار أسلافكم بهذا الميثاق .[2]

يتبين لنا أنّ الأقوال السابقة جميعها متقاربة من بعضها، وأنّ الآية تحتملها جميعها .

لكن **هل التزم بنو إسرائيل بهذا العهد ؟**

من خلال الآيات التي بعدها يتبين للقارئ أنهم نقضوا عهدهم، وأراقوا دمائهم، وأخرجوا أنفسهم من ديارهم، ولم يكونوا عليه شهداء، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾(البقرة : ٨٥)، وقد قال تعالى عنهم في آيات أخرى : ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾(المائدة :٤١) وقال أيضاً :﴿ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾(الأنعام : ٩١)، وقد كانوا يخفون ما ذكر من أحكام عن الناس، ويحرفونها حسب أهوائهم، ويشددون عليهم، ويطبقون الحدود على الفقير دون الغني، وبسبب اتباعهم لأهوائهم، وعدم قيامهم بمتطلبات الشهادة التي أمرهم الله – تعالى – بها حرفت التوراة فلم يبق منها شيء .[3]

---

[1] انظر : الرازي ،**التفسير الكبير**، ج(٣) ، ص(٥٩٠) .

[2] انظر : المرجع السابق .

[3] انظر بتصرف : الطبري ، **جامع البيان**، ج(٢) ، ص(٣٠٣) .

المطلب الثاني : شهادة الكفار .

ورد في كتاب الله ﷻ آيات عديدة تتحدث عن شهادة الكفار في مواقف مختلفة من حياتهم، وبعد مماتهم، سيأتي ذكرها في هذا المطلب :

أولاً : شهادة الكفار على أنفسهم بالكفر .

وردت شهادة الكفار على أنفسهم في ثلاثة مواضع من كتاب الله – تعالى .

الموضع الأول : شهادة الكفار على أنفسهم بالكفر بلسان المقال والحال، في الحياة الدنيا، وذلك من خلال قوله تعالى :

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾(التوبة –١٧) .

يخبرنا الله– تعالى– أنه لا ينبغي للمشركين، ولا يصح أن يعمروا شيئاً من مساجد الله ﷻ – فضلاً عن المسجد الحرام – بالسدانة والسقاية والعمارة، وذلك لأنهم شاهدون على أنفسهم بالكفر، فكيف يجمعون بين أمرين متباينين ؛ عمارة بيت الله– تعالى – وعبادة غيره، فهؤلاء هم الذين بطلت أعمالهم، ووجبت لهم النار خالدين فيها . [١]

وتكون شهادة الكفار على أنفسهم بالكفر في قوله تعالى: ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ﴾في حالتين :

الأولى : شهادتهم على أنفسهم بلسان المقال[٢]، وذلك من خلال :

١. اعترافهم، وقولهم علناً : إنا كفرنا بدين محمد، وبالقرآن .[٣]

٢. إقرارهم على أنفسهم بذلك، فإذا سألت اليهودي : من أنت ؟ قال : يهودي، وإذا سألت النصراني : من أنت ؟ قال : نصراني، وإذا سألت الوثني : من أنت ؟ قال : وثني .[٤]

---

[١] انظر : الشاذلي ،**البحر المديد**، ج(٣) ، ص(٨٢) .

[٢] انظر : الرازي ،**التفسير الكبير**، ج(١٦) ، ص(١٢) .

[٣] انظر : المرجع السابق .

[٤] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٨) ، ص(٩٠) . وأبو بكر الجزائري ،**أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير** ، ج(٢) ، ص(٣٤٨) .

الثانية : شهادتهم على أنفسهم بلسان الحال، وذلك بأفعالهم الدّالة على كفرهم ؛ كسجودهم للأصنام، أو للقبور، وجعلهم لله ﷻ شركاء في العبادة .[1]

فشهادتهم على أنفسهم بالكفر تنفي تأهلهم لعمارة بيوت الله ﷻ، لأنّ المساجد قائمة على التوحيد، فعندما حرموا أنفسهم من التوحيد ؛ حرمهم الله– تعالى – من العمارة .[2]

لكن قد ينفي الكافر أنه كافر، ويدّعي بلسانه الحقيقي أنه مؤمن بالله ﷻ، فالنصراني واليهودي والوثني لا يقبل أن تنعته بالكافر، لكن لسان حاله يشهد له بالكفر، ويخبر عن حاله كلبسه الصليب وعبادته له ، وسجوده للصنم .

الموضع الثاني : شهادة الكفار على أنفسهم بالكفر عند موتهم ؛ وذلك من خلال قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾(الأعراف : ٣٧) .

اعترف الكفار على أنفسهم أنهم كانوا كافرين في موقف مختلف عن موقفهم في الدنيا، إنه أعظم موقف في حياتهم، قبل يفارقوا هذه الحياة، عندما تأتيهم رسل ربهم لقبض أرواحهم، فتسألهم ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الآلهة التي عبدتموها، دعوها تدفع عنكم العذاب، فيجيبونهم﴿ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾، أي : غابوا عنا وبطلوا، فلا نراهم ولا ننتفع بهم،﴿وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴾ أي اعترفوا على أنفسهم على الفور، وأقروا أنهم كانوا كافرين في الحياة الدنيا، فلا يجرؤون على الكذب أبداً، ويندمون أشدّ الندم[3] .

وهذا تخويف وتحذير من الله ﷻ لهم بأن لا يصلوا إلى تلك المرحلة، فباب التوبة مفتوح قبل أن تأتي سكرة الموت .

---

[1] انظر : الماوردي ،**النكت والعيون**، ج(٢) ، ص(٣٤٧) . وابن عطية ،**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج(٣) ، ص(١٧) .والرازي ،**التفسير الكبير** ، ج(١٦) ، ص(١٢)

[2] انظر : ابن عاشور ،**التحرير والتنوير** ، ج(١٠) ، ص(١٤٠) .

[3] انظر بتصرف :الزمخشري ، **الكشاف**، ج(٢) ، ص(٩٨) . وابن كثير ،**تفسير القرآن العظيم** ، ج(٣) ، ص(٤١٠) .

الموضع الثالث : شهادة الكفار على أنفسهم بالكفر في يوم القيامة ؛ وذلك من خلال قوله تعالى:﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴾(الأنعام : ١٣٠) .

يخبرنا الله –تعالى– أنه ينادي عباده يوم القيامة، ويسألهم موبخاً لهم : ألم تأتكم رسل من جنسكم يتلون عليكم آياتي، ويخبرونكم بما فيها، ويحذرونكم من لقاء ربكم يوم القيامة، فيجيبون ربهم قائلين ﴿شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ﴾ وقد سبق أن غرتهم الحياة الدنيا فشغلتهم عن ذكر ربهم فلم يؤمنوا، ولم يتبعوا الرسل .[١]

ويظهر في هذه الآية أنّ الكافرين سوف يشهدون على أنفسهم، وشهادتهم هي إقرارهم بأنهم قد أتتهم رسل ربهم، فلم يستجيبوا لدعوتهم .[٢]

وقوله تعالى :﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴾ جملة خبرية فيها معنى التعجب من حالهم، كيف أتتهم الرسل، وغرتهم الحياة الدنيا، والآن يشهدون على أنفسهم، فما أقبح فعلهم، وما أصعب موقفهم .[٣]

واعترافهم بأنهم كانوا كافرين في الدنيا، يدل على شدّة خوفهم، وارتجاف قلوبهم من هول الموقف، فلا يستطيعون أن يكذبوا على ربهم فيضطرون للاعتراف بكفرهم، فيثبتون التهمة على أنفسهم، وهي ثابتة عند الله – تعالى .

وبعد الاطلاع على الآيات التي تتحدث عن شهادة الكفار لاحظت أنّ الكفار سيمرون في موقف آخر يوم القيامة يرفضون فيه الشهادة على أنفسهم، كما بينه قوله تعالى : ﴿ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ﴾(فصلت : ٤٧)وهذا الموقف عندما يسألهم الله

---

[١] انظر : ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، ج(٨) ، ص(٧٨ – ٧٩) .

[٢] انظر : المرجع السابق .

[٣] انظر : المرجع الأسبق .

ﷻ أن يحضروا شركاءه الذين عبدوهم من دونه، فيرفضون الإجابة بقولهم ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾[1].

لكن هل لاحظنا أنّ الكفار قد اختاروا لفظة (شهيد) دون غيرها لتبرير عدم إجابتهم لسؤال ربهم، فلم يقولوا (ما منا من عليم أو مبصر) .

والجواب على هذا أنّ دلالة لفظة " الشهيد" هنا أقوى من غيرها، فالشهيد هو الشاهد الذي شاهد الحدث، وهو العالم بما حدث، وهو المخبر بما حدث، وهو الثقة الذي لن يكذب، وهو الذي يبالغ في قول الحق، وهو أفضل من يجيب على السؤال، لأنه أوسط القوم، وأعدلهم ؛ فكأنّ الكفار يبحثون عن أفضل رجل يستطيع أن يجيب ربهم على سؤاله، فلا يجدو لذلك قالوا ما منا من شهيد، ولم يقولوا ما منا من شاهد، فهم يحاولون أن يجدوا من يبالغ في الشهادة حتى يرضي ربهم بإجابة ترضيه – سبحانه، فلا يستطيعون إلى ذلك سبيلاً .

---

[1] انظر : ابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(٢٥) ، ص(٨) .

ثانياً : شهادة الكافرين على أنّ الملائكة إناث ؛ وأنها بنات الله – تعالى .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ١٩ وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۡۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ٢٠ ﴾ (الزخرف: ١٩-٢٠) .

ينكر الله ﷻ على المشركين في هذه الآية ادّعائهم أنّ الملائكة الذين هم عباد الله ﷻ إناث، وأنها بنات الله ﷻ، فيسألهم الله ﷻ﴿أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ ﴾وادّعائهم هذا حتى يكون صحيحاً إما أن يكونوا قد قالوه عن طريق الوحي من الله ﷻ، أو عن طريق المشاهدة، فبما أنّ الله ﷻ لم يوح لهم، فلم يبق إلا المشاهدة ؛ فلذلك سألهم عنها .[1]

وتحتمل شهادة الكفار هنا عدّة معانٍ :

الأول : أي هل حضروا مشهد خلق الله ﷻ للملائكة، فشاهدوهم مشاهدة البصر، وعاينوهم إذا كانوا إناثاً أم لا، فالمعاينة هي حجة ودليل يليق بصاحب الدعوى .[2]

الثاني : هل أعلمهم الله ﷻأمر الخلق، بمعنهل استشارهم قبل أن يخلق . [3]

الثالث : هل أحضرهم الله ﷻ للمشاركة في عمل الخلق، أو الإعانة عليه .[4]

ويدخل في معنى شهادتهم أيضاً الجواب على هذا السؤال : بمعنى لا لم يحضروا خلق الملائكة – عليهم السلام – لا هم ولا أحد من البشر، بل لم يكونوا قد خُلقوا بعد حتى يحضروا ويشهدوا .[5]

وهذا السؤال من الله – تعالى – هو تجهيل لهم وتهكم بهم، بأنهم لم يشاهدوا فكيف يقولون[6] ؟؟

---

[1] انظر : الزمخشري ، **الكشاف**، ج(٤) ، ص(٢٤٨) .

[2] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٤) ، ص(٧٤) . وابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم**، ج(٧) ، ص(٢٢٣) . وسيد قطب ، **في ظلال القرآن** ، ج(، ص(٣١٨١) .

[3] انظر بتصرف: أبو حيان ،**البحر المحيط** ، ج(٦) ، ص(١٢٩) . وطنطاوي ، **الوسيط** ،ج(١٣) ، ص(٦٩).

[4] انظر : ابن عاشور ،**التحرير والتنوير** ، ج(١٥) ، ص(٣٤٢) . والسعدي ،**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ج(١) ، ص(٤٨٠) .

[5] انظر : أبو بكر الجزائري ،**أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير** ، ج(٤) ، ص(٦٣٣) .

[6] انظر: القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن**، ج(٤) ، ص(٧٤). والشاذلي ، **البحر المديد** ، ج(٧) ، ص(١٢) .

أمّا قوله تعالى:﴿ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ﴾بمعنى أي سيكتب قولهم أنّ الملائكة إناث، وقد كتب، وسيحاسبون على قولهم هذا وينالون أشدّ العقاب، لأنّهم قد شهدوا بذلك زوراً، وبهتاناً، وافتراءً على الله ﷻ وستكون شهادتهم سبباً لخلودهم في النار، وعليهم أن يتحمّلوا تبعات هذه الشهادة .

وقد سألهم الله ﷻ مثل هذا السؤال في موضع آخر، في سورة الصافات،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ١٥٠ ﴾(سورة الصافات :١٥٠)، فهم لم يشهدوا خلق الملائكة ولا حتى خلق السماوات والأرض حتى، قال تعالى :﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ٥١ ﴾(الكهف : ٥١) .

وفي ختام هذا المبحث يتبين لنا أنّ شهادة الإنسان قد تكون حجة له تقوده إلى الحق كما كانت لعبد الله بن سلام – رضي الله عنه – وغيره ممن أسلم من أهل الكتاب، وقد تكون حجة عليه كما كانت حجة على بني إسرائيل عندما أخذ الله – تعالى – عليهم الميثاق بالإيمان بمحمد – صلى الله عليه وسلم – وشهدوا بذلك لكنهم لم يعملوا بهذه الشهادة، وسوف تكون هذه الشهادة حجة عليهم وعلى غيرهم من الكفار يوم القيامة عندما يشهدون على أنفسهم بالكفر أمام الله – تعالى .

وفي ختام الفصل الأول أكون قد استعرضت مفهوم الشهادة والشهود في القرآن الكريم، وذكرت أنواع الشهود الذين ذكرهم القرآن الكريم، وهم الله – تعالى– ، والملائكة–عليهم السلام ، والأجساد، والإنسان بشكل عام، والأنبياء عليهم السلام والمؤمنون وأهل الكتاب والكفار بشكل خاص.

الفصل الثاني : الشهادة ؛ مدحها وذمّها وذكرها من خلال المعاملات والحدود والأزمنة والقصص في القرآن الكريم .

ويشمل ستة مباحث :

المبحث الأول : الشهادة المحمودة في القرآن الكريم .

المبحث الثاني : الشهادة المذمومة في القرآن الكريم .

المبحث الثالث : الشهادة في المعاملات .

المبحث الرابع : الشهادة في الحدود .

المبحث الخامس : الأزمنة الشاهدة والمشهودة .

المبحث السادس : الشهادة والشهود في القصص القرآني .

الفصل الثاني : الشّهادة مدحها وذمّها، وذكرها من خلال المعاملات والحدود والأزمنة والقصص في القرآن الكريم .

المبحث الأول : الشهادة المحمودة في القرآن الكريم .

في هذا المبحث المهم سوف أستعرض المواضع التي فيها مدح للشهادة في القرآن الكريم حتى تكون الشهادة التي يشهدها المؤمن مقبولة عند الله – تعالى، وهي القيام بالشهادة كما أمر الله – تعالى، وأن تكون الشهادة لله – تعالى، وأن تكون بالقسط والعدل كما علمنا الله – تعالى – وذلك من خلال المطالب الآتية :

المطلب الأول : القيام بالشهادة .

أمر الله ﷻ المؤمنين بأن يقيموا الشهادة له ؛ فقال :﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾(الطلاق :٢)، ومدح الله ﷻ من أطاعه في ذلك فقال :﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ﴾(المعارج : ٣٣)، ووصف الله عمل القائمين بها بأنه أَقْومُ لِلشَّهَادَة في قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ ﴾ (البقرة : ٢٨٢) .

والقيام بالشيء : هو مراعاته والحفظ له، وذلك كقوله تعالى :﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾(النساء : ٣٤)، ومنه قوله تعالى :﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾(البقرة : ٤٣) فالقيام بالصلاة أبلغ من مجرّد أدائها، وإنما في القيام مراعاة لأركانها وحركاتها والخشوع فيها، والحفاظ عليها، وكذلك الأمر في القيام بالشهادة .[١]

وقد خصّ الله ﷻ القيام بالشهادة بالذكر في سورة المعارج، بعد أن ذكر رعاية الأمانات في الآية التي قبلها:﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴾(المعارج : ٣٢) مع أنها داخلة في جملة الأمانات التي ذكرها الله ﷻ، وذلك إبانة لفضلها، ولأنّ في إقامتها حفظاً للحقوق .[٢]

---

[١] انظر بتصرف : الراغب ،**المفردات في غريب القرآن**،ص(٦٩٠) .وابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(٢٩) ، ص(١٧٤) .

[٢] انظر : الزمخشري ،**الكشاف**، ج(٤) ، ص(٦١٥) .

ما المقصود بالشهادة التي يجب القيام بها ؟

تعددت المعاني التي ذكرها المفسرون كالآتي :

١. هي(شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله)، والقيام بها هو تطبيق تعاليمها ؛ والابتعاد عن الشرك فيها .[١]

٢.الشهادة لله ﷻ تكون بالدعوة إلى الإسلام، وإظهار تعاليمه، وإحياء السنن المهجورة، وبالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، خاصّة إذا رأى المؤمن حرمة تنتهك، أو حكماً لا يطبّق[٢]، ويدخل في هذا شهادة العلماء بالحق ؛ من خلال إصدار الفتاوى الصحيحة من غير ميل إلى اتباع هوى أو إرضاء حاكم .

٣. هي شهادة أمة محمد ﷺعلى الأنبياء بالبلاغ، وعلى أممهم بالاتباع أو الامتناع يوم القيامة.[٣]

٤. هي الشهادات في حفظ حقوق الناس، بحيث إذا كان شاهداً على حق من الحقوق، أو عقد من العقود فعليه أن يهتم بشهادته ويكتبها، ويحفظها في ذاكرته حتى يحين أداؤها، وأن لا يكتمها إذا طلب منه أداؤها أو يحرفها ويبدّلها ولا يشهد الزور، وأن يبيّن ما طلب منه بشكل واضح فلا يشهد إلا بما رأى ولا يزيد أو ينقص، ولا يكتمها إذا طلب منه أداؤها، ولا يغير أو يحرف ما فيها[٤].

وبالنظر إلى ما سبق يتبيّن أنّ معنى الشهادة التي يجب القيام بها تشمل جميع المعاني السابقة، ولا تقتصر على الشهادة في الحقوق فحسب كما يظنّ بعض الناس، وإنما القائم بأوامر الله ﷻ شهيد، والداعي إلى الله ﷻ شهيد، والذي لا يسكت على الباطل شهيد .

والقيام بالشهادة هو : وضعها في موضعها، وأداؤها بالعدل على أكمل وجه ابتغاء وجه الله ﷻ، بحيث إذا كان عالماً أن يبين أحكام الله ﷻ، وعليه أن لا يحابي أحداً قريباً أو بعيداً، وأن لا

---

[١]انظر : ابن عطية ،**الوجيز في فقه السنة والكتاب العزيز** ، ج(٥) ، ص(٣٤١) .

[٢]انظر : المرجع السابق .

[٣]انظر : الماوردي ،**النكت والعيون** ، ج(٦) ، ص(٩٥) .

[٤]انظر : الماوردي ،**النكت والعيون** ، ج(٦) ، ص(٩٥) . وابن عطية ،**الوجيز في فقه السنة والكتاب العزيز** ، ج(٥) ، ص(٣٤١) . والقرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن** ، ج(١٨) ، ص(٢٩٤) . وابن كثير ،**تفسير القرآن العظيم**، ج(٨) ، ص(٢٢٧) . وأبو السعود ، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، ج(٩) ، ص(٣٣) . وابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، ج(٢٤) ، ص(١٧٤) .

يمنعه خوفه من السلطان من قول الحق[1]، وينطبق عدم القيام بالشهادة على علماء السلاطين الذين يصرفون خطبهم عن قضايا الأمّة، ويحدّثون الناس عن فضل الذكر وبرّ الوالدين، في الوقت الذي تراق فيه دماء المسلمين، فهؤلاء هم أبعد النّاس عن القيام بالشهادة، فهم ليسوا شهداء لله – تعالى –، وإنما هم شهداء للحكّام، وينطبق عدم القيام بالشهادة أيضاً على الدعاة والصالحين الذين يصرفون دروسهم عن قضايا الشباب وما يقعون به من معاصي، فإذا رأوهم يفعلون الربا حدثوهم عن تحريم الغناء، وتعدّ دروسهم هذه خيانة لدينهم ولشهاداتهم .

[1] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن** ، ج(١٨) ، ص(٢٩٣) .

المطلب الثاني : الشهادة لله – تعالى .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٣٥ ﴾(النساء : ١٣٥) .

يخاطب الله – تعالى – المؤمنين في هذه الآية أن يكونوا ﴿ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ أي : مجتهدين في إقامة العدل في الأرض، وأن يكونوا ﴿ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾أي يقيمون شهادتهم لوجه الله – تعالى – كما أمرهم بإقامتها، ولو كانت الشهادة على أنفسهم﴿ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ﴾ فلا يجوروا فيها، من أجل إرضائهم، حتى لو عادت شهادتهم بالضرر عليهم، ما دامت شهادة حق، وحتى لو كان المشهود عليه ﴿غَنِيًّا﴾فلا مانع من الشهادة عليه لغناه، أو﴿فَقِيرٗا﴾من أجل الرحمة به لفقره،﴿فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ﴾أي بالغني والفقير، وأعلم بمصلحتهما منكم،﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْ﴾أي : لا يحملكم اتباع الهوى أو التعصب لأحد على ترك العدل،﴿وَإِن تَلۡوُۥٓاْ﴾: أي وإن تحرفوا الشهادة، أو ﴿تُعۡرِضُواْ﴾عنها بترك أدائها، أو كتمانها ؛ فإنّ الله ﷻ كان خبيراً بأعمالكم ؛ وسيجزيكم عليها بما تستحقون .[1]

نفهم مما سبق أنّ المقصود بقوله تعالى :﴿ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾هو إقامة الحق في موضعه، من غير مراعاة لإرضاء أحد حتى الوالدين، والابتعاد عن اتباع الهوى لأنه مظنّة الهلاك، ويؤدي إلى انتشار الظلم في المجتمع[2]، وقد أمر الله ﷻ أن تكون الشهادة بالقسط والعدل ؛ حتى وإن كانت ستؤثر على الوالدين بالعقاب في الدنيا، ولا يعتبر هذا عقوقاً لهما ؛ بل هو من البرّ لهما ؛ لأنّ أداء الحق الذي عليهم في الدنيا خير من أدائه يوم القيامة، فكان من البرّ أن يشهد الولد ليخلص أبويه من حقوق الآخرة وعذابها .[3]

---

[1] انظر : الزمخشري ،**الكشاف**، ج(١) ، ص(٦٠٨-٦٠٩) .

[2] انظر : ابن عطية ،**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج(٢) ، ص(١٤٥) . وابن كثير ،**تفسير القرآن العظيم** ، ج(٢) ، ص(٤٣٣) .

[3] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٥) ، ص(٤١٠) . والجنباز ، محمد منير،(**شهادة الحق**) ، ١٥- ربيع الثاني – ١٤٣٦هـ . http://www.alukah.net/sharia/٠/٨٢١٧١/

وقد خصّ الله – تعالى – النفس والوالدين والأقربين بالذكر ؛ لأنهما مظنّة المودة، والتعصب، وكذلك الغني أو الفقير أيضاً، فلا تقام الشهادة على الغني من أجل غناه ومنزلته، فيظلم الفقير ولا تقام على الفقير رحمة به من أجل فقره، فيظلم الغني فالله ﷻلا يقبل الظلم، وجميع الناس متساوون في الحقوق سواء كانوا أقارب أو أصحاب منزلة أو سلطان، فإن الحق حاكم على كل أحد، وهو مقدم على كل أحد.[1]

يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ﴾(الطلاق :٢) أي: ليكن أداؤها ابتغاء وجه الله ﷻ، فحينئذ تكون صحيحة عادلة حقاً ، خالية من التحريف والتبديل والكتمان ؛ ﴿وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾أي: اشهد شهادة الحق ولو عاد ضررها عليك، وإذا سُئِلت عن الأمر فقل الحق فيه ، فإن الله ﷻ سيجعل لمن أطاعه فرجاً ومخرجاً من كل أمر يضيق عليه.[2]

ومن الملاحظ في هذه الآية أنّ الله ﷻ خاطب المؤمنين بلفظ (شهداء) التي هي جمع (شهيد)، وليس (شاهدين) التي هي جمع (شاهد)، وذلك لأنّ (شهيد) صيغة مبالغة تدل على الصفات الراسخة في النفس كعليم، وخبير، وهذا يدل على المبالغة في الصدق بأداء الشهادة لله ﷻ.[3]

---

[1] انظر : ابن عطية ،**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، ج(٢) ، ص(١٤٤) .

[2] ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم**، ج(٢) ، ص(٤٣٣) .

[3] انظر : طنطاوي ،**التفسير الوسيط**،ج(٣) ، ص(٣٤٢) .

المطلب الثالث : الشهادة بالقسط .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨ ﴾(**المائدة : ٨)** .

يأمر الله ﷻ عباده المؤمنين بأن يكونوا ﴿قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ ﴾أي قائمين بأوامر الله ﷻفي أقوالهم وأفعالهم وكل ما يلزم القيام به، وأمرهم كذلك أن يكونوا ﴿شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾أي شهداء بين النّاس بالحق والعدل، من غير ميل إلى أحد ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْ ﴾أي لا يحملنّكم بغض قوم على ترك العدل ﴿ ٱعۡدِلُواْ﴾بين العدو والحبيب ﴿ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾أي إلى تقوى الله ﷻ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ من العدل أو الجور ومجازيكم به يوم القيامة . [1]

ومن خلال التأمّل في الآية السابقة نراها تتحدث عن نوعين من العبادة :

الأول : تعظيم أوامر الله ﷻ، وذلك من خلال قوله تعالى : ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ ﴾.

الثاني : الشفقة على خلق الله ﷻ، وذلك من خلال قوله تعالى :﴿شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾.

وفي هذا معنيان :

الأول : التبيين لحقائق الأمور، إذا طُلب من الإنسان ذلك ؛ لأنّ الشاهد هو المبيّن، فعليكم أن تبينوا أمور دينكم بالحجج والبراهين الصحيحة كما نزلت [2]سواء كان هذا الأمر هو فتوى للعالِم فعليه أن يفتي بما يرضي الله – تعالى – وليس بما يتفق مع هواه وهوى السلاطين، أو كان هذا الأمر هو توضيح لحدث ما حدث في الصف مع الطلاب، فعلى الطالب أن يبين ما حدث دون

---

[1] انظر : الطبري ،**جامع البيان**، ج(١٠) ، ص(٩٥) .

[2] انظر بتصرف : الرازي ،**التفسير الكبير**، ج(١١) ، ص(٣٢٠) .

ميل إلى أصدقائه أو جور على غير أصدقائه، وكذلك القاضي عليه أن يحكم بالعدل ولو كان هذا الحُكم يأتي بالضرر على أقاربه أو أحبابه، أو يأتي بالنفع على أعدائه .

الثاني : الشهادة في الحقوق بين النّاس أذا طُلب من الشاهد ذلك دون الميل إلى أحد، فعليه أن يشهد على ما رأى، فلا يحابي في شهاداته أهل وده وقرابته ، ولا يمنع شهادته عن أعدائه، فعليه أن يشهد أمام القاضي بالحق، وأن يقوم بالشهادة على وجهها كما أمره الله ﷻ دون تحريف أو تبديل أو تزوير أو كتمان .[1]

والمعنى المقصود من الآية السابقة : لا يحملنكم بغض قوم على أن تجوروا عليهم وتجاوزوا الحدّ فيهم ، بل اعدلوا فيهم وإن أساؤوا عليكم ، وأحسنوا إلى غيركم وإن بالغوا في إيحاشكم ، وقد أمر الله – تعالى – جميع الخلق بأن لا يعاملوا أحداً إلاّ على سبيل العدل والإنصاف ، وترك الميل والظلم حتى على الأعداء، وهذا هو القسط في الشهادة .[2]

قال الشافعي : " والذي أحفظ عن كل من سمعت منه من أهل العلم في هذه الآيات [3]، أنها في الشاهد قد لزمته الشهادة وإن فرض عليه أن يقوم بها على والديه ، وولده ، والقريب ، والبعيد ، والبغيض والحبيب ، ولا يكتم عن أحد ، ولا يحابي بها ، ولا يمنعها أحدا".[4]

ونلحظ أنّ معنى هذه الآية قريب جداً من معنى آية النساء التي في المطلب السابق[5] (الثاني)، لكن ما الفرق بين الآيتين :

من الملاحظ أنّ آية النساء بُدئ فيها القيام بالقسط والشهادة لله ﷻ، على خلاف آية المائدة التي بدئ فيها بالقيام لله ﷻ والشهادة بالقسط ؛ وذلك لأنّ القسط ناسبآية النساء التي جيء بها في معرض الإقرار على النفس والوالدين والأقارب، فبدئ فيها بالقسط الذي هو العدل من غير محاباة نفس ، ولا والد ولا قرابة ، أمّا آية المائدة والتي ناسب فيها البدء بالقيام للهﷻ، وجيء بها

---

[1] انظر : الرازي ،**التفسير الكبير**، ج(١١) ، ص(٣٢٠)

[2] انظر : المرجع السابق .

[3] انظر : سورة النساء ، الآية (١٣٥) .

[4] البيهقي ، أحمد بن الحسين (ت : ٤٥٨هـ) ، **سنن البيهقي الكبرى**، تحقيق : محمد عطا ، (مكتبة دار الباز : ١٤١٤هـ) ، كتاب : الشهادات ، باب : ما يجب على المرء من القيام بشهادته إذا شهد ، ج(١٠) ، ص(١٥٨).

[5] انظر : سورة النساء ، الآية (١٣٥) .

في معرض ترك العداوة ، فبُدئ فيها بالأمر بالقيام لله ﷻ، لأنه أردع للمُؤمنين ، ثم ثني بالشهادة بالقسط ، فجيء في كل معرض بما يناسبه .[1]

وفي ختام هذا المبحث نكون قد تعلمنا أنّ الله – تعالى – طيب لا يقبل من المؤمن إلا طيباً، ففي شهادته لربه يجب أن يكون مقسطاً ؛ وذلك بأن تكون شهادته خالصة لله – تعالى، وأن يقوم بمتطلباتها كما أمر الله – تعالى، وأن يكون كذلك مقسطاً في شهادته مع النّاس، فلا يدور إلا مع الحق حيث دار، ولا يميل لأحد على حساب أحد، وذلك لأنّ الله – تعالى – يحبّ المقسطين .

[1] انظر : ابن عادل، عمر بن علي (ت: ٧٧٥هـ)،**اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق : عادل عبد الموجود ، (دار الكتب العلمية – بيروت : ١٤١٩هـ) ،ج(٧) ، ص(٢٤٢) .

المبحث الثاني : الشهادة المذمومة في القرآن الكريم .

نهى الله – تعالى – الشهود عن كتم شهادة الحق إذا احتيج إليها، وكذلك نهى سبحانه الشهود أن يشهدوا شهادة زور، وعدّ ذلك من الأمور العظيمة التي تدمّر المجتمع، وتدخل صاحبها النّار، وسيأتي تفصيل ذلك من خلال المطلبين الآتيين :

المطلب الأول : كتم الشهادة .

قال تعالى : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾(البقرة : ٢٨٢)،وقال تعالى :﴿ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾(البقرة : ٢٨٣) .

نهى الله ﷻعن كتم الشهادة إذا طُلب من الشاهد أداؤها، وكتم الشهادة هو إخفاؤها، والامتناع عن أدائها عند الحاجة إليها .[١]

أمّا قوله تعالى ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾ فيحمل معنيين :

الأول : أي إذا ما دعوا لتَحمُّل الشهادة ابتداءً .[٢]

الثاني : إذا ما دعوا إلى أدائها أخيراً إذا احتيج إلى ذلك .[٣]

وتحمّل الشهادة : هو قبول الشاهد مشاهدة ما يتم التعاقد عليه بين طرفي العقد، أو قبوله مشاهدة أي حدث يُحتاج فيه إلى شهادة شاهد .

أمّا أداء الشهادة فمعناه : قبول الشاهد الإدلاء بشهادته أمام الحاكم إذا طُلب منه ذلك .

هل على الشاهد تحمّل الشهادة ابتداءً ؟

قال مجاهد :" إذا دعيت لتشهد فأنت بالخيار، وإذا شهدت فدعيت فأجب ".[٤]

ومعنى قول مجاهد : إذا دعي الرجل لمشاهدة حدث ما فهو بالخيار أن يقبل أو يعتذر، وإذا قبل أن يشاهد هذا الحدث ثم دعي للشهادة أمام الحاكم فيكون الأداء عليه واجباً .

---

[١]انظر بتصرف : أبو حيان ،**البحر المحيط** ، ج(٢) ، ص(٣٧٣) . وابن عادل ،**اللباب في علوم الكتاب**، ج(٤) ، ص(٥١٢) .

[٢]انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٣) ، ص(٣٩٨) .

[٣]انظر : المرجع السابق .

[٤]ابن كثير ،**تفسير القرآن العظيم**، ج(١) ، ص(٧٢٥) .

وقال أبو حيان في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾: " وهذا النهي عن التّحمّل ليس نهي تحريم ، فله أن يشهد ، وله أن لا يشهد، وهو قول عطاء ، والحسن، وقال الشعبي : إن لم يوجد غيره تعين عليه أن يشهد ، وإن وجد فهو مخير" .[1]

قال ابن كثير : تحمّل الشهادة فرض كفاية إذا قام به واحد سقط عن الباقي .[2]

ونفهم مما سبق أنّ الشاهد بالخيار إذا دعي للتحمّل مع وجود غيره، أمّا إذا لم يوجد غيره فعليه أن لا يأبى، وهذا هو الراجح في هذه المسألة .

قال الجصاص في كتابه أحكام القرآن : والذي يدلّ على أنّ تحمّل الشهادة وأداءها فرض على الكفاية أنه غير جائز للناس كلهم الامتناع عن تحمل الشهادة، ولو جاز لكل واحد أن يمتنع عن تحملها لبطلت الوثائق وضاعت الحقوق، والدليل على أنّ فرضها غير معين على كل أحد في نفسه هو اتفاق المسلمين على أنه ليس على كل أحد من الناس تحملها، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ فإذا ثبت فرض التحمل على الكفاية كان حكم الأداء عند الحاكم، كذلك إذا قام بها البعض منهم سقط عن الباقين . [3]

أمّا أداء الشهادة إذا احتيج إلى أدائها فحكمه كالآتي :

قال ابن حزم : يعتبر كاتم الشهادة فاسقاً إذا تعيّن عليه أداؤها، ولم يوجد غيره من الشهود، ويعتبر مجروحاً لا يحل قبول شهادته إذا لم يتب، وذلك لأنّ أداء الشهادة فرض كفاية ؛ ذا قام به بعض الشهود سقط عن الكل[4]، وقال ابن عباس : " من احتيج إليه من المسلمين قد شهد على شهادة أو كانت عنده شهادة فلا يحل له أن يأبى إذا ما دعي " . [5]

---

[1] أبو حيان ،**البحر المحيط**، ج(٢) ، ص(٣٦٦) .

[2] انظر : ابن كثير ،**تفسير القرآن العظيم**، ج(١) ، ص(٧٢٥) .

[3] انظر : الجصاص ،أحمد بن علي (ت: ٣٧٠هـ) ،**أحكام القرآن**، تحقيق : محمد قمحاوي ، (دار إحياء التراث العربي – بيروت : ١٤٠٥ هـ) ،ج(٢) ، ص(٢٥٥) .

[4] انظر : ابن حزم ،**المحلّى بالآثار**، ج(١١) ، ص(١٤١) .

[5] السيوطي ،**الدّر المنثور**، ج(٢) ، ص(١٢١) .

وقد شبّه النبي ﷺ كاتم الشهادة بشاهد الزور، فعن أبي بردة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : ((مَنْ كَتَمَ شَهَادَةً إِذْا دُعِيَ إِلَيْهَا كَانَ كَمَنْ شَهِدَ بِالزُّورِ)) . [1]

وقال مجاهد في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾: " أي إذا ما دعوا لإقامة الشهادة وأدائها عند الحاكم، وإنما يتعين هذا على الشاهد إذا لم يوجد من يقيمها غيره فإن كان قد تحملها جماعة لم يتعين عليه، وكذلك حال التحمل لأنه فرض على الكفاية فلا يجوز للكل الامتناع منه ".[2]

ويستثنى من هذا الحكم ؛ الشهادة في الحدود، إذ الستر فيها أفضل من الأداء وذلك لأنّ الله ﷻ أمر المسلمين بالستر على بعضهم[3]، وهو ما سيأتي تفصيله في الشهادة في الحدود.

وقد يسأل سائل : **كيف يكون كتم الشهادة والإباء عنها ؟؟**

هناك ثلاثة أوجه للإباء عن الشهادة [4]:

الأول :أن يمتنع الشاهد عن أدائها إذا طُلب منه ذلك وهذا هو كتمانها .

الثاني : أن يشهد ويقصر في أدائه كي لا تقبل شهادته، أو يخفي بعض حقائقها الموصلة إلى الحق .

الثالث : أن لا يصون نفسه عن المعاصي فيصير متّهماً لا تقبل شهادته، فكأنه هو الذي أبطل حق المدّعي وخانه حيث عصى الله –تعالى – حتى ردت شهادته بمعصيته .

وليس شرطاً أن ينتظر الشاهد استدعاء الحاكم أو القاضي له، فلو رأى أنّ حق غيره سيضيع إن

---

[1] أخرجه : الطبراني ،**المعجم الأوسط**، باب : من اسمه علي ، ج(٤) ، ص(٢٧٠) . قال الهيثمى : فيه عبد الله بن صالح وثقه عبد الملك بن شعيب بن الليث فقال ثقة مأمون وضعفه جماعة . الهيثمي ،**مجمع الزوائد**، كتاب : الأحكام ، باب : في الشهود ، ج(٤) ، ص(٣٦٣) .

[2] ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي (ت: ٥٩٧هـ) ،**تذكرة الأريب في تفسير الغريب**، تحقيق : طارق السيد ، ط(١) . (دار الكتب العلمية – بيروت : ١٤٢٥هـ) ، ج(١) ، ص(٨٤) .

[3] انظر : ابن قاسم ، عبد الرحمن بن محمد العاصمي (ت :١٣٩٢هـ) ،**حاشية الروض المربع شرح زاد المستنقع**، ط(١) ، (١٣٩٧هـ) ، ج(٧) ، ص(٥٨١) .

[4] انظر : السمرقندي ،**بحر العلوم**، ج(١١) ، ص(٢١١) . البابرتي ، محمد بن محمد (ت: ٧٨٦هـ) ،**العناية شرح الهداية** ، (دار الفكر) ، ج(٧) ، ص(٣٦٧) .

لم يشهد، فعليه أن يبادر هو لذلك [1]، فعن زيد بن خالد الجهني[2] أَنَّ النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ : ((أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الشُّهَدَاءِ ؛ الَّذِى يَأْتِي بِشَهَادَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا)).[3]

لكن هل **يوجد تعارض بين الحديث السابق وحديث عمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ:** أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ :((إِنَّ خَيْرَكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، قَالَ عِمْرَانُ فَلاَ أَدْرِى أَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةً، ثم قال : ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلاَ يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ)) .[4]

الجواب على ذلك أنّ حديث زيد بن خالد الجهني الذي فيه مدح للشهداء، المراد منه أن يكون عند الإنسان شهادة حق، وصاحب الحق لا يعلم بهذه الشهادة ؛ ولولا شهادته هذه لضاع الحق على صاحبه، فيأتي ويخبر صاحب الحق بشهادته حتى لا يضيع حقه، وأمّا حديث عمران بن الحصين الذي فيه الذم للشهداء فهو يتحدث عن شهداء الزور، أو عن الذين لا يكونون أهلاً للشهادة لقلّة عدالتهم، أو لكثرة غفلتهم ونسيانهم فيغيرون ويحرفون في شهادتهم، وينطبق هذا الحديث أيضاً على حال الشخص الذي يعلم صاحب الحق بأنه يمكن أن يشهد له، ولكنه لم يطلب منه ذلك لحكمة في نفسه، أو درءاً لمفسدة معينة، فيأتي الشاهد فيشهد دون أن يُطلب منه ؛ فيوقع صاحب الحق في الحرج .[5]

---

[1] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٣) ، ص(٣٩٩) .

[2] **زيد بن خالد الجهني**، الصحابي الجليل ، سكن المدينة ، وشهد الحديبية ، وروى عن النبي ﷺ بعض الأحاديث ، توفي سنة (٧٨) هـ . انظر : ابن حجر ،**الإصابة في تمييز الصحابة**، ج(٢) ، ص(٦٠٣) .

[3] أخرجه : البخاري ،**صحيح البخاري** ، كتاب : الشهادات ، باب : لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد ، ج(٢) ، ص(٩٣٨) ، ر(٢٥٠٨) . ومسلم ، **صحيح مسلم**، كتاب : الأقضية ، باب : بيان خير الشهود ، ج(٥) ، ص(١٣٢) ، ر(٤٥٩١) .

[4] أخرجه : البخاري ،**صحيح البخاري**، كتاب : الشهادات ، باب : لا يشهد على شهادة جور إذا أُشهد ، ج(٢) ، ص(٩٣٨) ، ر(٢٥٠٨) . ومسلم ،**صحيح مسلم**، كتاب : فضائل الصحابة ، باب : فضل الصحابة ثمّ الذين يلونهم ثمّ الذين يلونهم ، ج(٧) ، ص(١٨٥) ، ر(٦٦٣٨) .

[5] انظر : النووي ،**المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ج(١٢) ، ص(١٧) ، وج(١٦) ، ص(٨٧) . وابن حجر العسقلاني ،**فتح الباري**، ج(٥) ، ص (٢٦١) . وابن كثير ،**تفسير القرآن العظيم**، ج(١) ، ص(٧٢٥) .

وبالرجوع إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ﴾ نلحظ أنّه قد عُبّر عن امتناع أداء الشهادة بلفظة (الكتم) دون غيره، وذلك لأنّ الكتم هو كبت الشيء الذي يحاول أن يخرج، فكأنّ فطرة المؤمن تلحّ عليه لتحاول إخراج الحقيقة وهو يقوم بكتمها .[1]

وقد حذّر الله ﷻ الشهود من كتمان الشهادة فقال : ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾

أي : فاجر قلبه، والشهادة تكون باللسان، لكنّ **لماذا خصّ الله ﷻ القلب بالإثم دون سائر الأعضاء ؛ ومع أنّه كان يكفي أن يقول ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ﴾؟؟**

الجواب على ذلك بأنّ الكتمان من أعمال القلب، وإسناد الفعل إلى الجارحة أبلغ في التعبير، ولأنّ القلب هو أشرف الأعضاء، ولئلا يظنّ الشاهد أنّ كتمان الشهادة متعلق باللّسان فحسب ، وذلك لأنّ اللسان هو ترجمان القلب، وقد عبّر به عن سائر الأعضاء .[2]

لماذا هذا الوعيد على كتم الشهادة ؟

١. لأنّ الشاهد عندما يمتنع عن الشهادة يُبطل حق صاحب الحق، والحقّ بالضرورة مبني عليها ولا يثبت بدونها .[3]

٢. لأنّ في أدائها حفظاً لحقوق العباد، وقطعاً للمشاجرات والمنازعات، وانتظام لأمر العباد .[4]

قال ابن عادل[5]– رحمه الله – عن الحكمة من وعيد الله ﷻ لكاتم الشهادة : " لأنّ الشاهد متى امتنع عن إقامة الشهادة صار كالمبطل لحقه ، وحُرمة مال المسلم كحُرمةِ دمه ، فلهذا بالغَ في وعيده " .[6]

هل هناك حالة استثنائية يجوز فيها كتم الشهادة ؟

يجوز كتم الشهادة في حال لحوق الضرر بالشاهد، أو التهديد بالقتل، كما قال العلماء .

---

[1] انظر : الشعراوي ،**الخواطر**، ج(٢) ، ص(١٢٢٧) .

[2] انظر : الزمخشري ،**الكشاف**، ج(١) ، ص(٣٥٧) . وأبو حيان ،**البحر المحيط**، ج(٢) ، ص(٣٧٣).

[3] انظر : الخازن ،**لباب التأويل في معاني التنزيل** ، ج(١) ، ص(٣٠٩) . والسعدي ،**تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن** ، ج(١) ، ص(١١٩) .

[4] انظر : السعدي ،**تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن** ، ج(١) ، ص(١١٩) .

[5] **سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي** ، العالِم والمفسر والفقيه ، له تفسير للقرآن اسمه : (اللباب في علوم الكتاب) توفي سنة (٧٧٥) هـ . انظر : الزركلي ، **الأعلام** ، ج(٥) ، ص(٥٨) .

[6] ابن عادل ،**اللباب في علوم الكتاب** ، ج(٤) ، ص(٥١٢) .

قال أبو بكر الحدادي [1]– رحمه الله : إذا خاف الشاهد على نفسه من سلطان جائر أو نحوه وسعه الامتناع عن الشهادة .[2]

وقال ابن قاسم [3]– رحمه الله : ومحل وجوبها إن قدر على أدائها بلا ضرر يلحقه في بدنه أو عرضه، أو ماله أو أهله، كالضرب، أو الحبس أو مشقة السير، أو حصول تلف ماله، فإن حصل له ضرر بشيء من ذلك لم تجب [4] .

---

[1] **أبو بكر بن علي الحدادي الزبيدي،** فقيه حنفي من تهامة ، صاحب كتاب : الجوهرة النيرة على مختصر القدوري ، وله كتاب في تفسير القرآن اسمه (تفسير الحدادي) ، توفي سنة (٨٠٠هـ) . انظر : الزركلي ،**الأعلام،** ج(٢) ، ص(٦٧) .

[2] انظر : الحدادي ، أبو بكر بن علي(ت: ٨٠٠هـ) ،**الجوهرة النيّرة على مختصر القدوري،** ط(١) ، (المطبعة الخيرية : ١٣٢٢هـ) ، ج(٢) ، ص(٢٢٥) .

[3] **عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي،** فقيه حنبلي من نجد ، له عدد من المؤلفات مثل كتاب (إحكام الأحكام) ، وقد قام بجمع فتاوى ابن تيمية في ثلاثين مجلداً ، توفي سنة (١٣٩٢هـ) . انظر : انظر : الزركلي ،**الأعلام،** ج(٣) ، ص(٣٣٦) .

[4] انظر : ابن قاسم ، **حاشية الروض المربع شرح زاد المستنقع،** ج(٧) ، ص(٥٨٢) .

المطلب الثاني : شهادة الزور .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا﴾(الفرقان : ٧٢) .

مدح الله ﷻ عباده المؤمنين بصفات عديدة ؛ منها أنّهم لا يشهدون الزور، والزور : هو الكلام الباطل والكذب المُحسَّن[١]، **وشهادة الزور فيها معنيان :**

الأول : هو حضور مجالس الباطل، لأنّ الشهادة قد تأتي بمعنى الحضور، كما في قوله تعالى :﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ ﴾(البقرة : ١٨٥) ،أي إنّ الله ﷻ مدح المؤمنين بأنّهم يتنزّهون عن حضور مجالس الباطل كمجالس الخمر واللّهو والغناء الفاحش ومجالس الغيبة والنميمة، واحتفالات المشركين وأعيادهم التي يفعلون فيها المنكرات والبدع ويقولون فيها الباطل على الله ﷻ، كجعلهم لله ﷻ ولداً أو والداً ونحوه، وبهذا المعنى قال أكثر المفسرين وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والضحاك [٢].

قال قتادة : في تفسير قوله تعالى :﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾" أي لا يساعدون أهل الباطل على باطلهم ولا يمالئونهم فيه " [٣].

وقال الضّحاك في تفسير قول الزور : " كلام الشرك " .[٤]

وتنطبق تلك المعاني على قول الله تعالى :﴿ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ ﴾ (النساء : ١٤٠) وهذه الآيات السابقة تدلل على حرمة مجالسة أهل الباطل، لأنّ في مجالستهم دليلاً على استحسان فعلهم، والرضا بما يصنعون ، وتشجيعهم على الزيادة فيه . [٥]

---

[١] انظر : ابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(١٨) ، ص(٣٢٤) .

[٢] انظر : ابن أبي حاتم ، **تفسير القرآن العظيم**، ج(٨) ، ص(٢٧٣٧) . والماوردي ،**النكت والعيون**، ج(٤) ، ص(١٥٩) . والقرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن**، ج(١٣) ، ص(٧٨-٧٩) . وابن عاشور ، **التحرير والتنوير**، ج(١٩) ، ص(٧٨) .

[٣] ابن أبي حاتم ، **تفسير ابن أبي حاتم**، ج(٨) ، ص(٢٧٣٦) .

[٤] ابن أبي حاتم ، **تفسير ابن أبي حاتم**، ج(٨) ، ص(٢٧٣٧) .

[٥] انظر : ابن أبي حاتم ،**تفسير القرآن العظيم**، ج(٨) ، ص(٢٧٣٧) . والماوردي ،**النكت والعيون**، ج(٤) ، ص(١٥٩) . والزمخشري ،**الكشاف**، ج(٣) ، ص(٣٠١) . والقرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(١٣) ، ص(٧٨-٧٩) . وابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(١٩) ، ص(٧٨) .

الثاني : هي الإخبار بالباطل، لأنّ الشاهد هو المُخبر والمبيّن للشيء كقوله تعالى : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾(يوسف : ٢٦) .

وقد فهمت من خلال تجوالي في التفاسير أنّ هذا الإخبار يشمل أمرين :

الأول : الإخبار عن الله ﷻ.

كالإخبار بالمعتقدات الباطلة مثل الشرك بالله ﷻ الذي هو أشدّ أنواع الإخبار عن الله ﷻ بالباطل، واختراع البدع على أنّها من الدين، ورواية الأحاديث الموضوعة، والفتوى بغير علم.[١]

قال ابن القيم : " وقد حرم الله – سبحانه – القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء ، وجعله من أعظم المحرمات ، بل جعله في المرتبة العليا منها، فقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (الأعراف : ٣٣) " [٢]

الثاني : الإخبار عن العباد .

وهو أن يشهد الشخص كذباً على غيره بهدف الوصول إلى مصلحة تخصّه .

وقد عدّ الإسلام هذا الفعل من كبائر الذنوب، كما روى عبد الرحمن بن أبي بكرة[٣]– رضي الله عنهما– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلى اللهُ عليهِ وسلمَ: ((أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ – ثَلَاثًا – ؟ قُلْنَا: بَلَى يا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ: الإِشْرَاكُ بِاللهِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فقالَ: أَلاَ وَقَوْلُ

---

[١] انظر بتصرف : ابن أبي حاتم ، **تفسير القرآن العظيم**، ج(٨) ، ص(٢٧٣٧) . والماوردي ،**النكت والعيون**، ج(٤) ، ص(١٥٩) . والقرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(١٣) ، ص(٧٨–٧٩) . وابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(١٩) ، ص(٧٨) .

[٢] ابن القيم ، محمد بن أبي بكر (ت:٧٥١هـ) ،**إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق : طه سعد ، (دار الجيل – بيروت : ١٣٩٣هـ) ، ج(١) ، ص(٣٨) .

[٣] **عبد الرحمن بن أبي بكرة بن الحارث** التابعي ﷺ، ابن الصحابي أبي بكرة الحارثي ﷺ، ولد في خلافة عمر ، روى عدداً من الأحاديث ، وقال عنه المحدثون : ثقة ، توفي سنة (٧٦)هـ . انظر الذهبي ،**سير أعلام النبلاء**، ج(٤) ، ص(٤١٢) .

الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّور، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ))[1].

وقد قرنها الله ﷻ بالشرك به فقال : ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ (الحج : ٣٠) ؛ وذلك لأنّ شهادة الزور فيها ظلم كبير ومفسدة للمجتمع يشمل أكل أموال النّاس وحقوقهم، وهي سبب في انتشار البغض والنزاعات بين النّاس التي قد تصل إلى القتل أحياناً وخراب البيوت، وقد تكون سبباً في هتك الأعراض وقذف المحصنات.[2]

عقوبة شاهد الزور الذي يخبر عن العباد بالكذب :

تعددت أقوال الفقهاء في عقوبة شاهد الزور :

روي أنّ عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –كان يجلد شاهد الزور أربعين جلدة ، ويسخّم وجهه[3] ، ويحلق رأسه ، ويطوف به في السوق .[4]

قال أبو حنيفة : يُشهّر فيه بالأسواق .[5]

قال الماوردي : يجلد ما دون الأربعين جلدة، أي أقل من حد الخمر .[6]

قال أبو يوسف : يجلد ما دون الثمانين جلدة .[7]

قال الإمام أحمد : يعزّر بحسب ما يراه الحاكم، لأنه لم يرد في عقوبته حد معيّن، سواء بالجلد أو

---

[1] أخرجه : البخاري ، **صحيح البخاري**، كتاب : الاستئذان ، باب : من اتكأ بين يدي أصحابه ، ج(١) ، ص(٢٣١٤) ، ر(٥٩١٨) .

[2] انظر : ابن أبي حاتم ، **تفسير القرآن العظيم**، ج(٨) ، ص(٢٧٣٧) . والماوردي ، **النكت والعيون**، ج(٤) ، ص(١٥٩) . والقرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(١٣) ، ص(٧٨-٧٩) . وابن عاشور ، **التحرير والتنوير**، ج(١٩) ، ص(٧٨) .

[3] **التّسخيم** هو : تسويد الوجه ، والسّخام هو سواد القِدر . انظر : ابن سيده ، علي بن إسماعيل(ت: ٤٥٨) ،**المخصّص**، تحقيق : خليل جفال ، ط(١) ، (دار إحياء التراث العربي – بيروت : ١٤١٧هـ) ، ج(٣) ، ص(٣٩٠) .

[4] أخرجه : ابن أبي شيبة ،**مصنّف ابن أبي شيبة**، كتاب : الحدود ، باب : من رُخّص في حلقه وجزّه ، ج(١٠) ، ص(٤١) ، ر(٢٩٢٣٧) .

[5] انظر : الماوردي ، علي بن محمد(ت : ٤٥٠هـ) ،**الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي**، (دار الفكر – بيروت) ، ج(١٦) ، ص(٣٢٠- ٣٢٢) .

[6] انظر : المرجع السابق.

[7] انظر : المرجع الأسبق .

بالحبس أو التعزير .[1]

ويبدو أنّ تحديد عقوبة شاهد الزور تعود إلى الحاكم حسب ما يراه مناسباً، ويكفيه عقوبة ربه يوم القيامة، فقد روى ابن عمر – رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا–عن رسول اللَّه–صلى الله عليه وسلم : ((شَاهِدُ الزُّورِ لاَ تَزُولُ قَدَمَاهُ حَتَّى تُوجَبَ لَهُ النَّارُ)) . [2]

وفي نهاية هذا المبحث يكون قد مرّ معنا نهيان عظيمان نهى عنهما الشارع الكريم، وهما : كتم الشهادة، وشهادة الزور، وذلك لما فيهما من أبواب الشر التي قد تفتك بالمجتمع، وتفتح أبواب النزاع الذي قد يؤدي إلى الاقتتال فيما بينهم، وتضييع حقوق بعضهم، ولو ابتعد الشهود عن هذين النهيين لكان في ذلك وقاية للمجتمع من الشرور التي يمكن أن تحدث فيه، ولكانوا من الشهداء المرضيين عند ربّ العالمين وعند جماعة المسلمين .

---

[1] انظر : الماوردي ، **الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي**، ج(١٦) ، ص(٣٢٠– ٣٢٢) .

[2] أخرجه : الحاكم ، **المستدرك** ، كتاب : الأحكام ، ج(٤) ، ص(١٠٩) ، ر(٧٠٤٢) ، قال عنه الذهبي : صحيح .

المبحث الثالث : الشهادة في المعاملات .

تتبعت في هذا المبحث الآيات التي ذكرت الشهادة في المعاملات بصريح لفظ الشهادة كما هو منهجي في سائر الرسالة، وإلا فموضوعات الشهادة في المعاملات أكثر بكثير مما تطرقت إليه وهي موجودة في كتب الفقه والرسائل الفقهية بكثرة لمن أراد الرجوع إليها، وقد ذكر الله ﷻ في كتابه العزيز آيات عديدة تتحدث عن الشهادة في المعاملات بين النّاس، منها ما يتحدث عن شروط الشهداء المرضيين عند جماعة المسلمين، ومنها ما يحفظ الشهداء ويحفظ حقوقهم من إدخال الضرر عليهم، ومنها ما يحث على الإشهاد على الدّين، ومنها ما يحث على الإشهاد في الرجعة أو الفراق بين الزوجين، ومنها ما يحفظ أموال اليتامى، ومنها ما يذكر الشهادة حين الوصية، وقد جمعتها من خلال المطالب الآتية :

المطلب الأول : شروط الشهداء وحقوقهم .

يتفرّع عن هذا المطلب عنوانين رئيسين في شروط الشهداء وحقوقهم كالآتي :

أولاً : الشهداء المرضيون عند جماعة المسلمين .

قال تعالى: ﴿ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾(البقرة : ٢٨٢)، وقال تعالى : ﴿ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ (الطلاق : ٢) .

لقد أمرنا الله ﷻ أن نتخير أفضل الشهداء لإشهادهم على العقود وعلى الحقوق، فأرشدنا أن نختارهم ممن ترتضيهم نفوسنا، والمتأمّل في الآيات السابقة يلفت نظره ذلك العنوان الجميل الجامع المانع في قوله تعالى : ﴿مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾فهذه الكلمات المعدودة تصلح قاعدة شرعية في رسم صورة الشهداء الذين تُحفظ بهم حقوق الناس في كل زمان ومكان .

وهذا يدل أنّ هناك صنفين من المسلمين، **مرضيين للشهادة، وغير مرضيين**،ولا يكون الشاهد مرضياً لمجرّد الإسلام، وإنما يجب علينا تفرّس النظر في أحواله ؛ التي تؤهله لأن يصل إلى درجة الرضا عن شهادته، فليس كل من حسن قوله صلحت شهادته، لقوله تعالى :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥ ﴾(البقرة : ٢٠٤ – ٢٠٥) . [١]

والرضى يشمل معنيين : [٢]

الأول : أن يكون الشاهد عدلاً مرضياً بين النّاس .

الثاني : أن يرضى بشهادته طرفي التعاقد أو صاحب الحق .

وقد ذكر المفسّرون **الشروط** التي يجب أن يتحلّى بها الشاهد حتى يكون مرضياً :

١.الإسلام والبلوغ .[٣]

٢.العدالة والضبط .[٤]

والعدالة : هي الاعتدال في الأحوال الدينية ، وذلك يتم بأن يكون مجتنبا للكبائر وغير مصرّ على الصغائر ، ظاهر الأمانة غير مغفل .[٥]

وقد يكون الشاهد من أتقى الناس، لكن قد يكون عنده قلّة ضبط كالغفلة أو النّسيان ؛ تجعله غير مرضي للشهادة .[٦]

٣. أن يكون عالماً بما شهد به، فلا يشهد عن غير علم ويقع في شهادة الزور .[٧]

٤. أن يكون مرضياً في ديانته وأمانته وكفاءته ومروءته .[٨]

٥. أن يكون حَسَن الهيئة والسيرة والصناعة .[٩]

---

[١]انظر بتصرف : إلكيا الهرّاسي ،**أحكام القرآن**، ج(١) ، ص(٢٥٣) .

[٢]انظر : سيد قطب ، **في ظلال القرآن**، ج(٣) ، ص(٣٣٥) .

[٣]انظر : الرازي ،**التفسير الكبير**، ج(٧) ، ص(٨٩) .

[٤]انظر: البغوي ، **معالم التنزيل**،ج(١) ، ص(٣٥٠) . والرازي ،**التفسير الكبير**، ج(١) ، ص(١٠٥٣) . والثعلبي، **الكشف والبيان**، ج(٢) ، ص(٢٩٣) .

[٥]انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٣) ، ص(٣٩٦) .

[٦]انظر بتصرف : إلكياالهراسي، **أحكام القرآن**، ج(١) ، ص(٢٥٥) .

[٧]انظر: الرازي ،**التفسير الكبير**، ج(١) ، ص(١٠٥٣) .

[٨]انظر : البغوي،**معالم التنزيل**،ج(١) ، ص(٣٥٠). والثعلبي،**الكشف والبيان**، ج(٢) ، ص(٢٩٣)

[٩]انظر : الرازي ،**التفسير الكبير**، ج(١) ، ص(١٠٥٣) .

٦. أن يكون غير متّهم في دينه وأخلاقه، أو معروفاً بكثرة الغلَط . [١]

٧. أن لا يجرّ لنفسه نفعاً أو يدفع ضرراً، وإن كان مرضي الشهادة في الأصل، كشهادة العدو على عدوّه، أو الوالد لولده، أو الوارث على قاتل مورّثه .[٢]

وهذه الشروط السابقة يلخصها قول عمر بن الخطاب : " من أظهر لنا خيراً ظننا به خيراً فأجبناه عليه، ومن أظهر لنا شراً ظننا به شراً وأبغضناه عليه، وإذا حمد الرجل جاره وأقرباؤه ورفاقه فلا تشكّوا في صلاحه " [٣]

وبالنظر إلى عبارة ﴿مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ مع قلّة حروفها، وبلاغتها يبدو أنها أدق في الدلالة على صدق الشهادة من العدالة ، لأن الإنسان العدل قد يكون مرضياً في دينه وخلقه، ولكنه قد يتأثر بالمشاهد المؤثرة فتخونه ذاكرته في وقت الحاجة إليها ، أو قد يكون ممن يمنعه منصبه وجاهه ومقامه في الناس من الكذب إلا أنه قد يرتكب بعض المعاصي في حال خلوته ، فجاء – سبحانه – بهذه الجملة الحكيمة لكي يقول للناس : اختاروا الشهداء من الذين يُرتضى قولهم ، ويقيمون الشهادة على وجهها الحق بدون التأثر بأي نوع من أنواع المؤثرات .[٤]

وفي اختيار صيغة المبالغة في (شَهِيدَيْنِ) دون غيرها إيماء إلى من تكررت منه الشهادة، فهو عالم بها مقتدر على أدائها وكأن فيه رمزاً إلى العدالة، لأنه لا يتكرر ذلك إلا من شخص مقبولعند الحاكم، فهي أدق في التعبير من كلمة (رجلين) مثلاً .[٥]

ثانياً : <u>حقوق الشهداء وواجباتهم من خلال قوله تعالى</u> :﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ﴾ .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢ ﴾(البقرة : ٢٨٢) .

---

[١] انظر : الرازي ،**التفسير الكبير**، ج(١) ، ص(١٠٥٣) .

[٢] انظر : البغوي ،**معالم التنزيل**،ج(١) ، ص(٣٥٠) .والرازي ،**التفسير الكبير**، ج(١) ، ص(١٠٥٣) .

[٣] الثعلبي، **الكشف والبيان**، ج(٢) ، ص(٢٩٣) .

[٤] انظر : طنطاوي ،**الوسيط**، ج(١) ، ص(٦٤٨) .

[٥] انظر : الآلوسي ، **روح المعاني**، ج(٢) ، ص(٥٦) .

حفظ الله – تعالى – الحقوق بين العباد فأمرهم بتوثيق ديونهم عن طريق الكتابة أو الإشهاد أو الرهن، لكي يطمأنّوا على حقوقهم وأموالهم من أن يلحق بها مكروه، ونهى الشارع أيضاً عن إدخال الضرر على أي إنسان، وقد روى ابن عباسﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : ((لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ))[1]،وقد خصّ الله ﷻ بهذا النّهي الكاتب الذي يكتب العقود والديون بين النّاس، والشهيد الذي يشهد على هذه العقود، فمن أهم حقوقهم التي أعطاهم الله ﷻ إياها منع الضرر عنهم[2]، وقد جاء هذا المعنى المهم تحت قاعدة عظيمة تحفظ أشخاصهم وحقوقهم ومن له علاقة بهم في كل زمان ومكان ؛ تتمثل في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ .

والمضارّة : هي إدخال الضرر، كالإيقاع في الحرج أو الخسارة، أو ما يجرّ إلى العقوبة [3] .

وإدخال الضرر هنا يحتمل معنيين :

الأول : أن يقع الضرر من الشاهد على المتعاقدين، أو من له علاقة بهما[4]؛ ويكون ذلك بعدّة صور :

١. أن يكتم الشاهد شهادته إذا طلبت منه، فلا يحضر لأدائها، أو يدّعي أنه لا يعلم شيئاً ؛ فيكون في ذلك ضرر على أحد المتعاقدين ومن له صلة بهما . [5]

٢. أن يزيد الشاهد في الشهادة أو ينقص، لأنّه بذلك سيظلم أحد المتعاقدين أو من له صلة بهما . [6]

٣. أن يماطل الشاهد في الحضور للإدلاء بشهادته، دون مبرر أو عذر .

وهذه الصور السابقة هي صور رئيسة يجب أن يبتعد عنها الشاهد حتى يصبح قائماً بواجبه من دفع الضرر عن غيره ممن يحتاج شهادته من المسلمين، وحتى يصبح مرضياً عند جماعة المسلمين .

---

[1] أخرجه : أحمد ،**مسند أحمد بن حنبل**، مسند : عبد الله بن عباس ، ج(١) ، ص(٣١٣) ، ر(٢٨٦٧) . قال عنه شعيب الأرناؤوط : حديث حسن .

[2] انظر بتصرف : إلكيا الهراسي ،**أحكام القرآن**، ج(١) ، ص(٢٥١) .

[3] انظر بتصرف : ابن عاشور ،**التحرير والتنوير** ، ج(٣) ، ص(١١٧) .

[4] انظر : ابن عرفة ،**تفسير ابن عرفة** ، ج(٢) ، ص(٧٩٣) .

[5] انظر بتصرف : المرجع السابق .

[6] انظر بتصرف : ابن أبي حاتم ،**تفسير القرآن العظيم** ، ج(٢) ، ص(٥٦٧) .

الثاني : أن يقع الضرر على الشاهد، من أحد المتعاقدين أو من له صلة بهما[1]،ويكون ذلك بعدّة صور :

١. ترك استفسار الشاهد – من قبل المتعاقدين– مدّة طويلة يحتمل فيها النسيان [2]، ثم استشهاده بعد ذلك، مما يؤدي إلى إحراجه .

٢. الاستفسار منه بطريقة توقعه في الاضطراب، وتؤدي إلى إرباكه [3].

٣. إيقاع الشاهد في الحرج، كدعوته إلى الشهادة وهو مشغول، كأن يخوفه أحد المتعاقدين بأنه سيخالف أمر الله ﷻ إن لم يحضر، فيجبره على الحضور وهو مشغول في أمر ضروري كالسعي على رزق عياله، أو حتى وهو جوعان، أو نعسان .[4]

وهذا المعنى الذي قاله ابن عباس عندما فسّر هذه الآية : هو أن يجيء الرجل إلى الكاتب أو الشهيد، فيقول : إني على حاجة، وإنك قد أُمرتَ أن تُجيب، إشارة إلى قوله تعالى : ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾، وقوله :﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ﴾ فهذا القول فيه ضرر على الشاهد [5]، وذلك لأنّه يوقعه في الحرج ، لذلك على من طلب الشهادة أن يتخيّر الوقت المناسب لكلا الطرفين .

٤. شتم الشاهد وإهانته بالألفاظ النابية، وهذا المعنى ذكره عثمان بن عطاء عن أبيه[6] : " وكان السلطان القاضي لا يترك رجلا يشتم رجلاً ولا يشتم شهيداً ، وذلك أنّ الله – تعالى – قال: ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ ". [7]

٥. تهديد الشاهد حتى لا يدلي بشهادته ، أو حتى يزيد في الشهادة أو ينقص [8].

---

[1]انظر : ابن عرفة ، **تفسير ابن عرفة** ، ج(٢) ، ص(٧٩٣) .

[2]انظر : ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، ج(٣) ، ص(١١٧) .

[3]انظر : المرجع السابق .

[4]انظر : القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن**، ج(٣) ، ص(٤٠٥) .

[5]انظر : ابن أبي حاتم ، **تفسير القرآن العظيم**، ج(٢) ، ص(٥٦٧) .

[6]**عثمان بن عطاء بن أبي مسلم الخراساني**، سكن الشام ، روى كثيراً من الأحاديث لكنه ضعيف الرواية ، توفي سنة (١٥٥)هـ . انظر : المزّي ، يوسف بن الزكي(ت: ٧٤٢هـ) ، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق : بشار معروف ، ط(١) ، (مؤسسة الرسالة : ١٤٠٠هـ) ، ج(١٩) ، ص(٤٤٤) .

[7]ابن أبي حاتم ، **تفسير القرآن العظيم**، ج(٢) ، ص(٥٦٧) .

[8]انظر بتصرف :ابن عطية ،**المحرر الوجيز**، ج(١) ، ص(٣٨٣) .

كتهديد حياته، أو تهديد أسرته و ممتلكاته، فكم من شاهد فقد حياته وحرق بيته وماله، لأنه أراد أن يشهد شهادة حقّ على أحد المسؤولين أو الكبار في الدولة .

ويؤخذ مما سبق أنه ينبغي للدولة تأمين الحماية الكاملة للشهود، بالطرق التي تراها مناسبة، وبما أنّ الله ﷻ أكّد في كتابه العزيز على حماية الشهود الذين هم أحد أسباب إقامة العدل، ورفع الظلم عن المجتمع، فوضع عنواناً يغني عن كثير من القوانين فقال : ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾، وتوعد من يلحق الضرر بهم بالإثم العظيم، فقال في تتمة الآية : ﴿وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ﴾(البقرة : ٢٨٢) ولا يقتصر معنى الشهود في هذه الآية على الإشهاد على العقود المالية، بل هي عامّة في جميع الشهود الذين يشهدون على الجرائم، أو الفساد وما إلى ذلك .

وقد واكبت الجريمة في عصرنا الحديث التطورات الهائلة التي طرأت على المجتمع من ظهور للممنوعات التي لم تكن فيما مضى كالمخدرات بأنواعها، وساعدها على هذا التطور الإلكتروني الهائل ؛ فأخذت طابعاً منظماً عابراً للحدود، حتى أصبح مرتكبو الجريمة من أكثر الناس جنياً للمال وأكثرهم خطراً على المجتمع ، حتى أسسوا تنظيمات تسمى (المافيا)، والتي تعد الخطر الأول على رجال الشرطة .[١]

ويعدّ الشهود الخطر الأكبر على رجال (المافيا)، حتى لو لم تكن في نيتهم الإدلاء بشاهدتهم، فإنهم يسعون إلى قتل الشهود، أو قتل أفراد عائلاتهم للضغط عليهم .[٢]

فكان لزاماً على الدولة اتخاذ الإجراءات الأمنية لحماية الشهود مثل : إخفاء هويتهم وهوية عائلاتهم عن المتهمين، وضمان السريّة التامة لهم، حتى لو تطلّب الأمر إصدار هويات جديدة لهم، أو نقل مكان سكنهم، وتأمين بيوت، ووظائف جديدة لهم .[٣]

وعلى الدولة أيضاً جعل جانب من بيت المال لدفع مصاريف انتقال الشهود، وإقامتهم في غير بلدهم بهدف الإدلاء بشهادتهم، وعليها تعويض ما سينالهم من ذلك الانتقال من الخسائر المالية،

---

[١] انظر : إبراهيم ، رامي متولي ، بحث منشور **(حماية الشهود في القانون الجنائي)** ، دورية الفكر العدد(٩٥)، ص(١٠٦ – ١٠٧) ، ٢١– ١٢ – ١٤٣٧هـ ٢٣\ –٩– ٢٠١٦ م .
https://issuu.com/dr-ramymetwallyel-kady/docs

[٢] المرجع السابق .

[٣] المرجع الأسبق .

والاهتمام بعائلاتهم في حال غيابهم ؛ وفي ذلك إعانةً على إقامة العدل في المجتمع، وتحقيق لقوله تعالى : ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾.[1]

وكذلك على الباحثين في مجال أمن الدولة الاهتمام بعمل أبحاث ميدانية تشمل اقتراحات علمية وعملية جديدة ومتطوّرة تؤمّن الحماية الكاملة للشهود، وتعمل على الحدّ من استهدافهم من قِبل رجال العصابات ؛ وذلك لأنّ ظاهرة قتل الشهود قد ازدادت بشكل كبير في هذه الأيام، وبخاصّة مع ظهور الأجهزة الحديثة (ككميرات المراقبة) و(كميرات الهاتف) المحمول، و(الكاميرات) التي يحملها الناشطون ورجال الصحافة والإعلام لتوثيق الأحداث ؛ وذلك لأنّ الناشطين ورجال الصحافة يُعتبرون من أهمّ الشهود على الجرائم التي تحصل في عصرنا الحديث، وبخاصّة الجرائم التي تقع في الحروب .

وعلينا جميعاً أن نقدّر الدور الذي يقوم به هؤلاء الشّهود، فلولاهم ما سمعنا عن تلك الجرائم التي يرتكبها المجرمون والطّغاة في أنحاء العالَم، فأقلّ الواجب في حقّهم هو تأمين الحماية لهم، وكم مرة كانوا في قلب المعارك يعرّضون حياتهم للخطر من أجل نقل الحقيقة لنا، ولقد استُشهد منهم الكثير تحت مرأى ومسمع من العالَم دون تقديم المساعدة لهم، ودون الاهتمام بعائلاتهم بعد موتهم، فهل هذا هو حقّهم الذي أمرنا الله ﷻ بإعطائهم إياه ؟؟.

[1] انظر : ابن عاشور ،**التحرير والتنوير** ، ج(٣) ، ص(١١٧) .

المطلب الثاني : الإشهاد على الدّيون .

قال تعالى :﴿ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾(البقرة : ٢٨٢) .

المال هو عصب الحياة، وهو وسيلة لحصول الناس على احتياجاتهم، وتتوقف عليه جميع أمور الحياة، بما فيها التجارة والصناعة، والمواريث، والمعاملات البنكية ... الخ، لذلك أمرنا الله – تعالى – بالحفاظ عليه ؛ من خلال عدّة طرق ؛ منها الكتابة، والإشهاد عليه، إذا تداوله الناس بينهم على شكل ديون، ومعاملات مالية .

قال تعالى : ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُ ﴾(البقرة : ٢٨٢)، وقال : ﴿وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ ﴾(البقرة : ٢٨٢)، وقد ذكر الله – تعالى – ضرورة الإشهاد على المعاملات المالية والديون من خلال أطول آية في القرآن وهي آية الدين، والتي تتحدث عن كتابة الديون، والإشهاد عليها من خلال رجلين مسلمين حرين عدلين، أو رجل وامرأتين، ومعنى استشهدوا : اطلبوا شهادة رجلين، من رجالكم المسلمين العدول، ويشمل هذا الإشهاد تفاصيل الدّين، ووقت حلوله . [1]

وقد **أمر الله – تعالى – بكتابة الدّين والإشهاد عليه لعدّة حِكَم :**

١. حفاظاً على حقوق الناس من الضياع، فلا يجحد المدين حق الدائن، أو يطلب الدائن من المدين زيادة عن حقه،أو يطالب بماله قبل حلول الأجل .[2]

٢. لكي يعمل المدين على جمع المال وتوفيره للدائن قبل حلول الأجل، فيتمكن من أدائه .[3]

٣. حفاظاً على الاستقرار بين الناس، وذلك لأنّ عدم الإشهاد عليه يؤدي إلى أن يأكل القوي حقوق الضعيف ؛ مما يؤدي إلى حصول المنازعات والمشاجرات بينهم، والتي قد تصل إلى القتل أحياناً .

وقد ذكر الله – تعالى – ذلك في آية الدّين فقال بعد الحديث عن الإشهاد على الديون :

---

[1] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٣) ، ص(٣٨٩) .

[2] انظر : ابن عادل ،**اللباب في علوم الكتاب** ، ج(٤) ، ص(٤٨٠) .

[3] انظر : المرجع السابق .

﴿ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾(البقرة : ٢٨٢)، أي فإن فعلتم ما أمركم الله ﷻ به، فيكون ذلك (أقسط عند الله) أي أقرب إلى العدل والقسط، و(أقوم للشهادة) أي أعون على إقامتها، (وأدنى ألا ترتابوا) أي أقرب إلى انتفاء الريب بينكم، فلا يظلم بعضكم بعضاً . [١]

وكما ذكرت سابقاً، قد أشار الله ﷻ للشاهدين بلفظة الشهيد التي تدل على صيغة المبالغة، وفي ذلك دلالة على تكرار الشهادة من الشاهد في أكثر من مقام، وفي هذا إشارة إلى العدالة، إذ لا يمكن أن يقبل الناس إلا شهادة العدل .[٢]

[١] انظر : الزمخشري ،**الكشاف**، ج(١) ، ص(٣٤٥) .

[٢] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٣) ، ص(٣٨٩) .

المطلب الثالث : الإشهاد على الرجعة أو الفراق بين الزوجين .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ ﴾(الطلاق : ٢) .

يخبرنا الله – تعالى – عن النساء المطلقات إذا أوشكت إحداهن على نهاية العدّة ؛ فعلى الزوج أن يعزم أمره إمّا بإرجاعها إلى عصمته مع حسن معاشرتها والإنفاق عليها بالمعروف، أو بطلاقها طلاقاً شرعياً بالمعروف، ولكن يجب على الأزواج الإشهاد على كلا الحالتين : المراجعة أو المفارقة، وأن تكون الشهادة خالصة لوجه الله – تعالى، وهذه الأوامر التي أمركم الله – تعالى – بها من الإشهاد، يوعظ بها من كان يؤمن بالله – تعالى – واليوم الآخر، ومن يخاف الله – تعالى – فيطيع أوامره، ويجتنب نواهيه يجعل له مخرجاً من كل ضيق وهمّ .[1]

وقد أمر الله– تعالى – الأزواج في هذه الآية بأن يُشهدوا على طلاق زوجاتهم، وعلى إرجاعهن إلى عصمتهم قبيل انقضاء العدة، ويدل عليه ما رواه مُطَرِّف بن عبد الله[2] أنّ((عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ سُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ يُطَلِّقُ امْرَأَتَهُ ثُمَّ يَقَعُ بِهَا، وَلَمْ يُشْهِدْ عَلَى طَلاَقِهَا وَلاَ عَلَى رَجْعَتِهَا ، فَقَالَ : طَلَّقْتَ لِغَيْرِ سُنَّةٍ، وَرَاجَعْتَ لِغَيْرِ سُنَّةٍ، أَشْهِدْ عَلَى طَلاَقِهَا وَعَلَى رَجْعَتِهَا وَلاَ تَعُد)) [3].

والأمر بالإشهاد هنا للاستحباب عند أبي حنيفة ، وأبي بكر الجصاص في الرجعة والفراق . [4]

---

[1] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(١٨) ، ص(١٥٩) . وابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم**، ج(٨) ، ص(١٤٥-١٤٦) .

[2] **مُطَرِّف بن عبد الله الشخير**، تابعي ولد في عهد النبي ﷺ، كان من عباد أهل البصرة وزهادهم ، قال عنه ابن حبان : من ثقات التابعين ، توفي سنة (٨٧) هـ . انظر : ابن حجر ، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج(٦) ، ص(٢٦٠ – ٢٦١) .

[3] أخرجه : أبو داوود ،**سنن أبي داوود**، كتاب : الطلاق ، باب : الرجل يراجع ولا يشهد ، ج(٢) ، ص(٢٢٣) ، ر(٢١٨٨) . قال الألباني : صحيح .

[4] انظر : الجصاص ،**أحكام القرآن**، ج(٥) ، ص(٣٥٠) . والقرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(١٨) ، ص(١٥٨-١٥٩). والشوكاني ، محمد بن علي(ت: ١٢٥٠هـ)، **نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار**، تعليق : محمد الدمشقي ، (إدارة الطباعة المنيرية) ، ج(٧) ، ص(٢٥) .

أمّا عند الإمام الشافعي فهو واجب في الرجعة، ومستحب في الفراق . [1]

وسواء كان الأمر للاستحباب أو الوجوب، **فإنّ للإشهاد على الرجعة أو الفراق فوائد عظيمة**[2] منها :

١. دفع شبهة الوقوع في الزنا إذا قرر الزوج عدم الفرقة ومراجعة الزوجة .

٢. سدّ لباب المخاصمة والمشاكل التي يمكن أن تقع بين الزوجين، ومنع حصول نزاع بينهما ، فيدّعي مثلاً أنه راجعها، أوتنكر هي أن يكون راجعها، فيكون في هذا مفسدة .

٣. حفظ حقوق الزوجة، فقد يجحد الزوج أنه طلقها، أو راجعها فتضيع حقوقها .

٤. لئلا يموت أحدهما فيدّعي الآخر ثبوت الزوجية فيرث .

وقوله تعالى : ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ معناه : أدّوها بالعدل والقسط ، وذلك بأن تكون نيّة الشهود هي إرضاء الله وحده، دون ميل لتحقيق هوى في نفس أحد الزوجين، ودون تبديل أو تغيير ؛ ولكن لإقامة الحق، ودفع الظلم . [3]

قال صاحب الظلال – رحمه الله :" فالقضية قضية الله ﷻ ، والشهادة فيها لله ﷻ، هو يأمر بها ، وهو يراقب استقامتها ، وهو يجزي عليها، والتعامل فيها معه لا مع الزوج ولا مع الزوجة ولا مع الناسقال تعالى في تتمّة الآيات : ﴿ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾(الطلاق : ٢)، والمخاطبون بهذه الأحكام هم المؤمنون المعتقدون باليوم الآخر، فهو يقول لهم : إنه يعظهم بما هو من شأنهم، فإذا صدقوا الإيمان به وباليوم الآخر فهم إذن سيتعظون ويعتبرون، وهذا هو محك إيمانهم ، وهذا هو مقياس دعواهم في الإيمان " .[4]

---

[1] انظر : القرطبي،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(١٨) ، ص(١٥٨-١٥٩) . والشوكاني ، **نيل الأوطار** ، ج(٧) ، ص(٢٥) .

[2] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(١٨) ، ص(١٥٩) .وأبو حيان ،**البحر المحيط**، ج(٨) ، ص(٢٧٨-٢٧٩) . والزحيلي ، وهبة مصطفى (ت: ١٤٣٦هـ) ،**الفقه الإسلامي وأدلّته**، ط(٤) ، (دار الفكر – دمشق) ، ج(٩) ، ص(٤٤٢) .

[3] انظر : الزمخشري ،**الكشاف**، ج(٤) ، ص(٥٥٨) . والقرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**،ج(١٨) ، ص(١٦٠) .

[4] سيد قطب ، **في ظلال القرآن**، ج(٢٨) ، ص(٣٦٠١) .

المطلب الرابع : شهادة المرأة .

قال تعالى :﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾(البقرة : ٢٨٢).

شرع الله – تعالى – الإشهاد على الديون والعقود فأمرنا باستشهاد رجلين عدلين على ذلك، أو استشهاد رجل وامرأتين ممن يرتضيهم المسلمون للشهادة، والأمر في هذه الآية للتخيير بين شهادة الرجلين أو الرجل والمرأتين على الراجح من أقوال العلماء، وهذا ما قاله ابن العربي– رحمه الله – تعالى .[1]

أمّا قوله تعالى : ﴿أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ فيرجع معنى الضلال في هذه الآية إلى : الذهاب عن الطريق الصحيح ، أو عن العلم بحقيقة الشيء، كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾(الفاتحة : ٧)، أي : الذاهبين عن طريق الحق إلى الباطل، وكما قال أولاد يعقوب عن أبيهم : ﴿ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴾ (يوسف : ٩٥)، أي : ذهابك عن العلم بحقيقة أمر يوسف – عليه السلام [2]،ويدخل في هذا المعنى النسيان ونحوه . [3]

ونفهم من الآية الكريمة أنّ شهادة المرأة الواحدة تعدل شهادة نصف الرجل في الإشهاد على الديون والمعاملات المالية، وليس بالضرورة أن تعدل شهادتها شهادة نصف رجل في كل الحالات كما يظنّ بعض النّاس، وإنما يختلف شأنها باختلاف الأحوال والمقامات، كما هو الحال في شهادتها هلال رمضان، وفي الملاعنة، وفي الأمور الخاصة بالنساء كالرضاع والحيض والعدّة، ففي هذه الحالات السابقة تعدل شهادتها شهادة الرجل[4]، وإنّ النص في الآية السابقة ليس وارداً في مقام الشهادة التي يقضي بها القاضي ويحكمبها بين الخصوم، و إنما هو وارد في مقام

---

[1] انظر : ابن العربي ،**أحكام القرآن** ، محمد بن عبد الله (ت: ٥٤٣هـ) ، تحقيق : محمد عطا ، ط(٣) ، (دار الكتب العلمية – بيروت : ١٤٢٤هـ) ، ج(١) ، ص(٣٣٤) . وابن القيم ، محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ) ،**الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**، تحقيق : محمد غازي ، (مطبعة المدني – القاهرة) ، ص(١٠١) وص(٢٣٦) . وابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(٣) ، ص(١٠٩) .

[2] انظر : الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ج(٦) ، ص(٩٠) .

[3] انظر : القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن**، ج(٣) ، ص(٣٩٧) .

[4] انظر : الجصاص ،**أحكام القرآن** ، ج(٥) ، ص(١٣٩) . والثعلبي ،**الكشف والبيان**، ج(٢) ، ص(٢٩٣) .

الإرشاد إلى طرق الاستيثاق والاطمئنان على الحقوق بين المتعاملين والمتعاقدين وقت التعامل في العقود .[1]

وقبل أن أذكر الحكمة من كون شهادة المرأة تعدل نصف شهادة الرجل في هذه الآية أودّ أن أبدي رأيي فيما قرأت من أقوال للمفسرين في هذا الموضوع :

تَعجّبتُ مما هو مكتوب في كتب التفسير عند المفسرين القدماء – رحمهم الله – وممن قلدهم من المُحدَثين ، عن الحكمة من كون شهادة المرأة تعدل نصف شهادة الرجل، وذلك لأنّ عقل المرأة كما يقولون تعتريه الرطوبة والبرد مما يسبب له النسيان، ولأنّها ناقصة عقل ودين ... [2]، والحقّ أننا نقدّر علماءنا فيما يقولون، ولا نقدّسهم، لذلك على طالب العلم أن ينتقي من أقوالهم ما يطمئن قلبه له، وما يتماشى مع الأدلّة النقلية والعقلية، ولا يلتفت إلى تأثر المفسّر بالبيئة التي يعيشها، وبعض الأفكار الموروثة في المجتمع .

ولو أمعن علماؤنا الأفاضل النّظر قليلاً لوجدوا أنّ كلامهم يتعارض مع الواقع في أنّ المرأة أكثر تذكّراً من الرجل ؛ فلو أخذنا مثالاً بسيطاً عن واقع التعليم في العالم لوجدنا أنّ أكثر من يجتاز امتحان الثاوية العامة، ويحصل على أعلى الدرجات من الإناث، وغالبية الطلبة في الجامعات هم من الإناث، ولو نظرنا إلى إدارة الأم لشؤون بيتها، لوجدناها تستطيع من خلال عقلها وذاكرتها أن تنظّف البيت، وتعدّ الطعام، وتدرّس الأولاد، وتتابع علاجهم ، وتهتم بنظافتهم ونظافة ثيابهم .... إلى آخره من شؤون البيت التي لا تنتهي، وقد تكون حاملاً أو مرضعاً في نفس الوقت، ولو سألت إحدى الجدات لوجدتها تتذكر المشكلة الفلانية التي حصلت معها قبل ثلاثين عاماً بالتفصيل، فما بال علمائنا الأفاضل قد قلدوا، وتأثروا بالواقع الذكوري الذي يقرّهم على رأيهم، فهل يستطيعون أن يديروا بيوتهم ساعة واحدة كما تفعل أزواجهم .

---

[1] انظر :شلتوت ، محمود (ت: ١٣٨٣هـ) ، **الإسلام عقيدة وشريعة** ، (دار الشروق) ، ص(٢١٨ – ٢٢٠) . ومجموعة من علماء الأزهر ،**(دعوى امتهان الإسلام لعقلية المرأة باعتبار شهادتها نصف شهادة الرجل)**، موقع : بيان الإسلام للرد على شبهات حول الإسلام .
http://bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=٠١-٠٨-٠٠١٨
وجمعة ، علي محمد ، مقال بعنوان : **(شهادة المرأة المسلمة وردّ الشبهة حولها)**، ١٦ – ٧ – ٢٠١٤م ١٤٣٥هـ .http://www.draligomaa.com/index.php

[2] للرجوع إلى بعض ما ذكره المفسرون عن الانتقاص من عقل المرأة ، انظر : ابن عادل ،**اللباب في علوم الكتاب**، ج(٤) ، ص(٤٩٢) .

ويرجع السبب في انتقاص علمائنا – رحمهم الله –لعقل المرأة وأهليتها في الشهادة ؛ ما فهموه من الآية الكريمة ، حيث ظنّوا أنّ هذه الآية موجهة للقاضي، مما نتج عنه خلط بين (الشهادة) وبين (الإشهاد)، فالشهادة التي يعتمد عليها القضاء في اكتشاف العدل المؤسس على البيّنة، واسخلاصه من دعاوى الخصوم ؛ لا تُتخذ فيه الذكورة أو الأنوثة معياراً لصدقها أو كذبها، وإنما معيار القاضي لصدق الشهادة نفسها بصرف النظر عن جنس الشاهد، فللقاضي إذا اطمأنّ ضميره إلى صدق البيّنة أن يعتمد شهادة رجلين، أو امرأتين، أو امرأة واحدة، أو رجل واحد، والحقّ أنّ البيّنة على المدّعي، واليمين على المدّعى عليه، كما هو معروف في الحكم بين الخصوم، يقول ابن القيم – رحمه الله : وإنّ البيّنة في الشرع اسم لما يبيّن الحق ويظهره ؛ وهي تارة تكون أربعة شهود، وتارة ثلاثة ... وتارة شاهداً واحداً، وامرأة واحدة، والقاعدة التي تقول : (البيّنة على المدعي) معناها : أنّ عليه أن يظهر ما يبيّن صحة دعواه، فإذا ظهر صدقه بطريقة من الطرق حكم له . [١]

وقد قبلت رواية المرأة في الحديث الشريف الذي هو أخطر من الشهادة ، وتقوم عليه أمور الدين والعقيدة، ولم تردّ روايتها لكونها امرأة، بل إنّ بعض العلماء أشار إلى أنّها تفوّقت على الرجل في صدق الرواية[٢]، ومن ذلك ما ذكره الإمام الذهبي– رحمه الله – حيث قال : " وما علمت في النساء من اتهمت، ولا تركوها " [٣]،وهذا ما أكّده الحافظ ابن حجر– رحمه الله – حيث قال : " لا أعلم في النساء من اتهمت، ولا تركوها "[٤] .

---

[١] انظر : ابن القيم ،**الطرق الحكمية**، ص(٣٤) . وشلتوت ،**الإسلام عقيدة وشريعة**، ص(٢١٩) ومجموعة من علماء الأزهر ،**(دعوى امتهان الإسلام لعقلية المرأة باعتبار شهادتها نصف شهادة الرجل)**، موقع : بيان الإسلام للرد على شبهات حول الإسلام .
http://bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=٠١-٠٨-٠٠١٨ .
وجمعة ، علي محمد ،**(شهادة المرأة المسلمة وردّ الشبهة حولها)**
http://www.draligomaa.com/index.php،

[٢] انظر : جمعة ، علي محمد ، مقال بعنوان : **(شهادة المرأة المسلمة وردّ الشبهة حولها)**
http://www.draligomaa.com/index.php،.

[٣] الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد(ت: ٧٤٨) ، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** ، تحقيق : علي معوض ، (دار الكتب العلمية : ١٤١٥هـ) ، ج(٧) ، ص(٤٦٥) .

[٤] ابن حجر ، أحمد بن علي (ت: ٨٥٢هـ) ، **لسان الميزان** ، ط(٣) ، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات : ١٤٠٦هـ) ، ج(٧) ، ص(٥٢٢) .

وتعود الحكمة من كون شهادة المرأة تعدل نصف شهادة الرجل في الإشهاد على العقود المالية إلى عدم حضورها العمل العام، وقلّة خبرتها بالعقود المالية والتجارية، لذلك احتاجت إلى امرأة أخرى لتقوي خبرتها في هذه الأمور.[1]

وهذا ما أكّده المراغي [2]– رحمه الله – حيث قال : "جرت العادة أن المرأة لا تشتغل بالمعاملات المالية ونحوها من المعاوضات، فتكون ذاكرتها ضعيفة فيها، بخلاف الأمور المنزلية فإن ذاكرتها فيها أقوى من ذاكرة الرجل، فقد جُبل الإنسان على أن يقوى تذكره لما يهتم به ويعنى بشأنه، واشتغال النساء في هذا العصر بالمسائل المالية لا يغير هذا الحكم ؛ لأن الأحكام إنما تكون للأعمّ الأكثر، وعدد هؤلاء قليل في كل أمة وجيل." [3]

---

[1] انظر : المراغي ، أحمد مصطفى (ت: ١٣٧١هـ) ،**تفسير المراغي**، ط(١) . (مكتبة مصطفى البابي : ١٣٦٥هـ) ، ج(٣) ، ص(٧٥) . وسيد قطب ، **في ظلال القرآن**، ج(٣) ، ص(٣٣٦) .

[2] **أحمد بن مصطفى المراغي**، المفسّر المصري والعالِم الأزهري الشّهير ، عمل أستاذاً للغة العربية والعلوم الشرعية في مصر ، وتولّى القضاء الشرعي بعد ذلك ، وله عدّة مؤلفات منها : (الحسبة في الإسلام) ، وتفسيره الشهير للقرآن المعروف بتفسير المراغي ، توفي بالقاهرة سنة : (١٣٧١) هـ . انظر الزركلي ،**الأعلام** ، ج(١) ، ص(٢٥٨) .

[3] المراغي ، **تفسير المراغي**، ج(٣) ، ص(٧٥) .

المطلب الخامس : الإشهاد على تسليم أموال اليتامى .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴾ (النساء : ٦) .

يأمر الله ﷻالأوصياء على اليتامى – الذين اقتربوا من سن البلوغ – أن يختبروهم ؛ بأن يعطوهم شيئاً من المال ويطلبوا منهم التصرّف فيه كالمتاجرة والبيع والشراء، فإن أحسنوا التصرّف في هذا المال، وبلغوا سن الزواج، وأحسّ الأوصياء أنهم بلغوا رشدهم ، فعلى الأوصياء أن يدفعوا إليهم أموالهم، ويشهدوا عليهم .[١]

وقد أمر الله – تعالى – الأوصياء بالإشهاد على تسليم اليتامى أموالهم بعد البلوغ والرشد لعدّة حِكم، منها :

١. ضمان وصول حق اليتامى كاملاً إليهم، وتطييب خاطرهم، والحرص على أموالهم .[٢]

٢. حتى يُتمكن من الرجوع إلى الأوصياء إذا تبيّن أنّ هناك خللاً أو نقصاً في المال .[٣]

٣. تبرئة ذمة الأوصياء من مال اليتامى ؛ فلا يُتهموا بأكل جزء منه .[٤]

٤. حتى لا ينكر اليتامى وصول أموالهم إليهم .[٥]

٥. قطع للخصومات وسوء الظن الذي قد ينشأ في المستقبل بين اليتامى والوصي، وإظهار لأمانة الوصي .[٦]

٦. لكي يستشعر هؤلاء الأيتام أنهم أصبحوا راشدين، يستطيعون التعامل مع الناس في الأموال والحقوق .[٧]

٧. حتى يتعلّم الأيتام الأمانة من الوصي، وردّ الحقوق إلى أصحابها .

---

[١] انظر : ابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(٤) ، ص(٢٤٦) .

[٢] انظر : أبو حيان ،**البحر المحيط**، ج(٣) ، ص(١٨٢) .

[٣] انظر : ابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(٤) ، ص(٢٤٦) .

[٤] انظر : المرجع السابق .

[٥] انظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج(٥) ، ص(٤٤) .

[٦] انظر : الزمخشري ،**الكشاف**، ج(١) ، ص(٥٠٧) . وأبو حيان ،**البحر المحيط**، ج(٢) ، ص(١٨٢) . وابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(٤) ، ص(٢٤٦) .

[٧] انظر بتصرف : أبو حيان ،**البحر المحيط**، ج(٣) ، ص(١٨٢) .

٨. حتى يعلم الناس مدى اهتمام الشريعة بحقوق اليتامى، وذلك بحفظها لهم في طفولتهم، والإعلان عن تسليمها لهم عند بلوغهم الرشد عن طريق الإشهاد عليها .

والأصل في الأوصياء الأمانة وعدم الخيانة، وإن كان الوصي غير أمين عزل واختير غيره .[١]

والأصل فيمن لم يجد في نفسه قوة على حمل هذه الأمانة أن يعتزل، فعَنْ أَبِى ذرﷺ أَنَّ رسول اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ ((يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لاَ تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلاَ تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ)) .[٢]

وقوله تعالى : ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ أي شاهداً ورقيباً ومحاسباً لكم إن جحدتم حقوق بعضكم، وفيه تحذير للأوصياء بأن الله ﷻ شاهد عليهم إن سلّموا أموال اليتامى مبخوسة، أو منقوصة، فالله ﷻهو العالم بتفاصيل الأمور، وسيحاسبهم عليها .[٣]

---

[١]انظر : البغوي ،**معالم التنزيل**،ج(٢) ، ص(١٦٩) .

[٢]أخرجه : مسلم ،**صحيح مسلم**، كتاب : الإمارة ، باب : كراهة الإمارة بغير ضرورة ، ج(٦) ، ص(٧) ، ر(٤٨٢٤).

[٣]انظر : ابن كثير ،**تفسير القرآن العظيم**، ج(٢) ، ص(٢١٩). وابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، ج(٤) ، ص(٢٤٦) .

المطلب السادس : الشهادة حين الاحتضار والوصية .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ١٠٦ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٧ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٠٨ ﴾ (المائدة : ١٠٦-١٠٨) .

يخبر الله – تعالى– المؤمنين إذا حضر أحدهم الموت، أي اقترب أحدهم من الموت، فليُشهد على وصيّته اثنين ذوي عدل من المسلمين ، أو آخرين من غير المسلمين، ﴿إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾أي سافرتم، فحلت بكم مصيبة الموت، فعلى الشاهدين أن يشهدا بالحق أمام الورثة، وإن حصل وارتبتم في شهادتهما أيها المؤمنون، فأوقفوهما من بعد الصلاة حتى يقسمان بالله – تعالى – قسماً لا يخفيان فيه الحقيقة من أجل المال أو إرضاء أحد من الناس، لأنهما إن فعلا ذلك سيكونان من الآثمين عند الله – تعالى . [1]

﴿ فَإِنۡ عُثِرَ﴾أي اطُّلع وعُرف أنّ الشاهدين قد ﴿ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا﴾أي استوجبا إثما أي عملاً يوقع في الإثم، كالخيانة أو اليمين الكاذبة ﴿فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾أي فيقوم مقام هؤلاء الشاهدين شاهدان جديدان ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ﴾أي الأوليان بقبول شهادتهما، والجديران بذلك من أولياء الميت، فعليهما أن يقسما بالله – تعالى –﴿ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن

[1] انظر بتصرف : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٦) ، ص(٣٤٨ –٣٥٧) . وابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(٧) ، ص(٩٠) .

شَهَٰدَتِهِمَا﴾أي أحق بالقبول، وأصدق من شهادة الشاهدين السابقين،﴿وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ﴾ في شهادتنا، وإن فعلنا ذلك ﴿إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾أي الآثمين المتجاوزين حدود الله – تعالى .[1] ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ﴾ أي أقرب أن﴿يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ﴾أي أن يؤدّوا الشهادة على وجهها الصحيح من غير نقصان أو زيادة ، أو أن يخافوا أن تردّ أيمان الشهود الجدد بعد ثبوتها فتكون فضيحة لهم بين الناس،﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۗ﴾ أي خافوه أيها المؤمنون،﴿وَٱسۡمَعُواْۗ﴾ ما تؤمرون به من الله ﷻ ورسوله ﷺ واستجيبوا له ،﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾أي الخارجين عن أوامره .[2]

ويؤخذ من الآية جواز استشهاد الكفار على المسلمين كأهل الكتاب وغيرهم، عند الضرورة كالوصية في السفر ممن يظنّ فيهم الأمانة، وبخاصّة إن لم يوجد شهود مسلمين، والدليل على ذلك من خلال أمرين :

الأول : من اللغة، وهو خطاب الله – تعالى – في الأصل لجماعة المؤمنين بأن يستشهدوا شهيدين منهم أي من نفس صفتهم، وهي الإيمان، أو شهيدين من غيرهم، أي من غير صفتهم، وهم غير المؤمنين .[3]

الثاني : أنّ المسلمين كانوا يسافرون للتجارة بصحبة الكفار من أهل الكتاب وعبدة الأوثان، فبالضرورة أن يحصل بينهم تعامل في الشهادات وغيرها من المعاملات، ولم يأت دليل يمنعهم من ذلك، وقال بهذا ثلاثة من الصحابة ممن شهدوا التنزيل، وهم أبو موسى الأشعري، وعبد الله ابن قيس، وعبد الله بن عباس .[4]

والحبس بعد الصلاة لا يكون إلا عند الارتياب في قول الشاهدين، وقد يسأل سائل **ما هي الصلاة المقصودة** [5] **؟**

اختلف المفسرون في ذلك على عدّة أقوال :

---

[1] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٦) ، ص(٣٦٠) . وابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(٧) ، ص(٩٠) .

[2] انظر : الطبري ،**جامع البيان**، ج(١١) ، ص(٢٠٤) . وابن عاشور،**التحرير والتنوير**، ج(٧) ص(٩٣).

[3] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٦) ، ص(٣٤٨-٣٥٠) .

[4] انظر : المرجع السابق .

[5] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٦) ، ص(٣٥٣).

الأول : صلاة العصر، لأنه الوقت الذي ترفع الأعمال فيه إلى الله – تعالى، ولأنّ أهل الأديان يعظمون ذلك الوقت، ويتجنبون فيه اليمين الكاذبة .

الثاني : صلاة الظهر .

الثالث : أي صلاة كانت .

والراجح من هذه الأقوال أنّ الآية تبقى على عمومها، أي أيُّ صلاة كانت، وبخاصة صلاة العصر لتعظيم الله ﷻ لها في قوله تعالى :﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨ ﴾(البقرة : ٢٣٨)، ولما جاء في تغليظ الإثم فيها في الحديث الصحيح عَن أَبِي هُرَيْرَةَ عَن النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أنّه قَالَ : ((ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ؛ رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أَعْطَي بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَي وَهُوَ كَاذِبٌ،وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ ؛ فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ)) [١] .[٢]

لماذا يحبس الشاهدان في المسجد، ولماذا بعد الصلاة ؟

حَبْسُ الشاهدين هو حبس استظهار، وليس حبس عقاب، ومن المعلوم أن المسجد هو بيت الله – تعالى – الذي يستحيي المؤمن أن يعصي الله – تعالى – فيه، وبخاصة أنه مكان عام تتم فيه الشهادة أمام المسلمين، وأنّ وقت الصلاة وقت عظيم تنزل فيه الملائكة– عليهم السلام ، وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : ((يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ))[٣]، لذلك خصّ الله ﷻ حبس الشاهدَين في وقت الصلاة، لكي يستشعر الشاهدان عظمة الزمان والمكان، فيرغبان في الأجر العظيم بشهادتهما بالحق، ويرهبان من الإثم الكبير بالشهادة بالباطل .[٤]

---

[١] أخرجه : البخاري ،**صحيح البخاري**، كتاب : المساقاة ، باب : من رأى أنّ صاحب الحوض والقربة أحقّ بماله ، ج(٢) ، ص(٨٣٤) ، ر(٢٢٤٠) .

[٢] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٦) ، ص(٣٥٣) .

[٣] أخرجه : البخاري ،**صحيح البخاري**، كتاب : التوحيد ، باب : قوله تعالى (تعرج الملائكة والروح إليه) ، ج(٦) ، ص(٢٧٠٢) ، ر(٦٩٩٢) .

[٤] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٦) ، ص٣٥٣ .

وقد زاد الله – تعالى – التغليظ على الشاهدين عن طريق لفظ القسم في قوله﴿ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ أي عليهما أن يقسما بالله– تعالى – على صدق شهادتهما . [1]

ونلحظ مما سبق التشديد الكبير على الشهود في الشهادة حين الوصية، كما قال الله – تعالى – عن الشهود :﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ..... وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ (المائدة ١٠٦– ١٠٧) .

والذي يظهر لي من خلال الآية أنّ الشاهد إن شهد زوراً فهو يشهد على نفسه فعلياً، بأنه سيكون من الآثمين أو الظالمين، وهي شهادة ضمنية بأنه يستحق عقاب الله – تعالى، ومع أنه كان يكفي أن يقول :﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ أو ﴿ وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ﴾، ولكن الله – تعالى – زاد عبارات الإثم والظلم بقوله : ﴿ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴾ و﴿إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ليخاطب بها نفسية الشاهد، فهي ذات تأثير نفسي على الشاهد، يتفكر فيها قبل أن يقدم على شهادة الزور، فهو يقول لنفسه : أنا آثم وظالم إن شهدت زوراً، وبعد كل هذا التحذير للشاهد فقد ختم الله ﷻ موضوع الآيات بقوله :﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾أي إن لم تتعظ مما سبق فأنت من زمرة الفاسقين .

وفي نهاية هذا المبحث نكون قد تعرفنا على موضوعات مهمة تتعلق بالشهادة والشهود في المعاملات بين الناس، وهذه كلها تصب في مصلحة المجتمع وتهدف إلى حفظ حقوق الناس وأموالهم، وأشخاصهم من الظلم أو الضرر، وتسد باب الخلافات والنزاعات بينهم .

[1] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٦) ، ص٣٥٣ .

المبحث الرابع: الشهادة في الحدود .

ذكر الله – تعالى – الشهادة في الحدود بصريح لفظها في الموضوعات المتعلّقة بالزنا دون غيرها من سائر الحدود ؛ ويعتبر موضوع الشهادة في الزنا وما يتفرع عنه من القذف واللّعان من الموضوعات الحساسة، والتي تمسّ المجتمع بشكل دقيق، لذلك سدّ الإسلام باب الفاحشة أولاً، وذلك بالحث على الاحتشام، وغض البصر، ولم يقبل إلحاق تهمة الزنا بأي أحد إلا بضوابط وشروط شديدة، ودعا إلى الستر ودرء الحدود قدر الإمكان، وسأستعرض في هذا المبحث الشهادة على فاحشة الزنا، وكذلك جلد قاذف المحصنات إذا لم يأت بأربعة شهداء، وشهادة طائفة من المؤمنين على تطبيق حد الزنا، وأخيراً عن الشهادة في اللعان، وذلك من خلال المطالب الآتية :

المطلب الأول : الشهادة على فاحشة الزنا .

ويتفرع عن هذا المطلب عنوانان هما :

أولاً : شهادة الأربعة على فاحشة الزنا .

لا شك أنّ تهمة الزنا هي فضيحة عظيمة لا تقف عند الزاني وحده، وإنما تمتد لأهله وذويه، وقد يعيّرهم المجتمع بها مدى الحياة مما يُلحق بهم أضراراً نفسية كبيرة، لذلك فإنّ الله – تعالى – شدد في شروط ثبوت هذه التهمة على الزاني، واعتبر الشاهد الذي لم يستوف شروط الشهادة على الزنا قاذفاً، يجب على الحاكم جلده .

وقد جعل الله– تعالى – ثبوت الزنا عن طريق الشهادة في غاية الصعوبة، بل قد تصل إلى حد المستحيل، وذلك من ستر الله – تعالى – على عباده، ومع أنّ الشهادة صعبة جداً، فقد فصّل العلماء في الشروط التي تتعلق بالشهود على الزنا على فرض أنها وقعت في يوم ما .

شروط الشهود على جريمة الزنا :

١. أن يكون عدد الشهود أربعة وهو ما ذكرته في عنوان هذا الفرع، وهذا بإجماع الأمّة، ولثبوت ذلك في كتاب الله – تعالى – من خلال قوله تعالى :﴿ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥ ﴾(النساء : ١٥) ، وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ

وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٤﴾(النور : ٤)، وقال تعالى :﴿ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ۝١٣﴾(النور : ١٣) ، ولحديث عبادة بن الصامت ﷺ أنّه قال للنبي – صلى الله عليه وسلم – : ((أَرَأَيْتَ إِنْ وَجَدْتُ مَعَ امْرَأَتِي رَجُلًا، أَأُمْهِلُهُ حَتَّى آتِيَ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نَعَمْ))[1].[2]

لكن إذا جاء اثنان أو ثلاثة فشهدوا أمام الحاكم أنهم رأوا عملية الزنا، ولم يأتوا بشاهد ثالث ورابع فإنهم يحدّون حد القذف، ويدلّ على ذلك ما فعله عمر بن الخطاب[3] بأبي بكرة، ونافع، وشبل بن معبد – رضي الله عنهم – عندما شهدوا على المغيرة بن شعبة دون أن يأتوا برابع يشهد شهادة صحيحة.[4]

وقد شدد الإسلام في عدد الشهود على الزنا فجعلهم أربعة خلافاً لسائر الحدود، فلم يشترط في الشهادة على القتل سوى شاهدين، وذلك لعدّة حِكم ذكرها ابن القيّم فقال: " وأمّا اكتفاء الشارع بشاهدين في القتل دون الزنا ؛ ففي غاية الحكمة ؛ فإنّ الشارع احتاط للقصاص والدماء، واحتاط لحد الزنا، فلو لم يقبل في القتل إلا أربعة لضاعت الدماء، وتواثب العادون، وتجرّأوا على القتل، وأمّا الزنا فإنه قد بالغ في ستره كما قدّر الله – تعالى– ستره، فاجتمع على ستره شرع الله – تعالى – وقدره، فلم يقبل إلا أربعة يصفون الفعل وصف مشاهدة ؛ ينتفي معها الاحتمال، وكذلك الإقرار

---

[1] أخرجه : مالك ، مالك بن أنس الأصبحي (ت: ١٧٩هـ) ،**الموطّأ**، تحقيق : محمد الأعظمي ، ط(١) ، (مؤسسة زايد بن سلطان : ١٤٢٥هـ) ، كتاب : الأقضية ، باب : القضاء فيمن وجد مع امرأته رجلاً ، ج(٤) ، ص(١٠٦٧) ، ر(٢٧٣٠) . وأحمد ،**مسند أحمد بن حنبل**، مسند المكثرين من الصحابة ، مسند أبي هريرة ، ج(٢) ، ص(٤٦٥) ، ر(١٠٠٠٨) ، قال شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم .

[2] انظر : الشافعي ، محمد بن إدريس (ت : ٢٠٤هـ) ، **الأم**، (دار المعرفة – بيروت : ١٣٩٣هـ) ج(٧) ، ص(٤٤) . والماوردي ،**الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي**، ج(١٣) ، ص(٢٢٧) . وابن قدامة المقدسي ، عبد الله بن أحمد (ت :٦٢٠هـ) ،**المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل**، ط(١) ،(دار الفكر – بيروت : ١٤٠٥هـ) ،ج(١) ، ص(١٦٩) .

[3] للرجوع إلى قصة عمر مع الشهود الثلاثة انظر : البخاري ، **صحيح البخاري** ، كتاب : الشهادات ، باب : شهادة القاذف والسارق والزاني ، ج(٢) ، ص(٩٣٦) ، دون (ر) .

[4] الشافعي ،**الأم**، ج(٧) ، ص(٤٤) . والماوردي ،**الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي** ، ج(١٣) ، ص(٢٢٧) . وابن قدامة المقدسي ،**المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل** ،ج(١) ، ص(١٦٩) .

؛ فلم يكتف بأقل من أربع مرات حرصاً على ستر ما قدّر الله – تعالى – ستره، وكره إظهاره، والتكلّم به، وتوعد من يحب إشاعته في المؤمنين بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة " .[١]

٢. أن يكونوا كلهم ذكوراً، ولا تقبل شهادة المرأة مطلقاً .[٢]

٣. أن يكونوا كلهم أحراراً، ولا تقبل شهادة العبيد .[٣]

قال الشافعي :"والإجماع يدل على أنه لا تجوز إلا شهادة عدل حر بالغ عاقل لما يشهد عليه".[٤]

٤. أن يكونوا كلهم مسلمين، فلا تقبل شهادة الذمي ، أو الوثني .[٥]

٥. أن يكونوا كلهم عدولاً، فلا تقبل شهادة الفاسق، أو من لا تعلم عدالته، حتى لو وصفوا مشهد الزنا وصفاً دقيقاً .[٦]

قال الشافعي : " والكتاب يدل على أنه لا يجوز شهادة غير عدل " .[٧]

٦. أن يصفوا عملية الزنا وصفاً صحيحاً ؛ بأن يقولوا رأينا ذكره في فرجها كالمورد في المكحلة، أو الرشاء في البئر، ولا يكفي أن يقولوا رأيناهما يزنيان،أو رأيناهما في فراش واحد،بل عليهم أن يصفوا ذلك وصفاً صحيحاً، ويدل على ذلك إقرار ماعز عندما سأله النبي ﷺ : ((..غَابَ ذَلِكَ مِنْكَ فِى ذَلِكَ مِنْهَا كَمَا يَغِيبُ الْمِرْوَدُ فِى الْمُكْحُلَةِ وَالرِّشَاءُ فِى الْبِئْرِ، قَالَ : نَعَمْ)) [٨]. [٩]

قال الشافعي : " ولو شهد أربعة على امرأة بالزنى أو على رجل أو عليهما معا لم ينبغ للحاكم أن يقبل الشهادة لأنّ اسم الزنى قد يقع على ما دون الجماع حتى يصف الشهود الأربعة الزنى، فإذا قالوا رأينا ذلك منه يدخل في ذلك منها دخول المرود في المكحلة ... فقد وجب الحد " .[١٠]

---

[١]ابن القيم ،**إعلام الموقعين**، ج(٢) ، ص(٨٤) .

[٢]انظر : الماوردي ، **الحاوي الكبير**، ج(١٣) ، ص(٢٢٧) . وابن قدامة ،**المغني**،ج(١) ، ص(١٦٩) .

[٣]انظر : المرجعين السابقين .

[٤]الشافعي ،**الأم** ، ج(٧) ، ص(٤٤) .

[٥]انظر : الماوردي ،**الحاوي الكبير**، ج(١٣) ، ص(٢٢٧) . وابن قدامة ،**المغني**،ج(١) ، ص(١٦٩) ..

[٦]انظر : المرجعين السابقين .

[٧]الشافعي ،**الأم**، ج(٧) ، ص(٤٤) .

[٨]أخرجه : أبو داوود ،**سنن أبي داوود**، كتاب الحدود ، باب : رجم ماعز بن مالك ، ج(٤) ، ص(٢٥٥) ، ر(٤٤٣٠) ، قال عنه الألباني : ضعيف .

[٩]انظر : الماوردي ،**الحاوي الكبير**، ج(١٣) ، ص(٢٢٧) . وابن قدامة المقدسي ، **المغني**،ج(١) ، ص(١٦٩) .

[١٠]الشافعي ،**الأم**، ج(٧) ، ص(٤٤) .

الحكمة من اشتراط أربعة شهود :

١. ستراً لهذه المعصية[١]، فإنّه باشتراط الأربعة يتحقق معنى الستر وعدم الفضيحة، لصعوبة وجود الأربعة، ولو وُجدوا فرضاً ؛ لصعب تحقق الشروط فيهم جميعاً، ولصعبت المشاهدة الدقيقة لعملية الزنا .

٢. تغليظاً على الزانيين وتنكيلاً بهما[٢]، بأنه قد شهد فعلتهما القبيحة أربعة، وليس اثنان أو واحد، فيستحيان من فعلهما القبيح .

٣. لأنه يترتب على كل واحد منهما شاهدان[٣]، فتثبت التهمة عليهما وتنتفي الشبهة أو مجرد الشك .

قال الإمام الغزالي – رحمه الله : " فانظر إلى الحكمة من حسم باب الفاحشة بإيجاب الرجم، الذي هو من أعظم العقوبات، ثم انظر إلى كثيف ستر الله ﷻ كيف أسبله على العصاة من خلقه بتضييق الطريق في كشفه، فنرجو أن لا نحرم هذا الكرم يوم تبلى السرائر " .[٤]

---

[١]انظر : أبو حيان ،**البحر المحيط** ، ج(٣) ، ص(٢٠٥) .

[٢]انظر : المرجع السابق .

[٣]انظر : المرجع الأسبق .

[٤]أبو حامد الغزالي ، محمد بن محمد (ت: ٥٠٥هـ) ،**إحياء علوم الدين**، (دار المعرفة – بيروت) ، ج(٢) ، ص(٢٠٠) .

ثانياً : شهادة طائفة من المؤمنين على تطبيق حد الزانا .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ﴾(النور : ٢) .

يخبرنا الله – تعالى– عن حكم الزانية والزاني البكرين الحرين، غير المحصنين، إن ثبتت عليهما التهمة بأحد الأدلة الشرعية كالإقرار أو الشهود، بأنّ حكمهما أن يجلدا مائة جلدة، مع مراعاة أن لا يشفق عليهما أحد حتى لا يتعطل حد من حدود الله – تعالى،﴿وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي وليحضر إقامة الحد عليهما جماعة من المؤمنين .[1]

وهنا نلحظ كمية التغليظ على الزانيين بالنهي عن الرأفة والرحمة بهما، والحث على جمع عدد من المسلمين لمشاهدة عذابهما، مقارنة مع كمية الستر عليهما قبل أن تثبت التهمة عليهما وتصل إلى الحاكم، والحث على درء حدهما بأي شبهة، فسبحان العزيز الرحيم .

وقد اختلف العلماء في عدد الطائفة الذين سيشهدون إقامة الحد على عدّة أقوال[2] :

الأول : الطائفة : رجل واحد فما فوق، وهو قول مجاهد .

الثاني : الطائفة : اثنان فأكثر، وهو قول عطاء، وبه أخذ المالكية .

الثالث : الطائفة : ثلاثة فأكثر لأنه أقل الجمع، وهو قول الزهري، وإلكيا الهرّاسي .

الرابع :الطائفة : أربعة فأكثر، بعدد شهود الزنا، وهو قول ابن عباس وعكرمة، وبه أخذ الإمام مالك والشافعية .

وحقيقية الطائفة هي الجماعة، وقد تقع على الاثنين فأكثر ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ ﴾(التوبة : ١٢٢) ، وذلك لأنّ التّفقه في الدين لا يتحصل بالرجل الواحد، وقد تقع على الواحد فأكثر كقوله تعالى : ﴿ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ ﴾(التوبة : ٦٦)، فعفو الله – تعالى – أو عذابه قد يقع على الرجل

---

[1] انظر : الطبري ،**جامع البيان**،ج(١٩) ، ص(٩٢– ٩٣) .

[2] انظر : السمرقندي ،**بحر العلوم**، ج(٢) ، ص(٤٥٩) . وإلكيا الهرّاسي ،**أحكام القرآن**، ج(٤) ، ص(٢٩٥) .وابن العربي ،**أحكام القرآن**،ج(٣) ، ص(٣٣٥– ٣٣٦).

الواحد[1]،إلا أنّ سياق الآية يقتضي أن يكونوا جماعة لحصول المقصود من التشديد، والعظة والاعتبار، ومن قال بالأربعة قاس على أقل عدد شهوده ، والصحيح هو سقوط العدد ، واعتبار الجماعة الذين بهم الاعتبار والزجر من غير تحديد .[2]

قال الزمخشري – رحمه الله : والصحيح أنّ هذه الكبيرة من أمهات الكبائر ولهذا قرنها الله – تعالى – بالشرك وقتل النفس في قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ﴾(الفرقان : ٦٨) وشرع فيها القَتْلَة الهُوْلة وهي الرجم وشرع فيه الجلد مائة جلدة، ونهى المؤمنين عن الرأفة بالمجلود، وأمر بشهادة الطائفة للتشهير، فوجب أن يكون طائفة يحصل بها التشهير ، والواحد والاثنان ليسوا بتلك المثابة ، واختصاصه المؤمنين بالشهادة لأن ذلك أفضح له بين صلحاء قومه، ويشهد له قول ابن عباس– رضي الله عنهما : " أربعة إلى أربعين رجلاً من المصدِّقين بالله – تعالى" .[3]

وبالرجوع إلى قول الزمخشري – رحمه الله – نلحظ أنّه لفت الانتباه إلى أنّ الله ﷻ قد وصف تلك الطائفة بأنّها مؤمنة، أي أعلى درجة من مجرد أنها مسلمة فحسب ، لذلك ينبغي أيضاً أن تكون الطائفة المؤمنة من فضلاء ووجهاء المجتمع ؛ لأنّ إقامة الحد هو إقامة قاعدة شرعية وقربة تعبدية لله ﷻ يجب المحافظة عليها إن ثبت الحد على الزانيين ودُرئت جميع الشُّبه .[4]

الحكمة من الإشهاد على حد الزنا :

لقد أمر الله – تعالى – أن يشهد عذاب الزانيين طائفة من المؤمنين، وذلك لعدّة حكم :

١. ليكون في ذلك عبرة وعظة، وعذاب نفسي للزانيين ؛ فيشعران بعظيم ذنبهما، ويخجلان أمام المجتمع من العودة لهذا الفعل .[5]

---

[1]انظر : ابن العربي ،**أحكام القران**، ج(٣) ، ص(٣٣٥ – ٣٣٦) . والقرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٨) ، ص(٢٩٤) .

[2]انظر : ابن العربي ،**أحكام القرآن**، ج(٣) ، ص(٣٣٥ – ٣٣٦)

[3]انظر : الزمخشري ،**الكشاف**، ج(٢) ، ص(٢١٥) .

[4] انظر بتصرف : الشاذلي ،**البحر المديد**، ج(٥) ' ص(٧٤) .

[5]انظر بتصرف : ابن عطية ،**المحرر الوجيز**، ج(٤) ، ص(١٩٥) . والشريف ، عبد الرحيم ،**(من بديع الإعجاز التشريعي في الإسلام ﴿وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾)**، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنّة ، ١٥– ٨ – ٢٠١١م \ ١٤٣٢هـ . http://quran-m.com/quran/article/٢٩٢٤

٢. لكي يرتدع الناس، فلا يفكر أحد في القيام بمثل هذا الفعل مرة أخرى، ولأنّ إخفاء هذا الحدّ يزرع في أذهانهم الشك في تطبيقه من قِبل الحاكم، ويوهمهم بإهماله، فلا يرتدع الناس عن الزنا، ولا يتعظ المجتمع .[١]

٣. ليرسخ في أذهان الناس عدم التساهل في إقامة حدود الله – تعالى .[٢]

٤. لكي يشهدوا للحاكم أمام الله – تعالى، أنه يقيم حدوده كما أمر .[٣]

٥. لكي يشهدوا للحاكم أمام الناس أنه يقيم حدود الله – تعالى، فالحاضر سيعلم الغائب، بما رأى، ويشيع الحديث بين الناس عن بشاعة المشهد .[٤]

٦. لأنّ مشاهدتهم لإقامة الحد تزرع في نفوسهم بشاعة القيام بهذه المعصية، فتُرسَم ثقافة المجتمع الكارهة لهذا الفعل .

٧. لكي تستغفر الطائفة المؤمنة للزانيين، وتسأل الله – تعالى– لهما الصبر، وأن يخفف عنهما، فلعل الله – تعالى – يتوب عليهما ويسترهما يوم القيامة من أن يفضحا على رؤوس الأشهاد ؛ فشهود الدنيا أهون من شهود الآخرة . [٥]

٨ . لكي تعين هذه الطائفة المؤمنة الحاكم إذا احتاج إلى العون في إقامة الحد .[٦]

ومن خلال ما سبق نكون قد عرفنا الحكمة من تشريع شهادة الطائفة المؤمنة على حدّ الزنا كما أمر الله – تعالى .

---

[١] انظر بتصرف : ابن العربي ،**أحكام القران**، ج(٣) ، ص(٣٣٥) . وابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(١٨) ، ص(١٥١) .

[٢] انظر : ابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(١٨) ، ص(١٥١) .

[٣] انظر : الشريف ، **(من بديع الإعجاز التشريعي في الإسلام﴿وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾)** .
http://quran-m.com/quran/article/٢٩٢٤

[٤] انظر بتصرف :السمرقندي ،**بحر العلوم**، ج(٢) ، ص(٤٩٥) . وابن العربي ،**أحكام القران**، ج(٣) ، ص(٣٣٥) . والشريف ،**(من بديع الإعجاز التشريعي في الإسلام﴿وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾)** .
http://quran-m.com/quran/article/٢٩٢٤

[٥] انظر : الشريف ، **(من بديع الإعجاز التشريعي في الإسلام﴿وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾)** .
http://quran-m.com/quran/article/٢٩٢٤

[٦] انظر :السمرقندي ، **بحر العلوم**، ج(٢) ، ص(٤٩٥) .

المطلب الثاني : جلد قاذف المحصنات إذا لم يأت بأربعة شهداء .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥ ﴾(النور : ٤- ٥) .

يخبرنا الله – تعالى- عن الذين يرمون النساء العفيفات بتهمة الزنا، ولم يأتوا بأربعة شهداء عدول يشهدون على صحة دعواهم ؛ فإنّ عقابهم أن يجلدوا ثمانين جلدة ، ولا تقبل شهادتهم أبداً ويحكم بتفسيقهم ؛ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ توبة نصوحاً،﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾من أعمالهم، فإنّ الله – تعالى – يغفر لهم .[1]

وقد اعتبر الإسلام القذف من كبائر الذنوب، فقد روى أبو هريرة ﷺ عن النبي – عَلَيْهِ الصلاة والسلام- أنه قال : ((اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قِيلَ: وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ الشِّرْكُ بِاَللَّهِ ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ))[2].

هل تقبل شهادة القاذف بعد التوبة ؟

قال الإمام مالك والشافعي وأحمد – رحمهم الله : تقبل شهادتهم بعد التوبة ؛ لما يدل عليه ظاهر الآية :﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾، فالاستثناء عندهم راجع على الجملتين الأخيرتين (ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً) وجملة (وأولئك هم الفاسقون)، وقالوا : إنّ التائب من الذنب كمن لا ذنب له، فكيف تقبل شهادة الكافر إن أسلم، ولا تقبل شهادة القاذف إن تاب .[3]

---

[1] انظر : النيسابوري ، **الكشف والبيان**، ج(٧) ، ص(٦٧) .

[2] أخرجه : البخاري ، **صحيح البخاري**، كتاب : الحدود ، باب : رمي المحصنات ، ج(٦) ، ص(٢٥١٥) ، ر(٦٤٦٥) .

[3] انظر : الماوردي ، **النكت والعيون**، ج(٤) ، ص(٧٥-٧٦). وإلكيا الهراسي ،**أحكام القرآن**، ج(٤) ، ص(٢٤).

وخالف الإمام أبو حنيفة رأي الجمهور فقال : لا تقبل شهادته وإن تاب، وذلك لأنّ الاستثناء عنده راجع على الجملة الأخيرة فحسب (وأولئك هم الفاسقون)، فيرفع عنه الفسق لكن لا تقبل شهادته، وإن أصبح أصلح المؤمنين .[1]

والظاهر أنّ قول الجمهور هو الراجح لما يدل عليه ظاهر الآية من قبول توبة من تاب عن القذف، وهذا يقتضي قبول شهادته، وعدم تفسيقه .[2]

وقد أمر الله ﷻ بتأديب هؤلاء الشهود الأربعة، إن لم يشهدوا شهادة صحيحة، أو لم يكتمل عددهم، والحكمة من ذلك : عدم استباحة أعراض الناس، أو هتك محارمهم، ولأنّ الله –تعالى– يريد أن يحفظ المجتمع من أن تشيع فيه الفاحشة، أو حتى مجرد ذكرها بين الناس . ؟؟

ولا شك أنّ العذاب النفسي بعدم قبول شهادتهم وتفسيقهم آلم، وأوجع في نفوسهم من العذاب الجسدي، وهو الجلد، لأنّ القَذَفَة إن أقيم عليهم الحد ولم يتوبوا سيعتبرهم المجتمع ساقطين أخلاقياً هاتكين لأعراض العفيفات .[3]

هل الأصل في الشاهد الذي شهد بعينيه وقوع فاحشة الزنا أن يستر أم يفضح ؟؟

الأصل في المسلم أن يستر أخاه المسلم، لذلك يستحب لمن رأى أخاه على منكر أن لا يفضحه بين الناس[4]، وقد روى سالم عن أبيه – رضي الله عنهما، أنّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : ((الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)).[5]

وروى عقبة بن عامر ﷺ عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنّه قال : ((مِنْ رَأَى عَوْرَةً فَسَتَرَهَا

---

[1] انظر : الماوردي ،**النكت والعيون**، ج(٤) ، ص(٧٥–٧٦) . وإلكيا الهراسي ،**أحكام القرآن**، ج(٤) ، ص(٢٤).

[2] انظر : الماوردي ،**النكت والعيون**، ج(٤) ، ص(٧٥–٧٦) .

[3] انظر بتصرف : الشعراوي ،**الخواطر**، ج(١٦) ، ص(١٠٢٠٥) .

[4] انظر : البابرتي ،**العناية شرح الهداية**، ج(٧) ، ص(٣٦٧) . وشيخي زاده ، عبد الرحمن بن محمد (ت: ١٠٧٨هـ) ، **مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر**، تحقيق : خليل المنصور ، (دار الكتب العلمية : ١٤١٩هـ) ، ج(٢) ، ص(٢٥٩) .

[5] أخرجه : مسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب : البرّ والصلة والأدب ، باب : تحريم الظلم ، ج(٨) ، ص(١٨) ، ر(٦٧٤٣) .

كَانَ كَمَنْ أَحْيَا مَوْءُودَةً مِنْ قَبْرِهَا)) [1] .

وقد حثّ الرسول – صلى الله عليه وسلم – من يقع في المعصية أو الزنا أن يستر على نفسه، ويتوب إلى الله – تعالى، وروى زيد بن أسلم أنّ رسول الله ﷺ قال : ((مَنْ أَصَابَ مِنْ هَذِهِ الْقَاذُورَاتِ شَيْئًا فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ مَنْ يُبْدِي لَنَا صَفْحَتَهُ نُقِمْ عَلَيْهِ كِتَابَ اللَّهِ))[2] .

وقد روي في الحديث عن نعيم بن هزال– رضي الله عنهما [3] أنّ رجلاً يقال له هزال كان قد دفع ماعزاً ﷺ للاعتراف بالزنا ؛ فعاتبه الرسول ﷺ قائلاً :((وَيْلَكَ يَا هَزَّالُ لَوْ كُنْتَ سَتَرْتَهُ بِثَوْبِكَ كَانَ خَيْرًا لَكَ))[4] .

وهذا يدل على اتجاه الشارع إلى دفع العقوبات قدر المستطاع، وحبه للستر على المسلمين، وقد حاول الرسول – صلى الله عليه وسلم – إرجاع ماعز عن إقراره، وكان يصرف بوجهه الشريف عنه، عطفاً منه ورحمة به[5]، وذلك ليترك أمره إلى الله – تعالى، فيتوب ويستغفر فيغفر الله له .[6]

قال البابرتي[7] : "وكتمان الشهادة في الحقوق إنما يحرم لخوف فوات حق المحتاج إلى الأموال، أمّا في الحدود فالله – تعالى – غني عن العالمين ، وليس ثمّة خوف من فوات الحق فبقي الكتم

---

[1] أخرجه : وأحمد ،**مسند أحمد بن حنبل**، مسند الشاميين ، حديث عقبة بن عمّار ، ج(٤) ، ص(١٤٧) ، ر(١٧٣٧٠) ، قال عنه شعيب الأرناؤوط : ضعيف . والحاكم ،**المستدرك على الصحيحين**، كتاب : الحدود ، ج(٤) ، ص(٢٤٦) ، ر(٨١٦٢) .

[2] أخرجه : مالك ،**الموطأ** ، كتاب : الحدود ، باب : ما جاء فيمن اعترف على نفسه بالزنا ، ج(٥) ، ص(١٢٠٥) ، ر(٣٠٤٨) . والحاكم ،**المستدرك على الصحيحين**، كتاب : التوبة والإنابة ، ج(٤) ، ص(٢٧٢) ، ر(٧٦١٥) ، قال عنه الذهبي : على شرط البخاري ومسلم .

[3] **نعيم بن هزال الأسلمي**، سكن المدينة ، روى عنه المدنيون قصة ماعز ، وقيل إنّه لا صحبة له ، وإنما الصحبة لأبيه هزال ، وقد كفل هزالٌ ماعزاً وهو صغير ورباه . انظر : ابن سعد ، محمد بن سعد الهاشمي (ت: ٢٣٠هـ) ،**الطبقات الكبرى**، (دار صادر – بيروت) ، ج(٤) ، ص(٣٢٣) .

[4] أخرجه : أحمد ،**مسند أحمد بن حنبل**، مسند الأنصار ، حديث هزال ، ج(٥) ، ص(٢١٦) ، ر(٢١٩٤٠) . قال شعيب الأرناؤوط : صحيح لغيره وإسناده حسن .

[5] الحديث الذي ذكر القصّة أخرجه : أبو داوود ،**سنن أبي داوود**، كتاب : الحدود ، باب : رجم ماعز بن مالك ، ج(٤) ، ص(٢٥٥) ، ر(٤٤٣٠) ، قال عنه الألباني : ضعيف . وهذا الحديث له شواهد صحيحة في البخاري لكن بلفظ آخر، انظر : البخاري ،**صحيح البخاري**، ج(٦) ، ص(٢٥٠٢) ، ر(٦٤٣٨) .

[6] انظر: البابرتي ،**العناية شرح الهداية**، ج(٧) ، ص(٣٦٧) .

[7] **محمد بن محمد أكمل الدين البابرتي** ، الفقيه والمفسّر الحنفي ، له عدد من المؤلفات والشروحات الفقهية من أهمها شرحه لكتاب الفقه الأكبر لأبي حنيفة ، توفي في مصر سنة (٧٦٨) هـ . انظر : الداوودي ، محمد بن علي (ت: ٩٤٥هـ) ، **طبقات المفسرين** ، (دار الكتب العلمية – بيروت) ، ج(٢) ، ص(٢٥٣) .

صيانة لعرض أخيه المسلم ، ولا شك في فضل ذلك ".[1]

وخلاصة القول أنّ كتمان الشهادة في الحدود أفضل من أدائها، خلافاً للشهادة في الحقوق، والمعاملات، كي لا تضيع أموال الناس، وحقوقهم .[2]

ويستثنى مما سبق الشهادة على من ارتكب حداً من حدود الله – تعالى – من المجرمين أو المفسدين في الأرض، ممن لا يرتدعون بالستر عليهم، وممن ويحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، أو ممن يلبسون لباس العلماء، ويخدعون الناس بمظهرهم ؛ وذلك لما في الستر عليهم من مفسدة للمجتمع، ونشر للرذيلة فيه، وعلى الشاهد أن يراعي أن لا يكون قصده الانتقام من هؤلاء الأشخاص، وإنما إصلاح المجتمع، ومنع انتشار الرذيلة . [3]

وتبقى هذه الحالات شاذة وقليلة ؛ ويبقى الأصل في المسلمين الستر على بعضهم ، وقد جال في خاطري ما يفعله بعض النّاس اليوم من تلفيق التّهم لغيرهم ونشرها عبر مواقع التواصل الاجتماعي بالصوت والصورة ، وهم أبعد ما يكونون عن هَدي نبيهم ﷺ من السّتر على إخوانهم حتى وإن وقعوا في أعظم الفواحش كالزنا والسرقة ؛ فهم لا يعلمون الشعور المؤلم لأهل وأبناء الشّخص المفضوح ؛ ولا يعلمون أنّ هذه الفضيحة سوف تبقى دهراً طويلاً لصعوبة حذفها من شبكات التواصل الاجتماعي ؛ حتى وإن تاب ذلك الشخص ، فسيجد من يذكّره بفضيحته ولو بعد وقت طويل ، وكان الأحرى بهم الستر كي يسترهم الله – تعالى – يوم القيامة .

---

[1] البابرتي ،**العناية شرح الهداية**، ج(٧) ، ص(٣٦٧) .

[2] انظر : شيخي زاده ، **مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر**، ج(٢) ، ص(٢٥٩) .

[3] انظر بتصرف : ابن مفلح ،ابراهيم بن محمد (ت: ٨٨٤هـ) ،**المبدع في شرح المقنع**، (دار عالم الكتب – الرياض : ١٤٢٣هـ) ، ج(١٠) ، ص(١٤٩) .

المطلب الثالث: الشهادة في اللّعان .

قال تعالى :﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٦ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٧ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٨ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٩ ﴾(النور: ٦- ٩) .

اللّعان هو : شهادات مؤكّدة بالأيمان مقرونة باللعن والغضب من الله- تعالى، قائمة مقام حد القذف في حق الزوج، وحد الزنا في حق الزوجة .[١]

وسمي بهذا الاسم لوجود لفظ اللعن فيه، وشرط اللعان هو قيام الزوجية بين الطرفين، وسببه قذف الزوج زوجته بما يوجب الحد، كأن يقول لها : أنت زانية، أو ما في بطنك ليس مني، ويُبنى عليه التفريق بين الزوجين، والحكمة من مشروعية اللعان هو دفع العار عن الزوج .[٢]

وصفته : وهي قول الزوج أربع مرات : أشهد بالله – تعالى – أني لمن الصادقين فيما رميتها به من الزنا والخامسة أن لعنة الله – تعالى – عليَّ إن كنت من الكاذبين .

وقول الزوجة أربع مرات : أشهد بالله – تعالى – إنه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا، والخامسة أن غضب الله – تعالى- عليَّ إن كان من الصادقين . [٣]

وقد روى سهل بن سعد الأنصاري – رضي الله عنهما – سبب نزول الآيات السابقة فقال :

((أَقْبَلَ عُوَيْمِرٌ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم- وَسَطَ النَّاسِ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ رَجُلاً وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلاً أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُونَهُ، أَمْ كَيْفَ يَفْعَلُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم- : قَدْ نَزَلَ فِيكَ وَفِي صَاحِبَتِكَ فَاذْهَبْ فَأْتِ بِهَا .. قَالَ سَهْلٌ : فَتَلاَعَنَا)) . [٤]

---

[١] انظر : الخطيب الشربيني ، محمد بن أحمد (ت: ٩٧٧هـ) ،**الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع**، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر ، (دار الفكر – بيروت : ١٤١٥هـ) ، ج(٢) ، ص(٤٥٩) . وشيخي زاده ، **مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر**، ج(٢) ، ص(١٢٨) .

[٢] انظر : المرجعين السابقين .

[٣] انظر : العراقي ، زين الدين عبد الرحمن بن الحسين (ت : ٨٠٦هـ) ، **طرح التثريب في شرح التقريب**، (دار إحياء التراث العربي) ، ج(٧) ، ص(١١٢) .

[٤] أخرجه : مسلم ،**صحيح مسلم**، كتاب : اللعان ، باب : وحدثنا يحيى بن يحيى ، ج(٤) ، ص(٢٠٥) ، ر(٣٨١٦) .

وقد اختلف العلماء في اعتبار الشهادات في اللعان، **هل تبقى على معناها الحقيقي وهو الشهادة، أم يقصد بها الأيمان ؟؟ .**

قال أبو حنيفة وأصحابه أنّ ألفاظ اللّعان يقصد بها الشهادة لقوله تعالى :﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ﴾ .[1]

وقال الشافعي أنّ ألفاظ اللّعان يقصد بها الأيمان، لقول النبي– صلى الله عليه وسلم – عن المرأة التي لاعنها زوجها : ((لَوْلاَ الأَيْمَانُ لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ)) .[2][3]

وسواءٌ اعتبر العلماء ألفاظ اللّعان شهادة أم أيماناً فهي تدور حول معنى واحد وهو الصدق والتأكيد، وقد جعل الله – تعالى – الملاعن كالشاهد لقبول قوله، وقد مرّ سابقاً أنّ الشهادة قد تطلق على اليمين، كقوله تعالى :﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ ﴾(المنافقون : ١)، وقد سمى الله – تعالى – شهادتهم يميناً في الآية التيبعدها :﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ﴾ (المنافقون : ٢)، وقد سُمّي اليمين شهادة لأنّه مظنّة الصدق والبعد عن الكذب، وقد أعجبني رأي ابن القيّم عندما وصف اللّعان بأنّه :" جُعِلَ يميناً مقروناً بالشهادة، وشهادة مقرونة باليمين "[4] ، وقال أيضاً : " والصحيح أنّ لعانهم يجمع بين الوصفين ؛ اليمين والشهادة، فهو شهادة مؤكدة بالقسم والتكرار، ويمين مغلظة بلفظ الشهادة والتكرار، لاقتضاء الحال تأكيد الأمر" .[5]

وبالنظر إلى الآيات السابقة يتبيّن أنّ شهادات اللّعان تحمل عدّة معانٍ[6] :

الأول : التكرار والتأكيد، وذلك لإثبات صدق الادّعاء من قِبَل الزوج، ونفيه من قِبل الزوجة ، وذلك بتكرار الشهادة بذلك منهما أربع مرات .

---

[1] انظر : ابن العربي ،**أحكام القرآن**، ج(٣) ، ص(٣٥٣) . والماوردي ، **الحاوي الكبير** ، ج(١٥) ، ص(٦١٣).

[2] أخرجه : أحمد ، **مسند أحمدبن حنبل** ، مسند بني هاشم ، مسند عبد الله بن عباس ، ج(١) ، ص(٢٣٨) ، ر(٢١٣١) . قال عنه شعيب الأرناؤوط : حسن .

[3] انظر : ابن العربي ،**أحكام القرآن**، ج(٣) ، ص(٣٥٣) . والخطيب الشربيني ،**الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع**، ج(٢) ، ص(٤٦٠) .

[4] ابن القيم ، محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ) ، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ط(٢٧) ، (مؤسسة الرسالة – بيروت : ١٤٢٧هـ) ، ج(٥) ، ص(٣٦٢– ٣٦٣) .

[5] المرجع السابق .

[6] انظر بتصرف : ابن القيم ، **زاد المعاد**، ج(٥) ، ص(٣٦٢– ٣٦٣) .

الثاني : التحذير من غضب الله – تعالى، وذلك بأن يشهدا على نفسيهما شهادة خامسة تحمل معنى الدّعاء على النفس، بأنّ لعنة الله – تعالى– ستحل عليه إن كان كاذباً في ادّعائه، وأنّ غضب الله – تعالى – عليها إن كان صادقاً فيما رماها به .

وهذه المعاني يجب أن يستشعرها كلا الطرفين لأنه يبنى عليها وجوب العذاب على أحدهما إما في الدنيا أو في الآخرة، وخراب بيتهما والتفريق بين الزوجين فرقة أبدية وهذا أمر صعب .[1]

وفي نهاية هذا المبحث نكون قد تعرفنا على بعض الموضوعات التي ذكرت الشهادة المتعلّقة بالحدود في القرآن الكريم، والتي تهدف إلى سد باب الفاحشة في المجتمع المسلم، وحفظ أعراض الناس، وعدم التساهل مع من يسعى إلى نشر الرذيلة في المجتمع، وسوف ننتقل بعدها للمبحث الخامس للحديث عن الأزمنة الشاهدة والمشهودة .

[1] انظر : انظر بتصرف : ابن القيم ، **زاد المعاد**، ج(٥) ، ص(٣٦٢– ٣٦٣) .

المبحث الخامس : الأزمنة الشاهدة والمشهودة .

ذكر الله – تعالى – في كتابه الكريم بعض الأزمنة والأوقات الشاهدة والمشهودة ، مثل اليوم المشهود، وشهادة شهر رمضان، ووقت الفجر المشهود، وشهادة منافع الحج، وهذا ما سيأتي ذكره في هذا المبحث من خلال المطالب الآتية :

المطلب الأول : اليوم المشهود .

قال تعالى :﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾(هود : ١٠٣) .

وصف الله – تعالى – يوم القيامة بأنه يوم مجموع له النّاس، وبأنه يوم مشهود، أي يُشهد شهادة خاصة ليست كأي شهادة، من ناحية تَحقُّقِ وقوعه بلا ريب، ومن ناحية كثرة الشهود، ومن ناحية وضوح هذه الشهادة للعيان، ومن ناحية ما يراه الشاهد من مشاهد مهولة لم ير مثلها من قبل .[1]

فهي شهادة تجعل كل ذات حمل تضع حملها، وتجعل كل مرضعة تذهل عن رضيعها، وفيها ينتقل الشاهد من مرحلة إلى مرحلة، فيشهد البعث، والنشور، والحشر، والحساب، والجنة والنار .

ولا شك أنّ الشهود هم أهل السماوات والأرض من الملائكة والجن والإنس والوحوش والدواب، وتكون شهادة الإنس والجن من الأولين والآخرين شهادة خاصة، لأنهم هم أهل التكليف، وجُعل هذا اليوم من أجل حسابهم، والفضيحة تكون فيه مشهودة من لدن آدم إلى آخر البشر، والجزاء فيه مشهود، خلافاً لعذاب الدنيا الذي لا يشهده إلا المعاصرون له .[2]

وفي هذا رد على من ينكرون وقوع هذا اليوم ؛ بأنهم سوف يشهدونه بكامل حواسهم رغم أنوفهم، قال تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾(مريم : ٣٧)، وسوف يجتمع الأشهاد جميعهم في هذا اليوم ويشهدون عليهم بما عملوا، فلا ينفعهم إنكارهم .

---

[1] انظر : ابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(١٢) ، ص(١٦١) .

[2] انظر : ابن كثير ،**تفسير القرآن العظيم**، ج(٤) ، ص(٣٥٠) . والشاذلي ، **البحر المديد**، ج(٣) ، ص(٣٣٠) . والشعراوي ، **الخواطر**، ج(١١) ، ص(٦٦٧٧) .

المطلب الثاني : وقت الفجر المشهود .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودًا ٧٨ ﴾(الإسراء: ٧٨) .

يأمر الله – تعالى – النبي محمد ﷺ وأمته بإقامة الصلاة المكتوبة (لدلوك الشمس) أي عند منتصف النهار، (إلى غسق الليل) أي إلى حلول الظلام واشتداده، ويدخل في هذا المعنى صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ويأمر الله أيضاً ﷻ نبيّه ﷺ بإقامة (قرآن الفجر) أي صلاة الفجر لما لها من فضل عظيم .[1]

لقد ذكر الله –تعالى – صلاة الفجر في هذه الآية على وجه الخصوص، بينما ذكر باقي الصلوات على وجه العموم، وذلك لما لها من الفضل العظيم على باقي الصلوات[2] فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :((تَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيلِ وَمَلائِكَةُ النَّهارِ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ يقولُ أَبُو هُرَيْرَة : اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ﴿ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودًا ﴾)) .[3]

وقد عُبر عن صلاة الفجر ببعض أركانها، وهي القراءة، فقال تعالى :﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ وذلك لأنّ قراءة القرآن فيها أكثر من غيرها فيصلى فيها بسورتين طويلتين، ويجهر فيها بجميع ركعاتها .[4]

وقد أخبرنا الله – تعالى – أنّ قراءة القرآن في صلاة الفجر تكون مشهودة، وفي هذا عدّة معانٍ :

الأول : أي محضورة من الملائكة، وذلك لأنّها تكون مجتمعة في هذا الوقت، ويفهم من الآية

---

[1] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(١٠) ، ص(٣٠٦ – ٣٠٧) . وابن جزي ،**التسهيل لعلوم التنزيل** ، ج(١) ، ص(٤٥٣) . وابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(١٥) ، ص(١٨٤) .

[2] المراجع السابقة .

[3] أخرجه البخاري ،**صحيح البخاري**، كتاب التفسير ، باب سورة بني إسرائيل ،ج(٤) ، ص(١٧٤٨) ،ر(٦٦٢).

[4] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(١٠) ، ص(٣٠٦ – ٣٠٧) . وابن جزي ،**التسهيل لعلوم التنزيل** ، ج(١) ، ص(٤٥٣) . وابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(١٥) ، ص(١٨٤) .

أنّ على المسلم أن يطيل القراءة في صلاة الفجر ويتغنى بها لأنّها تكون مشهودة من قِبل الملائكة [١]، ولأنّ في هذا الوقت سكون الكون، وهدوء النفس، فيتلقاه القلب نديا، ويستقبله استقبالا واعياً قبل أن ينشغل بمشاغل الحياة . [٢]

الثاني : أنّ في هذا الوقت شواهد عظيمة لقدرة الله – تعالى – من تبدل الليل والنهار، والانتباه من النوم الذي هو أخو الموت .[٣]

الثالث : أنّ من حق هذا الوقت أن يكون مشهوداً من كثير من المصلين، أي الأصل والحكمة أن يشهده الكثير، لأنّ هذا هو وقت البركة والنشاط والأجر العظيم[٤]، وقد روى أنس بن مالك– رضي الله عنهما – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : ((بَشِّرْ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[٥]، وقد وصف النبي – صلى الله عليه وسلم – أجرها في حديث آخر رواه أبو هريرة فقال: ((...وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا)) .[٦]

وكما هو معلوم أنّ الأرض لا تخلو من حضور الملائكة في جميع الأوقات، وبما أنّ الله – تعالى – خصّ هذا الوقت بحضورها فلا بدّ أن تكون شهادة الملائكة له شهادة خاصة، إمّا من ناحية كثرة عددهم، أو دعاؤهم للمؤمنين، أو من ناحية البركة التي تغشاهم وتغشى من يكون حاضراً من المصلين في ذلك الوقت،لذلك على المؤمن أن يجتهد في ذكر الله – تعالى – ودعائه في هذا الوقت لعله ينال نصيباً من تلك البركة .

---

[١] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(١٠) ، ص(٣٠٦ – ٣٠٧) . وابن جزي ،**التسهيل لعلوم التنزيل** ، ج(١) ، ص(٤٥٣) . وابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(١٥) ، ص(١٨٤) .

[٢] انظر : الشعراوي ،**الخواطر** ، ج(١٤) ، ص(٨٦٩٨) .

[٣] انظر : البيضاوي ،**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج(٣) ص(٢٦٤) .

[٤] انظر : المرجع السابق .

[٥] أخرجه : ابن خزيمة ،**صحيح ابن خزيمة**، باب : فضل المشي إلى الصلاة في الظلام بالليل ، ج(٧) ، ص(٣٧٧) ، ر(١٤٩٩) ، قال الأعظمي : صحيح .

[٦] أخرجه : البخاري ،**صحيح البخاري**، كتاب : الأذان ، باب : الاستهام في الأذان ، ج(١) ، ص(٢٢٢) ، ر(٥٩٠) .

المطلب الثالث : شهادة شهر رمضان .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾(البقرة : ١٨٥) .

يخبرنا الله –تعالى– أنّ شهر رمضان هو الشهر الذي أُنزل فيه القرآن على نبيّه محمد– صلى الله عليه وسلم –، وهذا القرآن فيه هداية وإرشاد للناس، وتفريق بين الحق والباطل، ويبين الله – تعالى– أنّ من شهد الشهر من المسلمين فليصمه، ومن كان مريضاً أو على سفر فلا حرج عليه بعدم الصوم، وعليه القضاء في قابل الأيام، وذلك لأنّ الله – تعالى– يريد بعباده التيسير في شرائعه، ولا يريد التعسير .[١]

وشهادة الشهر في قوله تعالى : ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ فيها عدّة معانٍ :

الفعل (شَهِدَ) يدل على الحضور إما عِلماً أو ذاتاً.[٢]

أمّا الحضور عِلماً :

فهو التَحقق من ثبوت الشهر، عن طريق إعلان البلد المسلم عن رؤية الهلال، ويدل على هذا المعنى قوله تعالى ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي عَلِمَ الله .[٣]

وأمّا الحضور ذاتاً فيتفرّع عنه الآتي :

١. من شهد الشهر بالغاً عاقلاً مكلّفاً فليصمه .[٤]

٢. من كان حاضراً في بلده عند ثبوت الشهر، مقيماً غير مسافر، صحيحاً غير مريض، ويدل عليه ما بعده من قول الله– تعالى : ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ

---

[١] انظر : ابن كثير ،**تفسير القرآن العظيم**، ج(١) ، ص(٥٠٣) .

[٢] انظر : الألوسي ،**روح المعاني**، ج(١) ، ص(٤٥٨) .

[٣] انظر : ابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(٢) ، ص(١٧٤) .

[٤] الماوردي ،**النكت والعيون**، ج(١) ، ص(٢٤١) .

أُخَرَ﴾. [1]

فإن قال قائل : إنّ المسافر وغير المسافر يكون شاهداً للشهر ؟

نقول له إنّ الشهر في الأصل يثبت للجميع (مقيماً أو مسافراً)، ولكنّ تقدير الآية كما قال ابن عطية[2] : " فمن شهد منكم المِصْرَ في الشهر"، فَعُلِمَ من ذلك أنها تخصّ المقيم .[3]

وبالنظر إلى ما سبق نفهم أنّ قوله تعالى : ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ في غاية البلاغة ؛ بحيث يُقصد بالشاهد للشهر الشخص البالغ والمقيم وغير المريض، والعالِم بثبوت الشهر، ويخرج غيرهم من هذا المعنى مع أنّهم شاهدون للشهر بحواسهم، ولكن لكثرة انشغالهم عنه فكأنّهم غير شاهدين له، وهذا يدل على أنّ الكلمة الواحدة في القرآن لها مدلولاتها الفنية والبلاغية، فما أعظم إعجاز القرآن .[4]

---

[1] انظر : الزمخشري ،**الكشاف**، ج(١) ، ص(٢٤٥) . وابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(٢) ، ص(١٧٣)

[2] **غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي** ، الأديب والفقيه والمفسر ، ولي القضاء ،وكان يكثر من الغزوات ، وله عدد من المؤلفات من أشهرها (المحرر الوجيز في فقه الكتاب العزيز) ، توفي سنة (٥٤٣)هـ . انظر : السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت : ٩١١هـ) ، **طبقات الفسرين** ، ط(١) ، (دار الكتب العلمية – بيروت) ، ج(١) ، ص(٤٦٠) .

[3] ابن عطية ،**المحرر الوجيز في فقه السنة والكتاب العزيز**، ج(١) ، ص(٦١) .

[4] انظر بتصرف : العراقي ، عبد الله ،(**الشهادة ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه**)، ٤- ١١ – ١٤٣٢هـ \ ٢٠١١م . http://www.ahl-alquran.com/arabic/show_article.php?main_id=٨٥٧١

المطلب الرابع : وقت الحج المشهود .

قال تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ٢٨ ﴾ (الحج : ٢٧ – ٢٨) .

أمر الله – تعالى – نبيه إبراهيم – عليه السلام– أن ينادي في الناس بالحج حتى يلبوا نداء الله– تعالى– رجالاً أي مشاة، أو ركوباً ليؤدوا مناسك الحج كما أمرهم الله– تعالى – ولأجل أن يشهدوا :﴿مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾أي حتى يحضروا، وينالوا منافع لهم في وقت الحج .[1]

ولاشكّ أنّ الحج محفل عالمي يجتمع فيه المسلمون من أنحاء العالم، وأنّ وقت الحج ينتظره الحاج كي يطهّر نفسه، ويرتقي بها، وينتظره التجار كي يتكسّبوا فيه الكسب الحلال، وذلك لأنّ الإنسان مفطور على حب الدنيا والمال .

ما هي المنافع التي يشهدها الحاج في قوله تعالى : ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾ ؟

المنافع هي جمع منفعة، وهي تشمل منافع الدنيا والآخرة، وقد جاءت لفظة المنافع منكّرة، لتبقى على عمومها دون تخصيص، ولم يبين الله – تعالى– ما هي بالضبط .[2]

ولا شكّ أنّ أعظم منفعة يصيبها الحاج هي غفران الذنوب، والأجر العظيم، وسقوط الفريضة عنه، وشهود اجتماع أهل التوحيد في صعيد واحد، واستجابة الدعاء، والفوز برضا الله – تعالى– عنه، وهذه هي المنافع الأخروية .[3]

وهناك منافع دنيوية للحج مثل :

١. التجارة بالمال، وعقد الصفقات المربحة، وذلك لأنّ الحج موسم تجارة عالمي، وهو المكان

---

[1] انظر : ابن كثير ،**تفسير القرآن العظيم**، ج(٥) ، ص(٤١٤) . والشنقيطي ،**أضواء البيان**، ج(٥) ، ص(١١٠) .

[2] انظر : الطبري ،**جامع البيان**، ج(١٨) ، ص(٦٠٩) . والزمخشري ،**الكشاف**، ج(٣) ، ص(١٥٣). وابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، ج(١٧) ، ص(٢٤٦) .

[3] انظر : المراجع السابقة .

الوحيد الذي يجبى إليه ثمرات كل شيء[1]، وينطبق هذا المعنى على قوله تعالى :﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾(البقرة : ١٩٨) .

وهذا ما كانت تفعله العرب قبل الإسلام، فلما جاء الإسلام شعروا بالحرج من ذلك [2]، وعن ابن عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – قال : ((إِنَّ النَّاسَ فِي أَوَّلِ الْحَجِّ كَانُوا يَتَبَايَعُونَ بِمِنًى وَعَرَفَةَ وَسُوقِ ذِي الْمَجَازِ وَمَوَاسِمِ الْحَجِّ فَخَافُوا الْبَيْعَ وَهُمْ حُرُمٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ :﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ فِي مَوَاسِمِ الْحَج)) .[3]

٢. الانتفاع من البدن والذبائح التي يقدّمونها وقت الحج، سواء من لحومها أو جلودها .[4]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – فِي تفسيره لقوله تعالى :﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ قَالَ: "منافع في الدُّنْيَا ومنافع في الآخرة ، فأما منافع الآخرة، فرضوان الله – عز وجل، وأما منافع الدُّنْيَا، فَمَا يصيبون مِنْ لحوم البدن في ذَلِكَ اليوم والذبائح والتجارات" [5] .

٣. قصد الأسواق لشراء الهدايا للأهل والأقارب، وينطبق هذا المعنى على غير التجار من عموم الحجيج .

٤. لقاء المسلمين من أنحاء العالم مع بعضهم، وتعارفهم، والتعلّم من بعضهم، لما في ذلك من زيادة إيمانهم، والإفادة من عادات بعضهم .[6]

وقد أباح الله– تعالى– فيها شهود المنافع الدنيوية للحج ؛ لعدّة حكم :

الأولى : تيسيراً على الناس، ورفعاً للحرج عنهم، فكم من تاجر مسلم قد لا تزدهر بضاعته إلا في مثل هذه المواسم .

---

[1] انظر : الشنقيطي ،**أضواء البيان**، ج(٥) ، ص(١١١) . والأمسمي ، محمد ،**(منافع الحج)**، موقع : صيد الفوائد . http://www.saaid.net/mktarat/hajj/١٨٤.htm

[2] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٢) ص(٤١٣-٤١٤) .

[3] أخرجه : أبو داوود ، **سنن أبي داوود**، كتاب المناسك ، باب الكرى ، ج(٢) ، ص(٧٥) ، ر(١٧٦٣) ، قال عنه الألباني : صحيح

[4] انظر : الشنقيطي ، **أضواء البيان**، ج(٥) ، ص(١١١) .

[5] ابن أبي حاتم ، **تفسير القرآن العظيم**، ج(٨) ، ص(٢٤٨٨) .

[6] انظر : ابن عاشور ، **التحرير والتنوير**، ج(١٧) ، ص(٢٤٦) .

الثانية : لأنّ الله– تعالى – يعلم ما في نفسية التجار من هَمٍ وتفكير في بضائعهم وقوت أبنائهم وبخاصّة عندما يرون الجموع الغفيرة من الناس الذين يحتاجون شراء بضائعهم، وقد يشغلهم هذا الهمّ عن الخضوع والخشوع في عبادة الحج، فأراد الله – تعالى – أن يجمع لهم الأمرين كي تستقر نفوسهم .

الثالثة : لكي يعلم الناس أنّ الإسلام ليس دين رهبنة، وانصراف عن الدنيا بالكليّة، وإنما دين يجمع بين الدنيا والآخرة، حتى في أعظم فريضة وهي الحج .

الرابعة : لكي يعلم النّاس مدى أهميّة عمارة الأرض بالتجارة، والصناعة، وغيرها من الأمور التي يحتاجها الناس، حتى في موسم الحج .

وفي نفس الوقت على المسلم أن لا يبالغ في التجارة، وقصد الأسواق حتى ينسى الهدف الأساس وهو إخلاص العبادة لله – تعالى .

وأخيراً بعد استعراض موضوعات هذا المبحث نكون قد تعرّفنا على الأزمنة الشاهدة والمشهودة، والتي تدعو الإنسان إلى التفكر في عظمتها، فكل زمن من هذه الأزمنة هو مشهود من قبل الإنسان، وسيكون شاهداً على عمل الإنسان يوم القيامة، لذلك على الإنسان المؤمن أن يملأ هذه الأيام وجميع أيامه بطاعته لله – تعالى .

المبحث السادس: الشهادة والشهود في القصص القرآني .

ذكرت الشهادة بصريح لفظها في عدّة مواضع في القصص القرآني، وقد تضمّن هذا المبحث جزئيات من تلك القصص مثل مشهد حرق نبي الله إبراهيم – عليه السلام، ومشهد احتضار نبي الله يعقوب – عليه السلام، وشهادة المتآمرين على قتل نبي الله " صالح " وأهله – عليهم السلام، وقصة الشاهد على امرأة العزيز وشهادة إخوة النبي يوسف ﷺ على " بنيامين "، وشهادة الملأ الذين حول ملكة سبأ، وذلك من خلال المطالب الآتية :

المطلب الأول : مشهد حرق نبي الله إبراهيم– عليه السلام .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ﴾(سورة الأنبياء : ٦١) .

يخبرنا الله – تعالى – عن قصّة إبراهيم– عليه السلام – عندما أنكر على قومه عبادة الأصنام وأمرهم بعبادة الله وحده، فلم يستجيبوا لدعوته، فلمّا يأس من إقناعهم توعدهم أن يُلحق الأذى بأصنامهم عندما لا يكونون موجودين، فعمل على تحطيمها وجعلها قطعاً صغيرة إلا صنماً كبيراً ﴿ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ﴾ فيسألونه من حطمها إن كان يسمعهم، فلما جاؤوا ورأوا أصنامهم محطّمة، عرفوا أنّ إبراهيم– عليه السلام – هو الفاعل وتوعّدوه بالعقاب الشديد[1]، وقالوا : ﴿ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ﴾ .[2]

لقد طلب كهنة الأصنام أن يؤتى بإبراهيم – عليه السلام – على مرأى من النّاس لعلهم يشهدون، وهذا يشمل عدّة معانٍ[3] :

١. يشهدون عليه بما سُمع منه من وعيد بتحطيم الأصنام .

٢. يشهدون اعترافه بتحطيم الأصنام فيكون ذلك حجة عليه قبل أن يعاقبوه .

٣. يشهدون بمعنى يحضرون عقابه فيكون عبرة لغيره، وذلك بعد أن حكموا عليه أن يُلقى في النار .

---

[1] انظر : الآيات من سورة **الأنبياء** (٥١ – ٧٣) .

[2] انظر : **الزمخشري** ، الكشاف ،ج(٣) ، ص(١٢٥) .والقرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(١١) ، ص(٢٩٩) .

[3] انظر : المرجعين السابقين .

ويظهر مما سبق أنهم طلبوا منه أن يشهدوا اعترافه قبل أن يشهدوا عقوبته، والدليل على ذلك أنهم سألوه قائلين : ﴿ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾(الأنبياء : ٦٢) ؟

وهذا يدلّ على أنّهم ربما كرهوا إلحاق العقوبة به بغير بيّنة، وأنّهم أرادوا التشهير به، ودحض حجته أمام الناس .[١]

ولكنهم جاءوا ليشهدوا عذابه، فشهدوا قدرة الله– تعالى – في الدفاع عن أوليائه الصالحين، وذلك بجعل النار برداً وسلاماً عليه، فسبحان الله العزيز العليم .

[١] انظر : السيوطي ، **الدر المنثور** ، ج(٥) ، ص(٦٣٧) .

المطلب الثاني : مشهد احتضار نبي الله يعقوب – عليه السلام .

قال تعالى : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾(البقرة : ١٣٣) .

لمّا زعم اليهود أن يعقوب عليه السلام قد وصّى بنيه قبل موته باعتناق اليهودية من بعده وليس الإسلام، وبّخهم الله ﷻ قائلاً لهم : هل كنتم حاضرين عند يعقوب لما حضره الموت، فقال لبنيه : ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ﴾ ، قالوا :﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ أي موحدون لله – تعالى – مسلمون على دين أجدادنا الأنبياء – عليهم السلام .[1]

وسؤال الله – تعالى – لهم ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ هو سؤال إنكاري فيه تقريع وتوبيخ لهم، فإن أجاب اليهود عليه بنعم فقد كذبوا، وإن أجابوا بلا فقد بطلت دعواهم، وشهادة اليهود في هذه الآية بمعنى افتراض حضورهم في الماضي وتحديداً في زمن نبيّهم يعقوب عليه السلام، ومشاهدتهم مشاهدة حسيّة بأعينهم لما حصل في لحظات احتضاره عليه السلام عندما أخذ الميثاق على أبنائه بأنهم سيبقون على التوحيد، ولن يحرّفوا، أو يبدّلوا من بعده .[2]

لكنهم لم يحضروا ولم يشاهدوا يعقوب ولا وصيّته، ولم يقل الله ﷻ (أم كنتم حضوراً) وذلك لأنّ لفظة الشهادة أدقّ في معناها لأنها تفيد الإحاطة والضبط للحدث المُشاهَد، وليس التواجد بالجسد فحسب ، كما في لفظة الحضور، فقد يكون الإنسان حاضراً في جسده، غافلاً في عقله، عما يحدث من حوله .[3]

---

[1] انظر : الطبري ،**جامع البيان**،ج(٢) ، ص(٩٨) . والبخاري ،**صحيح البخاري**، كتاب : الأنبياء ، باب : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾، ج(٣) ، ص(١٢٣٤) ، ر(٣١٧٥) .

[2] انظر بتصرف : الطبري ،**جامع البيان**،ج(٢) ، ص(٩٨) . وابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج(١) ، ص(٧٣٠) .

[3] انظر : ابن عرفة ،**تفسير ابن عرفة**، ج(١) ، ص(٤٢٢) .

ولفظة (شهداء) هنا هي جمع شهيد كما هو معلوم، وهي تدل على استغراقهم في الشهادة على فرض حضورهم في الماضي، لكنّهم لم يحضروا ولم يشهدوا، ولم تثبت صحة دعواهم، فدين الله – تعالى – ودين أنبيائه هو الإسلام رغم أنوفهم، وهو أعظم وصيّة أوصى بها الأنبياء – عليهم السلام – أبناءهم وأتباعهم من المؤمنين .

المطلب الثالث : شهادة المتآمرين على قتل نبي الله " صالح " وأهله – عليهم السلام .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوا۟ تَقَـٰسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴾(النمل : ٤٩) .

أرسل الله – تعالى – نبيّه صالحاً– عليه السلام – إلى قوم ثمود الذين كانوا يسكنون مدينة (الحجر)، ليدعوهم إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الأوثان، فرفضوا دعوته، وصاروا يتشاءمون منه وممن آمن معه، ويخططون لإيذائه، وكان في تلك المدينة تسعة رجال مفسدين في الأرض، عزموا على قتل النبي صالح وأهله– عليهم السلام – ليلاً دون أن يشعر بهم أحد، واتفقوا فيما بينهم على إنكار الجريمة إذا سُؤلوا عنها من قِبَل عشيرة النبي – عليه السلام – وأولياء دمه[1] .

وهذا يدل على أنهم كانوا يخافون من أولياء صالح – عليه السلام – لذلك عزموا على إخفاء، وإنكار جريمتهم، خوفاً منهم .[2]

وشهادة الرجال التسعة في قوله تعالى :﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ﴾

فيها عدّة معانٍ :

أي ما حضرنا مكان ولا زمان وقوع الجريمة، ولا ندري من قتله وقتل أهله[3]، والمهلِك : مصدر ميمي من هَلَك، يدل على الزمان والمكان، أي زمان ومكان وقوع الهلاك .[4]

وقولهم (ما شهدنا مهلك أهله) فيه نوع من المبالغة، لإبعاد التّهمة عنهم،ونفي حضور قتلهم فضلاً عن مباشرة قتلهم بأنفسهم .[5]

وقد يسأل سائل : **لماذا عزموا على القول لولي الدم (ما شهدنا مهلك أهله)، ولم يقولوا (ما شهدنا مهلك صالح وأهله) ؟**

يمكن الجواب عن هذا من عدّة وجوه :

---

[1] انظر : الطبري ،**جامع البيان**، ج(١٩) ، ص(٤٧٦– ٤٧٧) .

[2] انظر : الشنقيطي ،**أضواء البيان**، ج(٦) ، ص(١١٩) .

[3] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(١٣) ، ص(٢١٦) .

[4] انظر : الآلوسي ،**روح المعاني**، ج(١٩) ، ص(٢١٣) .

[5] انظر : المرجع السابق .

الأول : أنّ في هذه الجملة محذوف، وهو (ما شهدنا مهلكه ولا مهلك أهله)، وهذا يُفهم من سياق الكلام، لأنّ أهله يراد به هو وهم كقوله تعالى : ﴿ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ﴾(البقرة : ٥٠) يعني فرعون وقومه .[١]

الثاني : لأنهم أرادوا التعريض وعدم الكذب، فهم قد شهدوا مهلكه ومهلك أهله معاً، ولم يشهدوا مهلك أهله خاصّة، وهذا يدل على أنّهم كانوا يستقبحون الكذب مع أنّهم كافرون .[٢]

ويبدو أنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك، عندما أرادوا أن يأتوا بحيلة يبررون فيها كذبهم، فكأنهم يقولون : إننا قتلناهم في الظلام من غير أن نشاهد أشخاصهم، وإنا لصادقون في ذلك .[٣]

ومع كل هذه الحِيَل لم ينفعهم مكرهم، بل مَكَر الله – تعالى – بهم فدمّرهم قبل أن يُنفذوا جريمتهم، ونجّى الله – تعالى – نبيه صالحاً عليه السلام ومن معه من المؤمنين، قال تعالى :

﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٥٠ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥١ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٥٢ وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٥٣ ﴾(النمل : ٥٠ – ٥٣)،ففي الآية دليل على أنهم لا قدرة لهم على أن يفعلوا السوء بصالح – عليه السلام – إلا في حال الخفاء، وأنهم لو فعلوا به ذلك خفاءً لكانوا يحلفون لأوليائه أنهم ما فعلوا به سوءاً، ولا شهدوا ذلك ولا حضروه خوفاً من أوليائه ؛ فهو عزيز الجانب بسبب أوليائه وعصبته[٤]، وهو قبل ذلك نبي الله – تعالى – ووليّه الذي سيدافع عنه كما يدافع عن أوليائه في كلّ زمان ومكان.

---

[١] انظر : ابن جُزَيّ،**التسهيل لعلوم التنزيل**، ج(٢) ، ص(١٠٤) .

[٢] انظر : الزمخشري ،**الكشاف**، ج(٣) ، ص(٣٧٧) . وابن جزي ،**التسهيل لعلوم التنزيل**، ج(٢) ، ص(١٠٤) .

[٣] انظر : طنطاوي ،**الوسيط** ، ج(١٠) ، ص(٣٣٩) .

[٤] انظر : الشنقيطي ،**أضواء البيان**،ج(٦) ، ص(١١٩) .

المطلب الرابع : الشاهد على امرأة العزيز .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ ﴾(يوسف : ٢٦) .

يخبرنا الله – تعالى– عما حدث بين يوسف – عليه السلام، وامرأة العزيز عندما راودته عن نفسه، وغلّقت الأبواب لكي يفعل معها الفاحشة، فما كان من يوسف– عليه السلام – إلا أن حاول الهروب منها وفتح الأبواب المغلقة، وفي هذه اللحظة الحاسمة وجد العزيز واقفاً لدى الباب، فما كان من امرأته إلا أن تدفع التهمة عن نفسها، وتلقي بها على يوسف، وتقول: ﴿مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ (يوسف : ٢٥)، وما كان من يوسف إلا أن يدافع عن نفسه قائلاً : ﴿ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِي﴾(يوسف : ٢٦)، وما كان من رب العالمين إلا أن يؤيد نبيّه بأن هيّأ له شاهداً من أهلها يشهد بالعدل : ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾(يوسف : ٢٦ – ٢٧) [1].

وشهادة الشاهد هنا بمعنى الحكم والقضاء[2] كما في قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ﴾(آل عمران : ١٨) أي حَكم الله، وذلك لأنّ هذا الشاهد لم يشاهد ما حدث بعينيه، وإنما حكم بالقرائن الدالّة على الحقيقة، لكن الله – تعالى – جاء بلفظة الشاهد بدل الحاكم أو القاضي دلالة على أمرين :

الأول : لأنّ قوله وحكمه في المسألة سيؤدي إلى الوصول إلى الحق، وفضّ النزاع، فكان بمثابة شهادة .[3]

الثاني : فيه دلالة على حِكمة ذلك الشاهد وبعده عن الكذب أو ما يخلّ بشهادته، لأنّ الأصل في الشاهد الصدق والبعد عن الكذب، فهو من أصدق الناس، ومن أرجحهم عقلاً لأنه حكم بالعدل الذي يرضي الطرفين .

---

[1] للرجوع إلى الآيات التي ذكرت قصة يوسف مع امرأة العزيز ، انظر : (**سورة يوسف ، الآيات : ٢١– ٥٢**) . وابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم**، ج(٤) ، ص(٣٨٣) .

[2] انظر : البغوي ،**معالم التنزيل**، ج(٤) ، ص(٢٣٤) .

[3] انظر : الزمخشري ، الكشاف ، ج(٢) ، ص(٤٣٤) . وسيد قطب ،**في ظلال القرآن**، ج(١٢) ، ص(١٩٨٢) .

وهنا يظهر أنّ هذا الشاهد كان من أهل امرأة العزيز، أي من قرابتها، أي إنه في الأصل سيكون

ممن ينصرها، ويقف في صفها[1]، لكنّ صدقه وحكمته منعته من ذلك .

وكان حكمه بينهم : أن يُنظر إن كان قميص يوسف مشقوقاً من الأمام فهي الصادقة وهو الكاذب، وإن كان قميصه مشقوقاً من الخلف فهي الكاذبة وهو الصادق، فتبين لهم بعد ذلك أنها كاذبة ويوسف هو الصادق، لأنّ الله ﷻ قال : ﴿ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ ﴾(يوسف : ٢٥) [2]

وقد يسأل سائل من هو هذا الشاهد بالضبط ؟

اختلف العلماء في الإجابة على هذا السؤال على عدّة أقوال :

الأول : هو صبيّ في المهد من قرابتها، وهو قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، والضحاك – رحمهم الله[3]–، ودليلهم عن ابْنُ عَبَّاس – رضي الله عنهما – عن النبي– صلى الله عليه وسلم – قال : ((تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ صِغَارٌ، عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلام، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ،وَابْنُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ)) [4].

الثاني : ابن عمٍ لها كان حكيماً ذا رأي، وهو قول زيد بن أسلم . [5]

بالنسبة للقولين السابقين يبدو أنّ القول الثاني هو الأقرب إلى الصواب، أي إنّه شاهد من قرابتها أياً كانت درجة القرابة سواء ابن عمها أو ابن خالها .أو ..، كما قال الله – تعالى –عنه : (من أهلها)، أمّا بالنسبة للقول الأول ففيه نظر ... لأنه لو كان صبيّا في المهد لكان قال : (يوسف هو الصادق) أو (امرأة العزيز كاذبة) دون أن يحتاج إلى تفصيل وشرح، وذلك لأنّ كلامه هو نفسه معجزة لا تحتاج شيئاً يقوّيها لو كان طفلاً لا ينطق[6]، وقد علّق الإمام القرطبي بعدم ترجيح هذا القول أيضاً، فقال : " لو كان صبيا تكلم في المهد لكان الدليل نفس كلامه ، دون أن يحتاج إلى استدلال بالقميص ، وكان يكون ذلك خرق عادة ، ونوع معجزة ؛ والله

---

[1]انظر : أبو حيان ،**البحر المحيط**، ج(٥) ، ص(٢٩٧) .

[2]انظر : ابن كثير ،**تفسير القرآن العظيم**، ج(٤) ، ص(٣٨٣) .

[3]انظر : ابن أبي حاتم ،**تفسير ابن أبي حاتم**، ج(٧) ، ص(٢١٢٨) .

[4]أخرجه :أحمد ،**مسند أحمد بن حنبل**، مسند ابن عباس ، ج(١) ، ص(٣٠٩) ، ر(٢٨٢٢) ، قال شعيب الأرناؤوط : إسناده حسن .

[5]انظر : ابن أبي حاتم ،**تفسير ابن أبي حاتم**، ج(٧) ، ص(٢١٢٨) .

[6]انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٩) ، ص(١٧٣–١٧٤) .

أعلم " [1] .

ويؤيد هذا ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ عن النبيﷺ أنه قال : ((لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة : عيسى ابن مريم وصاحب جريج ، وابن السوداء))[2]ولم يذكر شاهد يوسف .[3]

وعلى كل حال فقد كان هذا الشاهد هو دفاع من الله – تعالى – عن نبيّه يوسف – عليه السلام بسبب التهمة الباطلة التي وُجهت له .

---

[1]القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن**، ج(٩) ، ص(١٧٣-١٧٤) .

[2]أخرجه : البخاري ،**صحيح البخاري**، كتاب : الأنبياء ، باب : (واذكر في الكتاب مريم)، ج(٣) ، ص(١٢٦٨) ، ر(٣٢٥٣) . ومسلم ، **صحيح مسلم**، كتاب : البر والصلة ، باب : تقديم بر الوالدين على التطوع في الصلاة وغيرها ، ج(٨) ، ص(٤) ، ر(٦٦٧٣) .

[3]انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٩) ، ص(١٧٣-١٧٤) .

المطلب الخامس : شهادة إخوة النبي يوسف عليه السلام على أخيهم من أبيهم .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾(يوسف : ٨١ -٨٢) .

يخبرنا الله – تعالى– عن قصة النبي يوسف– عليه السلام– مع إخوته عندما حاولوا التخلّص منه برميه في البئر وهو صغير، لكنّ الله – تعالى – شاء أن يذهب به بعض السيارة (المسافرين) من فلسطين إلى مصر، ليُصبح عزيزها بعد ذلك ، ويشاء الله – تعالى– أن يصيب فلسطين القحط ، ليضطر الإخوة أن يذهبوا إلى عزيز مصر مرات عديدة ليطلبوا الميرة[1] دون أن يخطر ببالهم أنّ عزيز مصر هو أخوهم يوسف– عليه السلام، وفي إحدى المرات أحضروا معهم أخاهم (بنيامين)[2] (أخوهم من أبيهم والأخ الشقيق ليوسف) بناءً على طلب عزيز مصر، وقد كانوا عاهدوا أباهم النبيّ (يعقوب– عليه السلام) بالحفاظ عليه، فعمل يوسف حيلة لكي يستبقيه عنده، وذلك باتهامه بسرقة صواع الملك، والحُكم عليه بما هو موجود في شرع أبناء يعقوب، وهو أن يصير السارق عبداً للمسروق .[3]

وفي وسط استغراب وذهول من إخوته، شاهدوا جنود الملك يستخرجون الصواع من متاع أخيهم فما كان من أخيهم الأكبر إلا أن يأمرهم بالعودة، وإخبار أبيهم بما حصل .[4]

وعندما رجع باقي الإخوة إلى أبيهم يعقوب – عليه السلام – قالوا له : ﴿إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ ﴾أي هذا ما رأيناه في ظاهر الأمر،﴿وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ﴾(والغيب هو الأحوال الغائبة عن الإنسان)، وإن لم تصدقنا فاسأل القرية التي كنا فيها

---

[1] الميرة : الطعام . مرتضى الزبيدي ،**تاج العروس**، ج(١٤) ، ص(١٦٢) .

[2] **(بنيامين)** : هكذا ورد اسمه في الإسرائيليات التي ذكرها المفسرون . الطبري ، **جامع البيان**،ج(١٦)، ص(١٧٣) .

[3] انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(٩) ، ص(١٧٣ – ١٧٤) .

[4] انظر : المرجع السابق . وللرجوع إلى القصّة كاملة : انظر : الطبري ،**جامع البيان**، ج(١٥) ص(٥٥٣) – ج(١٦) ، ص(- ٢٠٦) .

: أي أهل القرية التي كنا موجودين فيها، والعير : أي أهل العير الذين سافرنا معهم .[1]

وقد قصد إخوة يوسف بقولهم ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا ﴾ ما يأتي :[2]

١ . وما كانت منا شهادة في عمرنا إلا بما علمنا، وتيقّنا .

٢ . وما شهدنا إلا بما علمنا من ظاهر الحال أنّ أخانا قد سرق، وتبيّن لنا ذلك من خلال أمرين [3]:

الأول : عندما قام الجنود بتفتيش متاعنا ؛ فوجدوا الصواع في رحل أخينا واستخرجوه أمام أعيننا .

الثاني : عندما لم يعترف أحد أنّه دسّ الصواع في رحل أخينا .

وليست هذه شهادة مقطوع فيها، وإنما هو خبر مبني على غلبة الظنّ، يدلّ على صنيع أخيهم على حد زعم جنود الملك، ويدل على ذلك قولهم ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴾أي لا ندري ما حصل في باطن الأمر، أسرق فعلاً أم دسّه أحدهم في وعائه ؟ .[4]

ويدلّ على هذا المعنى قراءة ابن عباس : (إن ابنك سُرِّق)، أي اتهم بالسرقة .[5]

٣. وما شهدنا عند يوسف عليه السلام عندما سألنا عن حكم السارق في شرعنا إلا بما علمنا من أبينا (يعقوب– عليه السلام) سابقاً أنّه يُستَرقّ، وهذا هو حكمه في شرعنا .[6]

يظهر مما سبق أنّ الشهادة غير العلم الحقيقي، وأنّ الإخبار بالشهادة قد يكون في بعض الأحيان مغايراً للحقيقة، وذلك لأنّ الشهادة هي حكم ذهني مبني على قرائن، وقد يحصل أن

---

[1] انظر : الزمخشري ،**الكشاف**، ج(٣) ، ص(٤٣٠) .

[2] انظر : الطبري ،**جامع البيان**، ج(١٦) ، ص(٢١٠) . والبغوي ،**معالم التنزيل**، ج(٤) ، ص(٦٦) . والزمخشري ،**الكشاف**، ج(٣) ، ص(٤٣٠) . وابن عادل ،**اللباب في علوم الكتاب**، ج(١١) ، ص(١٨٥) .

[3] انظر : المراجع السابقة .

[4] انظر : الطبري ،**جامع البيان**، ج(١٦) ، ص(٢١٠) . والبغوي ،**معالم التنزيل**، ج(٤) ، ص(٦٦) . والزمخشري ،**الكشاف**، ج(٣) ، ص(٤٣٠) . وابن عادل ،**اللباب في علوم الكتاب**، ج(١١) ، ص(١٨٥) .

[5] انظر : المراجع السابقة .

[6] انظر : الطبري ،**جامع البيان**، ج(١٦) ، ص(٢١٠) . والبغوي ،**معالم التنزيل**، ج(٤) ، ص(٦٦) . والزمخشري ،**الكشاف**، ج(٣) ، ص(٤٣٠) . وابن عادل ،**اللباب في علوم الكتاب**، ج(١١) ، ص(١٨٥) .

تكون هذه القرائن قطعية في ظاهرها وغير حقيقية في باطنها، وهذا المعنى يقودنا للتأنّي والتفكير قبل الحكم على أحد بظاهر الأمر، فقد يكون وراء هذا الظاهر ما وراءه .

قال صاحب المنار : وقد سمّى إخوة يوسف قولهم شهادة لأنه قول عن علم بما ثبت عند عزيز مصر، وإن كان هذا الإثبات مصنوعاً .[1]

[1] انظر : رضا ،**المنار**، ج(٧) ، ص(٢٨٣) .

المطلب السادس : شهادة الملأ الذين حول ملكة سبأ .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾(النمل : ٣٢)

يخبرنا الله – تعالى– عن (بلقيس) ملكة سبأ[١]، عندما علم النبي سليمان– عليه السلام – من الهدهد[٢] أنّها تعبد وقومها الشمس من دون الله – تعالى، فاستنكر ذلك، وأرسل لها كتاباً يأمرها فيه أن تأتيه إلى أرضه مسلمةً لله – رب العالمين – فلمّا قرأت الكتاب علمت أنه كتاب عظيم من ملك عظيم، فعزمت على أخذ المشورة من الملأ الذين حولها قبل أن تردّ على الكتاب، فقالت لهم : ﴿ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ أي ما كنت ممضية أمراً حتى تشهدون، وكلمة (تشهدون) أصلها تشهدونني لكن حذفت النون للنصب، وحذفت الياء لدلالة الكسرة عليها[٣] .

وقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ فيه عدّة معانٍ[٤] :

الأول : حتى تحضروا مجلسي وتسمعوا ما أقول .

الثاني : حتى تشيروا علي .

الثالث : حتى تشهدوا على الرأي الصواب .

والمعاني السابقة كلها متداخلة، فهم سوف يحضرون عندها، ثم يشيرون عليها، ثم يشهدون على الحكم النهائي منها، ويقرون إن كان صائباً أم غير صائب .

---

[١] **بلقيس بنت شراحيل**، كانت ملكة على مملكة (سبأ) الواقعة في اليمن ، في عهد النبي سليمان ، وكانت تعبد وقومها الشمس من دون الله – تعالى ، ثم دعاها النبي سليمان – عليه السلام – للإسلام فأسلمت. انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(١٣) ، ص(١٨٢– ٢١٣) .

[٢] **الهدهد** : هو أحد جنود سليمان من الطيور التي سخرها الله – تعالى – له . انظر : القرطبي ،**الجامع لأحكام القرآن**، ج(١٣) ، ص(١٧٧) .

[٣] انظر : النّسفي ، عبد الله بن أحمد (ت : ٧١٠هـ) ،**مدارك التنزيل وحقائق التأويل**،تحقيق : مروان الشعار ، (دار النفائس – بيروت : ١٤٢٤هـ) ،ج(٣) ، ص(١٧٠) . وانظر القصة كاملة لقوم سبأ : الطبري ، **جامع البيان** ، ج(١٩) ، ص(٤٣٩ – ٤٧٥) .

[٤] انظر : الماوردي ،**النكت والعيون**، ج(٤) ، ص(٢٠٨) . والنسفي ،**مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج(٣) ، ص(١٧٠) .

وقول الملكة لحاشيتها(حتى تشهدون) فيه دلالة على عدد من الأمور :

الأول : على حكمتها ورجاحة عقلها، قال الإمام البقاعي– رحمه الله:" وقد دل قولها على غزارة عقلها وحسن أدبها ، ولذلك جنت ثمرة ذلك طاعتهم لها في المنشط والمكره ". [١]

الثاني : حرصها على مبدأ الشورى، وعدم اسبتدادها بالرأي[٢]، قال الإمام الشعراوي– رحمه الله : "وهذا يدل على أنها كانت تأخذ بمبدأ الشورى رغم ما كان لها من المُلْك والسيطرة والهيمنة ".[٣]

الثالث : حرصها على كسر الحواجز بينها وبينهم، أو ما يسمى بلغة الاستعطاف، قال الإمام البيضاوي :" (حتى تشهدون) يعني: إلا بمحضركم، وقد استعطفتهم بذلك ليمالئوها على الإجابة " .[٤]

وقد يسأل سائل : بعد هذا الحوار والاستعطاف، ماذا كان جوابهم ؟

كان رأيهم بأن أشاروا عليها باستعدادهم للدفاع عن مملكتها، وخوض الحرب ، وذلك بقولهم : ﴿ قَالُوْاْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾(النمل : ٣٣)، ثم بعد ذلك فوضوا الأمر إليها بقولهم : ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾(النمل : ٣٣)، فاختارت بحكمتها أن تأتي مستسلمة لسليمان– عليه السلام – لأنها علمت أنَّ جنودها لا قِبَل لهم به وبجنوده من الجن والإنس والطّير .[٥]

وفي نهاية هذا المبحث أكون قد استعرضت المواضع التي ذكرت فيها لفظة الشهادة في القصص القرآني، والتي تتضمن مشاهد ومواقف حصلت مع الأنبياء – عليهم السلام– ومع من له علاقة بهم، والتي اشتملت على شهادات فيها ابتلاء لهم تارة ، وفيها نصرة لهم تارة، وفيها من الفوائد والحِكم كما هو الحال في جميع القصص القرآني .

---

[١] البقاعي ،**نظم الدرر**، ج(٥) ، ص(٤٢٤) .

[٢] انظر : الشعراوي ،**الخواطر**، ج(١٧) ، ص(١٠٧٧٨) .

[٣] الشعراوي ،**الخواطر**، ج(١٧) ، ص(١٠٧٧٨) .

[٤] البيضاوي ،**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج(٤) ، ص(١٥٩) .

[٥] انظر : ابن كثير ،**تفسير القرآن العظيم**، ج(٦) ، ص(١٨٩) .

الخاتمة

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذه الرسالة، التي طالما أحببت موضوعها، واستمتعت بكتابتها، ومهما بحثت وكتبت عن أي موضوع متعلّق بكتاب الله – تعالى – ستبقى الأبحاث قاصرة عن الإحاطة بجميع أسرار هذا الكتاب الخالد ومعانيه، وإنما هذا هو جهد المقلّ، وهذا ما خرجت به من خلال تجوالي بين التفاسير، فأرجو أن يكون العمل خالصاً لوجه الله – تعالى، وأن يكون شاهداً لي يوم القيامة .

وأمّا ما توصلت إليه من نتائج فكانت كالآتي :

١. الشهادة تدل على الفكرة التي سيعتقدها الإنسان طوال حياته، وهي التي سوف تكون باباً لدخوله الجنة أو النار، لذلك طلب الله – تعالى– من الإنسان قبل أن يولد أن يشهد على أهمّ فكرة في الوجود وهي ربوبية ووحدانية الله – تعالى، وبعث الله – تعالى – الرسل بعد ذلك مذكّرة بهذه الشهادة العظيمة التي يبني عليها الإنسان جميع حياته .

٢. مكانة المؤمن عظيمة عند الله – تعالى فإن كان صالحاً في دنياه، فهو عند الله صدّيق شهيد، وإنّ لشهادته مكانة عند الله – تعالى، فإن شهد للحيّ من إخوانه نال رضى الله – تعالى – بحفظه لحقوقهم، وإن شهد للميّت منهم كانت شهادته معتبرة عند الله ﷻ تجب بها الجنّة للميت، وإنّ الله – تعالى– سوف يصطفي المؤمن في الآخرة للشهادة لأفضل خلقه، ألا وهم الأنبياء– عليهم السلام، فهو سوف يشهد لهم على صدقهم مع أنّه لم يرهم من قبل، وسوف يرتضيه الله – تعالى – للشهادة على ملايين الناس من الأمم الأخرى الذين لم يلتق بهم في حياته، وذلك لأنّه هو الشاهد العظيم عند ربه ابن أُمّة عظيمة شاهدة عند ربها .

٣. الشهادة على النّاس يوم القيامة لا تقتصر على عموم أمّة محمد ﷺ فحسب ، وإنما يشترك معهم المبلّغون لهذا الدّين من العلماء والدّعاة، والشهداء المقتولون في سبيل الله ﷻ في كل عصر وزمان، وذلك لأنّ الله ﷻ قد ذكر هاتين الفئتين على وجه العموم في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾(النساء : ٦٩) كما ذكر شهادة أمّة محمد ﷺ على وجه الخصوص، وهذا يدل على أهمية العلم والدّعوة على مرّ التاريخ، ولا بدّ أنّها كانت دافعاً للصالحين من الأمم السابقة للوصول إلى هاتين

المرتبتين ، ومن ثَمَّ الوصول إلى شرف الشهادة على النّاس يوم القيامة، فما أعظم هذا الدين الذي أعزّه الله ﷻ بدعاته ومجاهديه على مرّ التاريخ .

٤. إذا ذكرت شهادة الشاهد في القرآن بصيغة (الشهيد) فهي تدل على المبالغة، لذلك فهي صفة لله – تعالى – الذي هو بالغ الشهادة، وهي صفة للأنبياء الذين سيبالغون في الشهادة على أقوامهم يوم القيامة، وهي صفة للمؤمن الذي يتوسّم منه المبالغة في الصدق عندما يشهد على النّاس في الدنيا والآخرة، لذلك لم ترد هذه الصفة في وصف حال الكفار يوم القيامة مع أنّهم قد يشهدون على الله – تعالى – كذباً ويبالغون في الشهادة في الحياة الدنيا، ومع أنّهم سوف يشهدون على أنفسهم في الآخرة ، لكن لا يمكن أن يبالغوا في الشهادة على أنفسهم في الآخرة بأنّهم كانوا كافرين، ولا يمكن أن يكونوا شهداء لغيرهم من المؤمنين يوم القيامة، لذلك فإنّهم سوف يتمنون أنّ يكون منهم رجل بالغ الشهادة، وسوف يقولون لربهم ﴿ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴾ (فصلت : ٤٧) .

٥. عندما يُذكر الشهداء في القرآن الكريم في وصف حال المؤمنين يوم القيامة، فهذه الصفة لا تدل على من قُتل في سبيل الله – تعالى فحسب ، وإنما تدل أيضاً على المبلّغ للشهادة والمبالغ فيها، سواء كان ممن قُتل في سبيل الله – تعالى، أو ممن سيشهد على الأمم الأخرى من المؤمنين يوم القيامة، وهذه الدرجة لا يمكن أن يصلها إلا من بلّغ النّاس وبالغ في هذا التبليغ ؛ سواء بلّغهم أهميّة هذا الدين بلسان حاله من خلال إراقة دمه في سبيل الله – تعالى، أو بلّغهم ذلك بأعماله الصالحة في الدنيا فكان كالقدوة بينهم، فهو الذي يستحق أن يكون شهيد الله يوم القيامة على تفاوت بين هؤلاء الشهداء بحسب إخلاصهم واجتهادهم في الدنيا .

٦. عندما يُذكر القيام بالشهادة في القرآن الكريم فهو لا يدل على القيام بها في الشهادة في المعاملات بين النّاس والمحاكم الشرعية فحسب ، وإنّما يدل أولاً على القيام بشهادة (أن لا إله إلا الله) وما يتفرع عنها من أمور العقيدة والشريعة ، وذلك لأنّ القيام يدل على المراعاة للشيء والحفظ له، فالمؤمن الحافظ لدينه قائم بالشهادة، والمؤمن الداعي إلى الله – تعالى – قائم بالشهادة، وأعلاهم درجة في القيام بالشهادة هو المؤمن الذي لا يسكت على الباطل فيقوم بشهادة الله – تعالى – بتبيين الحق للناس إن رأى حرمة تنتهك أو حُكماً يلغى .

٧. عندما تذكر شهادة الزور في القرآن فهي لا تدل على الافتراء على النّاس وأكل حقوقهم بالباطل وحسب ، وإنما قد تنطبق على الشخص الذي يحضر مجالس الباطل كمجالس اللّهو والخمر ومجالس الغيبة والنميمة، وقد تنطبق على المخبر عن الله ﷻ بالباطل كالمشرك بالله ﷻ، والمبتدع في دين الله ﷻ، والمفتي بغير علم، وذلك لأنّ جميعهم يخبرون بالباطل ويحضرونه ؛ وذلك لأنّ الشهادة هي الحضور والإخبار .

وأمّا التوصيات التي أوصي بها فهي :

١. على الباحثين في مجالات الأمن الاهتمام بعمل أبحاث ميدانية تشمل اقتراحات علمية وعملية جديدة ومتطورة تؤمّن الحماية الكاملة للشهود ولعائلاتهم، وتعمل على الحدّ من استهدافهم من قِبَل رجال العصابات ؛ وذلك تطبيقاً لقوله تعالى : ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ وإنّ من أهمّ الشهود على الحقّ في هذا الزمان هم (الصحافيون والناشطون) الذين يوثقون شهاداتهم (بكاميراتهم)؛ وبخاصة شهاداتهم على الجرائم التي تقع في الحروب ، وعلينا جميعاً أن نقدّر الدّور الذي يقوم به هؤلاء الشهود ؛ وأن نحميهم ما أمر الله – تعالى .

٢. أوصي أن يتم الاهتمام بدراسة التفسير الموضوعي أكثر فأكثر بحيث تتم دراسة الموضوع الواحد دراسة استقصائية تجمع جميع الآيات التي تخصه، لأنّ ذلك يجعل موضوع الدّراسة أعمق بكثير من أن تُدرس بشكل عام .

٣. أوصي طلبة العلم بعمل دراسات تخصّ مرادفات الشهادة في القرآن الكريم – مثل البيّنة والبلاغ والحُكم – لكي تكون دراستهم متممة لهذه الدّراسة .

والله ولي التوفيق .

فهرس الأحاديث والآثار

الرقم	طرف الحديث	رقم الصفحة
١.	اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ	192
٢.	أَخَذَ اللهُ المِيثاقَ مِنْ ظَهْرِ آدمَ	٧٧
٣.	أَرَأَيْتَ رَجُلاً وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلاً أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُونَهُ، أَمْ كَيْفَ يَفْعَلُ	١٩٦
٤.	أَرَأَيْتَ إِنْ وَجَدْتُ مَعَ امْرَأَتِي رَجُلًا، أَأُمْهِلُهُ حَتَّى آتِيَ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ	١٨٦
٥.	أَشَاهِدٌ فُلاَنٌ	٤
٦.	أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ	١١٨
٧.	أَكْرَمُ الشُّهداءِ يَومَ القِيامَةِ حَمْزة بنُ عَبدِ المُطّلب	١٠٤
٨.	ألاَ أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الشُّهَدَاءِ ؛ الَّذِى يَأْتِي بِشَهَادَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا	١٥٧
٩.	أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ – ثَلَاثًا – ؟	١٦١
١٠.	إِنَّ خَيْرَكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ	١٥٧
١١.	إِنَّ الرَّجُلَ لَيَمُوتُ على فِراشِهِ وَهُوَ شَهيد	١٠٩
١٢.	أَنَّ رجلينِ دَخلَا على دَاوودعليه السلام: أَحَدُهُما صَاحِبَ حَرْثٍ، والآخرُ صَاحِب غَنَم	٣٨
١٣.	إِنَّ شُهَدَاءَ اللَّهِ فِي الأَرْضِ أُمَنَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ فِي خَلْقِهِ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا	١٠٩
١٤.	إِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّموَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ	١٠١
١٥.	إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ مُفَدَّمٌ عَلَى أَفْوَاهِكُمْ بِالْفِدَام، فَأَوَّلُ مَا يُسْأَلُ عَنْ أَحَدِكُمْ فَخِذِهُ وَكَفُّهُ	١٢٢
١٦.	إِنَّ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سِتَّ خِصَالٍ	١١٦
١٧.	إِنَّ اللَّعَّانِينَ لاَ يَكُونُون شُهَدَاءَ	١١٠
١٨.	إِنّهُ يَلْقَى الْعَبْدُ رَبّه فَيَقول الله– تعالى – أَيْ فُلانْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ	١٢٢
١٩.	إِنَّ لله تِسْعةً وتِسْعينَ اسماً	٤٩

٢٠.	إِنَّ اللَّهَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – يُدْنِي الْمُؤْمِنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ	٨٢
٢١.	إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي قُبُلٍ مِنَ الآخِرَةِ وَانْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا جَاءَهُ مَلَكٌ فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهِ	٨٩
٢٢.	أَنَّ النَّاسَ فِى أَوَّلِ الْحَجِّ كَانُوا يَتَبَايَعُونَ بِمِنًى وَعَرَفَةَ وَسُوقِ ذِي الْمَجَازِ وَمَوَاسِمِ الْحَجِّ فَخَافُوا الْبَيْعَ وَهُمْ حُرُمٌ	٢٠٥
٢٣.	إِنّي عَلى جَنَاح سَفَرٍ ، وإذا قَدِمنا ، إِنْ شاءَ الله – تعالى ، صَلَّينا فِيه	٤٢
٢٤.	بَلغني أنّه يشهد يومئذ أمّة محمد ﷺ إلا من كان في قلبه حِنَة على أخيه	١١١
٢٥.	جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رسول الله – صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَأَهْلِي وَوَلَدِي	١١٥
٢٦.	تَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيلِ وَمَلائِكَةُ النَّهارِ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ	٢٠٠
٢٧.	تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ صِغَارٌ، عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلام، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ،	٢١٤
٢٨.	ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ؛ رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أَعْطَي بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَي وَهُوَ كَاذِبٌ	١٨٣
٢٩.	ذَاكَ أَدْنَى أَنْ تَكُونُوا شُهَدَاء	١١٠
٣٠.	سُئِلَ النبيُّ ﷺ عنُ الْكَبَائِرِ	٥
٣١.	شَاهِدُ الزُّورِ لاَ تَزُولُ قَدَمَاهُ حَتَّى تُوجَبَ لَهُ النَّارُ	١٦٣
٣٢.	الشهداءُ خَمْسَةٌ : الْمَطْعُونُ ، والْمَبْطُونُ ،والغَرِقُ	١١٧
٣٣.	طَلَّقْتَ لِغَيْرِ سُنَّةٍ، وَرَاجَعْتَ لِغَيْرِ سُنَّةٍ	١٧٣
٣٤.	كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً	١١٦
٣٥.	كُلُّكُمْ صِدّيقْ وَشَهيد	١٠٦
٣٦.	كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضَحِكَ، فَقَالَ : هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ	١٢١
٣٧.	لاَ تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلاَ تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ	١٨٠
٣٨.	لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ	١٦٧

٣٩.	لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة : عيسى ابن مريم ، وصاحب جريج	٢١٥
٤٠.	لَوْلاَ الأَيْمَانُ لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ	١٩٧
٤١.	مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم – يَقُولُ لأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلاَّ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلاَمٍ	١٣٠
٤٢.	مُؤْمِنو أُمْتِي شُهَداءْ	١٠٩
٤٣.	مَرُّوا بِجِنَازَةٍ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ	١٠٥
٤٤.	مَنْ أَصَابَ مِنْ هَذِهِ الْقَاذُورَاتِ شَيْئًا فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ اللَّهِ	١٩٤
٤٥.	مِنْ رَأَى عَوْرَةً فَسَتَرَهَا كَانَ كَمَنْ أَحْيَا مَوْءُودَةً مِنْ قَبْرِهَا	١٩3
٤٦.	الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُ	١٩3
٤٧.	مِنَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ	١٠8
٤٨.	مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيد	١١8
٤٩.	مَنْ كَتَمَ شَهَادَةً إِذْا دُعِيَ إِلَيْهَا كَانَ كَمَنْ شَهِدَ بِالزُّورِ	١٥6
٥٠.	نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ	١٠3
٥١.	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا	٩8
٥٢.	وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيدَةٌ	١١7
٥٣.	وَيْلَكَ يَا هَزَّالُ لَوْ كُنْتَ سَتَرْتَهُ بِثَوْبِكَ كَانَ خَيْرًا لَكَ	١٩4
٥٤.	يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ	١٨3
٥٥.	يَجِيءُ النَّبِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلاَنِ وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ فَيُدْعَى قَوْمُهُ فَيُقَالُ لَهُمْ : هَلْ بَلَّغَكُمْ هَذَا ؟	١٠6
٥٦.	يُدْعَى نُوحٌ – عَلَيْهِ السَّلام– يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ : هَلْ بَلَّغْتَ ؟	١٠٧

فهرس الأعلام

الرقم	العَلَم	رقم الصفحة
١	أحمد بن مصطفى المراغي	١٧٨
٢	إسماعيل السدي	٧٨
٣	أنس بن مالك ﷺ	١٠٥
٤	البراء بن عازب ﷺ	٨٩
٥	أبو بكر الحدادي	١٥٩
٦	أبو الدرداء ﷺ	١٠١
٧	أبو سعيد الخدري ﷺ	١٠٣
٨	أبو عامر الراهب	٤٢
٩	أبو عنبة الخولاني ﷺ	١٠٩
١٠	أبي بن كعب ﷺ	٤
١١	بهز بن حكيم القشيري	١٢٢
١٢	جابر بن عتيك الأنصاري ﷺ	١١٧
١٣	عبد الرحمن بن أبي بكرة	١٦١
١٤	عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي	٤٩
١٥	عبد الرحمن بن زياد بن أنعم	١١١
١٦	عبد الرحمن بن قاسم	١٥٩
١٧	عبد الله بن أبي بن سلول	٤٠
١٨	عبد الله بن سلام ﷺ	٢٧
١٩	عبد الملك بن جريج	٨١
٢٠	عبد الواحد بن التين	١١٨
٢١	عثمان بن عطاء الخراساني	١٦٨
٢٢	عكرمة ابن عبد الله ﷺ	٢٦
٢٣	عمرو بن مرّة الجهني ﷺ	١٠٨
٢٤	زيد بن خالد الجهني ﷺ	١٥٧
٢٥	زيد بن قيس الخزرجي ﷺ	٤٠
٢٦	سراج الدين بن عادل	١٥٨

٢٧	سعيد بن جبير	٧٨
٢٨	سلمان الفارسي ﷺ	١٠١
٢٩	قتادة بن دعامة السدوسي	٨٧
٣٠	كعب بن مانع الحميري	٨٩
٣١	محمد بن زياد الألهاني	١٠٩
٣٢	محمد الطاهر بن عاشور	٢٧
٣٣	محمد بن محمد الباربرتي	١٩٤
٣٤	مُطَرِّف بن عبد الله الشخير	١٧٣
٣٥	المقدام بن معد كرب الكندي ﷺ	١١٦
٣٦	نعيم بن هزال الأسلمي	١٩٤
37	ورقة بن نوفل	٢1

المصادر والمراجع

١. **القرآن الكريم** .

٢. الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله (١٢٧٠هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق : علي عطية ، (دار الكتب العلمية – بيروت : ١٤١٥هـ) .

٣.ابن أبي حاتم، عبد الرحمن الرازي (ت : ٣٢٧هـ)،**تفسير ابن أبي حاتم**، تحقيق : أسعد الطيب ، (المكتبة العصرية – صيدا) .

٤. ابن الأثير، مجد الدين المبارك (ت: ٦٠٦هـ)،**النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق : طاهر الزاوي ، (المكتبة العلمية) .

٥.ابن الأثير، مجد الدين المبارك (ت: ٦٠٦هـ)،**جامع الأصول في أحاديث الرسول**، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ، ط(١)، مكتبة الحلواني : ١٣٨٩هـ) .

٦. ابن تيمية، تقي الدين أحمد (ت: ٧٢٨هـ)، **الفتاوى الكبرى**، تحقيق : محمد عطا ، ط(١) ، (دار الكتب العلمية : ١٤٠٨هـ) .

٧. ابن جزي، محمد بن أحمد(ت: ٧٤١هـ)،**التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق : عبد الله الخالدي ، (دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت : ١٤١٦هـ) .

٨. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت: ٥٩٧هـ)،**تذكرة الأريب في تفسيرالغريب**، تحقيق : طارق السيد ، ط(١)،(دار الكتب العلمية – بيروت : ١٤٢٥هـ) .

٩. ابن حبان، محمد بن حبان البستي(ت: ٣٥٤هـ)،**صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، ط(٢)، مؤسسة الرسالة : ١٤١٤هـ) .

١٠. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي(ت: ٨٥٢هـ)،**الإصابة في تمييز الصحابة** ،(٨)ج، ط(١)، (دار الجيل – بيروت : ١٤١٢هـ) .

١١. ابن حجر العسقلاني،أحمد بن علي (ت: ٨٥٢هـ)،**فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (دار المعرفة – بيروت : ١٣٧٩هـ) .

١٢. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت: ٨٥٢هـ)،**لسان الميزان** ، ط(٣)، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات : ١٤٠٦هـ) .

١٣. ابن حجر الهيتمي ، أحمد بن محمد(ت: ٩٧٤هـ)،**تحفة المحتاج بشرح المنهاج**، ط(١)، (دار الكتب العلمية – بيروت : ١٤٢١هـ) .

١٤. ابن حزم، علي بن أحمد الأندلسي(ت: ٤٥٦هـ)،**المحلّى بالآثار**، (دار الفكر للطباعة والنشر)، ج(١١)، ص(١٤١) .

١٥. ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن اسحق السلمي(٣١١هـ)،**صحيح بن خزيمة**، تحقيق : محمد الأعظمي ، (المكتب الإسلامي- بيروت : ١٣٩٠هـ) .

١٦. ابن سعد، محمد بن سعد(ت: ٢٣٠هـ)،**الطبقات الكبرى**،(دار صادر – بيروت) .

١٧. ابن عابدين، محمد أمين (ت : ١٢٥٢هـ)، **حاشية رد المختار على الدّر المختار** ، (بيروت : ١٤٢١هـ) .

١٨. ابن عادل، عمر بن علي (ت: ٧٧٥هـ)،**اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق : عادل عبد الموجود ، (دار الكتب العلمية – بيروت : ١٤١٩هـ) .

١٩. ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد(ت: ١٣٩٣هـ)،**تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد في تفسير الكتاب المجيد**،(دار سحنون للنشر: ١٤١٧هـ) .

٢٠. ابن العربي،**أحكام القرآن**، محمد بن عبد الله (ت: ٥٤٣هـ)، تحقيق : محمد عطا ، ط(٣)، (دار الكتب العلمية – بيروت : ١٤٢٤هـ) .

٢١. ابن عرفة، محمد بن عرفة المالكي (ت :٨٠٣هـ)،**تفسير ابن عرفة**، تحقيق : حسن المناعي ، ط(١)، (مركز البحوث – الزيتونة) .

٢٢. ابن قاسم، عبد الرحمن بن محمد العاصمي (ت :١٣٩٢هـ)،**حاشية الروض المربع شرح زاد المستنقع**، (٧)ج، ط(١)، (١٣٩٧هـ) .

٢٣. ابن فارس، أحمد بن فارس(ت: ٣٢٩هـ)،**مقاييس اللغة**، تحقيق : عبد السلام هارون ، (دار الفكر: ١٣٩٩هـ) .

٢٤. ابن قدامة المقدسي، عبد الله بن أحمد (ت :٦٢٠هـ)،**المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل**، ط(١)،(دار الفكر – بيروت : ١٤٠٥هـ) .

٢٥. ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت:٧٥١هـ)،**إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق : طه سعد ، (دار الجيل – بيروت : ١٣٩٣هـ) .

٢٦. ابن القيم، محمد بن أبي بكر(ت: ٧٥١هـ)،**حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، (دار الكتب العلمية – بيروت) .

٢٧. ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ)،**الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**،

تحقيق : محمد غازي ، (مطبعة المدني – القاهرة) .
٢٨. ابن القيّم، محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ)،**مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق : محمد الفقي ، ط(٢)، (دار الكتاب العربي – بيروت : ١٣٩٣هـ) .
٢٩. ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤)،**تفسير القرآن العظيم**، تحقيق : سامي سلامة ، ط(٢)، (دار طيبة للنشر والتوزيع : ١٤٢٠هـ) .
٣٠. ابن منظور، محمد بن مكرم(ت: ٧١١هـ)،**لسان العرب**، ط(١)، (دار صادر– بيروت) .
٣١. ابن ماجة ، محمد بن يزيد،**سنن ابن ماجه**، تحقيق : محمد عبد الباقي ، تعليق : محمد ناصر الدين الألباني ، (دار الفكر – بيروت) .
٣٢. ابن مفلح، ابراهيم بن محمد (ت: ٨٨٤هـ)،**المبدع في شرح المقنع**، (دار عالم الكتب – الرياض : ١٤٢٣هـ) .
٣٣. ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم (ت: ٩٧٠هـ) وآخرون، **البحر الرائق شرح كنز الدقائق ومنحة الخالق وتكملة الطوري**، ط(٢)، (دار الكتاب الإسلامي) .
٣٤. ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب(ت:٢١٣هـ)،**السيرة النبوية**، تحقيق : مصطفى السقا ، ط(٢)،(١٣٧٥هـ) .
٣٥. أبو البقاء العكبري، عبد الله بن الحسين (ت: ٦١٦هـ)،**اللّباب في علل البناء والإعراب**، تحقيق : غازي طليمات ، ط(١)، (دار الفكر – دمشق) .
٣٦. أبو حامد الغزالي، محمد بن محمد (ت: ٥٠٥هـ)،**إحياء علوم الدين**، (دار المعرفة – بيروت) .
٣٧. أبو حيان، محمد بن يوسف(ت: ٧٤٥هـ)،**البحر المحيطفي التفسير**، تحقيق : عادل عبد الموجود ، وآخرون، ط(١)، (دار الكتب العلمية، بيروت :١٤٢٢هـ) .
٣٨. أبو داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)،**سنن أبي داوود**، تعليق : الألباني، (٤)ج، (دار الكتاب العربي– بيروت) .
٣٩. أبو السعود، محمد بن محمد العمادي،**إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (دار إحياء التراث العربي – بيروت)، ج(٨)، ص(٢١٠) .
٤٠. أحمد، أحمد بن حنبل الشيباني،**مسند أحمد بن حنبل**، تعليق : شعيب الأرناؤوط ،

(مؤسسة قرطبة).

٤١. الألباني، محمد ناصر الدين(ت: ١٤٢٠هـ)، **السلسلة الصحيحة**، (٧)ج، (مكتبة المعارف – الرياض).

٤٢. إلكيا الهراسي، عماد الدين الطبري (٥٠٤هـ)،**أحكام القرآن**، ط(٢)، (دار الكتب العلمية – بيروت : ١٤٠٥هـ).

٤٣. البابرتي، محمد بن محمد (ت: ٧٨٦هـ)،**العناية شرح الهداية**، (دار الفكر) .

٤٤. البخاري، محمد بن إسماعيل(ت: ٢٥٦هـ)،**الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، تحقيق : مصطفى البغا ، (دار ابن كثير: ١٤٠٧هـ) .

٤٥. البغوي، حسين بن مسعود (ت: ٥١٠ هـ)،**معالم التنزيلفي تفسير القرآن**، تحقيق : مسلم الحرش.

٤٦. البقاعي، أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر ،**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، (دار الكتب العلمية، بيروت :١٤١٥هـ) .

٤٧. البيضاوي، عبد الله بن عمر (ت: ٦٨٥هـ)،**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق : محمد المرعشلي ، ط(١)، (دار إحياء التراث العربي : ١٤١٨هـ) .

٤٨. البيهقي، أحمد بن الحسين (ت : ٤٥٨هـ)،**سنن البيهقي الكبرى**، تحقيق : محمد عطا ، (مكتبة دار الباز : ١٤١٤هـ) .

٤٩. البيهقي ، أحمد بن الحسين(ت: ٤٥٨هـ)،**شعب الإيمان**، تحقيق : محمد زغلول ، (٧)ج، ط(١)، (دار الكتب العلمية – بيروت : ١٤١٠هـ) .

٥٠.التركي، عبد الله بن عبد المحسن ومجموعة من علماء التفسير، **التفسير الميسر**، ط(٢)، (١٤٣٠هـ) .

٥١. الترمذي، محمد بن عيسى(ت: ٢٧٩هـ)، **الجامع الكبير**، تحقيق : أحمد شاكر وآخرون، تعليق : محمد ناصر الدين الألباني ، (دار إحياء التراث العربي – بيروت) .

٥٢. الثعلبي، أحمد بن محمد (ت: ٤٢٧هـ)،**الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، (دار إحياء التراث العربي :١٤٢٢هـ) .

٥٣. الجرجاني، علي بن محمد(ت: ٤٧١هـ)،**التعريفات**، ط(١)،(دار الكتب العلمية – بيروت : ١٣٠٥هـ) .

٥٤. الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى (ت : ١٤٣٩هـ)،**أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير** ، ط(٥)، (مكتبة العلوم والحكم : ١٤٢٤هـ) .

٥٥. الجصاص، أحمد بن علي (ت: ٣٧٠هـ)،**أحكام القرآن**، تحقيق : محمد قمحاوي ، (داراإحياء التراث العربي – بيروت : ١٤٠٥ هـ) .

٥٦. الجوهري، إسماعيل بن حماد(ت: ٣٩٣هـ)،**الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق : أحمد عطار ، (دار العلم للملايين : ١٤٠٧هـ) .

٥٧. الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري(ت :٤٠٥ هـ) ،**المستدرك على الصحيحين**، تحقيق : مصطفى عطا ، (دار الكتب العلمية – بيروت : ١٤١١هـ) .

٥٨. الحدادي، أبو بكر بن علي(ت: ٨٠٠هـ)،**الجوهرة النيّرة على مختصر القدوري**، ط(١) ، (المطبعة الخيرية : ١٣٢٢هـ)، ج(٢)، ص(٢٢٥) .

٥٩ . الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد (ت: ٩٧٧هـ)،**الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع** ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات في (دار الفكر)، (دار الفكر – بيروت : ١٤١٥هـ) .

٦٠. الدارقطني ، علي بن عمر (ت: ٣٨٥هـ)،**المؤتلف والمختلف**، (دار الغرب الإسلامية) .

٦١. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد(ت: ٧٤٨هـ)،**سير أعام النبلاء**، (مؤسسة الرسالة :١٤٢٢هـ)، ج(١)، ص(٣٩٠-٣٩٤) .

٦٢. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد(ت: ٧٤٨هـ)،**ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق : علي معوض ، (دار الكتب العلمية : ١٤١٥هـ)، ج(٧)، ص(٤٦٥) .

٦٣. الرازي ، محمد بن عمر(ت: ٦٠٦هـ)،**التفسير الكبير**، ط(١)، (دار إحياء التراث العربي) .

٦٤. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد(ت: ٥٠٢ هـ)،**المفردات في غريب القرآن**، تحقيق : صفوان الداوودي ، ط(١)، (دار القلم – دمشق : ١٤١٢هـ) .

٦٥. رضا، محمد رشيد الحسيني(ت: ١٣٥٤هـ)،**تفسير القرآن الحكيم (المنار)**، (الهيئة المصرية العامة للكتاب:١٤٠٠هـ) .

٦٦. الزجاجي، عبد الرحمن بن اسحق(ت :٣٤٠هـ)،**اشتقاق أسماء الله ﷻ**، تحقيق : عبد الحسن المبارك ، ط(٢)، (مؤسسة الرسالة :١٤٠٦هـ) .

٦٧. الزحيلي، وهبة مصطفى (ت: ١٤٣٦هـ)،**الفقه الإسلامي وأدلّته**، ط(٤)، (دار

الفكر – دمشق) .
٦٨. الزرقاني ، محمد عبد الباقي(ت: ١١٢٢هـ)،**شرح الزرقاني على موطأ مالك**، (دار الكتب العلمية – بيروت : ١٤١١هـ) .
٦٩. الزركلي، خير الدين بن محمود (ت: ١٣٩٦هـ)،**الأعلام**، ط(٥)، (دار العلم للملايين : ١٤٢٢هـ) .
٧٠. الزمخشري، محمود بن عمر (ت: ٥٣٨هـ)،**الفائق في غريب الحديث والأثر**، تحقيق : علي البجاوي ، ط(٢)، (دار المعرفة – بيروت) .
٧١. الزمخشري، محمود بن عمر(ت: ٥٣٨هـ)،**الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، (دار إحياء التراث العربي – بيروت) .
٧٢. الزيلعي، عثمان بن علي (ت :٧٤٣هـ)،**تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق**، ط(٢)، (دار الكتاب الإسلامي – القاهرة : ١٣١٣هـ) .
٧٣. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق : عبد الرحمن اللويحق ، ط(١)، (مؤسسة الرسالة : ١٤٢٠هـ) .
٧٤. والسمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد (ت: ٣٧٣هـ)،**بحر العلوم**، تحقيق : محمود مطرجي ، (دار الفكر – بيروت) .
٧٥. السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد (ت : ٤٨٩هـ)،**تفسير القرآن**، (٦)ج، تحقيق : ياسر غنيم ، (دار الوطن العربي – الرياض : ١٤١٨هـ) .
٧٦. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف(ت: ٧٥٦)،**عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ** ، ط(١)، (دار الكتب العلمية :١٤١٧هـ)
٧٧. سيّد قطب، سيّد قطب إبراهيم حسين (ت: ١٣٨٦هـ) ، **في ظلال القرآن** ، ط(٣٢)، (دار الشروق :١٤٢٣هـ) .
٧٨. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال(ت:٩١١هـ) ، **الدّر المنثور**، (دار الفكر – بيروت : ١٤٠٣هـ) .
٧٩. السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال (ت٩١١هـ)،**لباب النقول في اسباب النزول**، (دار الكتب العلمية – بيروت) .

٨٠. الشاذلي أحمد بن محمد (١٢٢٤هـ)،**البحر المديدفي تفسير القرآن المجيد**، ط(٢)(دار الكتب العلمية :١٤٢٣هـ) .

٨١. الشافعي، محمد بن إدريس (ت : ٢٠٤هـ)، **الأم**، (دار المعرفة – بيروت : ١٣٩٣هـ) .

٨٢. الشعراوي، محمد متولي (١٤١٨هـ)،**الخواطر**، (مطابع أخبار اليوم : ١٤١٧هـ) .

٨٣. شلتوت، محمود (ت: ١٣٨٣هـ)،**الإسلام عقيدة وشريعة**، (دار الشروق) .

٨٤. الشنقيطي، محمد الأمين (ت: ١٣٩٣هـ)،**أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (دار الفكر – بيروت : ١٤١٥هـ) .

٨٥. الشوكاني، محمد بن علي (ت : ١٢٥٠هـ)،**فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، ط(١)، (دار ابن كثير : ١٤١٤هـ) .

٨٦. الشوكاني،محمد بن علي(ت: ١٢٥٠هـ)، **نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار**، تعليق : محمد الدمشقي ، (إدارة الطباعة المنيرية) .

٨٧. الشيباني، عبد القادر بن عمر(١١٣٥هـ)،**نيل المآرب بشرح دليل الطالب**، ط(٢)، (دار النفائس : ١٤٢٠هـ) .

٨٨. شيخي زاده، عبد الرحمن بن محمد (ت: ١٠٧٨هـ)،**مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر**، تحقيق : خليل المنصور ، (دار الكتب العلمية : ١٤١٩هـ) .

٨٩. الطبراني، سليمان بن أحمد (ت: ٣٦٠هـ)،**الروض الداني (المعجم الصغير)**، تحقيق : محمد أمرير ، ط(١)، (المكتب الإسلامي : ١٤٠٥هـ) .

٩٠. الطبري، محمد بن جرير(٣١٠هـ)،**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق : أحمد شاكر ، ط(١)،(مؤسسة الرسالة : ١٤٢٠هـ) .

٩١. طنطاوي، محمد سيد،**التفسير الوسيط**، ط(١)، (دار نهضة مصر للطباعة والنشر) .

٩٢. الطيالسي، سليمان بن داوود (ت: ٢٠٤هـ)،**مسند أبي داوود الطيالسي**، (دار المعرفة – بيروت) .

٩٣. عبد الرزاق، عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت: ٢١١هـ)،**مصنّف عبد الرزاق الصنعاني**، تحقيق : حبيب الأعظمي ، ط(٢)، (المكتب الإسلامي – بيروت : ١٤٠٣هـ).

٩٤. العراقي، زين الدين عبد الرحمن بن الحسين (ت : ٨٠٦هـ)،**طرح التثريب في شرح التقريب**، (دار إحياء التراث العربي) .

٩٥. عليش، محمد بن أحمد (ت : ١٢٩٩هـ)،**منح الجليل شرح على مختصر سيد خليل**، (دار الفكر – بيروت : ١٤٠٩هـ) .

٩٦. العيني، محمود بن أحمد(ت: ٨٥٥هـ)،**شرح سنن أبي داوود**، ط(١)، (مكتبة الرشد : ١٤٢٠هـ) .

٩٧. الغزالي ، أبو حامد محمد الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، **المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى**، تحقيق : بسام الجابي ، (١)ج، ط(١)، (١٤٠٧هـ) .

٩٨. مالك، مالك بن أنس الأصبحي (ت: ١٧٩هـ)،**الموطّأ**، تحقيق : محمد الأعظمي ، ط(١)، (مؤسسة زايد بن سلطان : ١٤٢٥هـ) .

٩٩. الماوردي، علي بن محمد(ت : ٤٥٠هـ)،**النكت والعيون**،(٦)ج، (دار الكتب العلمية) ، ج(٦)، ص(١٤) .

١٠٠. المراغي، أحمد مصطفى (ت: ١٣٧١هـ)،**تفسير المراغي**، ط(١) ،(مكتبة مصطفى البابي : ١٣٦٥هـ) .

١٠١. مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد (ت: ١٢٠٥هـ)،**تاج العروس من جواهر القاموس** ، مجموعة من المحققين، (دار الهداية) .

١٠٢. مخلوف، محمد بن محمد (ت : ١٣٦٠هـ)، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، تعليق : عبد المجيد خيالي ، ط(١)، (دار الكتب العلمية – بيروت : ١٤٢٤هـ) .

١٠٣. المزّي، يوسف بن الزكي(ت: ٧٤٢هـ)،**تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق : بشار معروف ، ط(١)، (مؤسسة الرسالة : ١٤٠٠هـ)، ج(١٩)، ص(٤٤٤) .

١٠٤. مسلم بن الحجاج النيسابوري،**المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**، (دار الجيل – بيروت) .

١٠٥. النسائي، أحمد بن شعيب(ت: ٣٠٣هـ)،**المجتبى من السنن**، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، تعليق: الألباني ، ط(٢)، (مكتب المطبوعات الإسلامية : ١٤٠٦هـ) .

١٠٦. النووي، محيي الدين بن شرف(ت: ٦٧٦هـ)،**تهذيب الأسماء واللغات**، تعليق : مجموعة من العلماء، (دار الكتب العلمية – بيروت) .

١٠٧. النووي، محيى الدين بن شرف(ت: ٦٧٦هـ)،**المجموع (شرح المهذب مع تكملة السبكي والمطيعي)**، (دار الفكر) .

١٠٨. النووي، محيي الدين بن شرف(ت: ٦٧٦هـ)،**المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج،** ط(٢)، (دار إحياء التراث العربي – بيروت : ١٤٩٢هـ) .

١٠٩. الهيثمي، نور الدين علي (ت: ٨٠٧هـ)،**مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،** (دار الفكر – بيروت : ١٤١٢هـ) .

١١٠. الواحدي، علي بن أحمد (ت: ٤٦٨هـ)،**أسباب نزول القرآن،** تحقيق : عصام الحميدان ، ط(٢)، (دار الإصلاح: ١٤١٢هـ) .

المواقع الإلكترونية :

١. إبراهيم ، رامي متولي، بحث منشور: **(حماية الشهود في القانون الجنائي)**، دورية الفكر العدد(٩٥)،٢١- ١٢ – ١٤٣٧هـ ٢٣١ -٩- ٢٠١٦ م .

https://issuu.com/dr-ramymetwallyel-kady/docs

٢. الأمسمي، محمد،**(منافع الحج)**، موقع : صيد الفوائد .

http://www.saaid.net/mktarat/hajj/١٨٤.htm

٣. التركي، صالح بن عبد الله،**(توجيه المتشابه في القرآن الكريم (٣٧) (واشهد بأنا مسلمون) و (واشهد بأننا مسلمون))**، ٥ – ٨ – ١٤٣٧ \ ١٣ – ٥ – ٢٠١٦م .

https://www.youtube.com/watch?v=zVpqr٤pO_wk

٤. جامعة القصيم، الدراسات العليا،كلية الشريعة،**(عالم الغيب والشهادة)**، موقع : طريق الإسلام، ٢٦-٢ -١٤٢٨هـ \ ٢٠٠٧م .https://ar.islamway.net/article/٧٦٩٩/

٥. جمعة، علي محمد،**(شهادة المرأة المسلمة وردّ الشبهة حولها)**، ١٨ -٩ – ١٤٣٥هـ ١٦\ – ٧ – ٢٠١٤م . http://www.draligomaa.com/index.php

٦. الجنباز، محمد منير،**(شهادة الحق)**، ١٥- ربيع الثاني – ١٤٣٦هـ \ ٢٠١٤م .

http://www.alukah.net/sharia/٠/٨٢١٧١/

٧. الخالدي، صلاح عبد الفتّاح،(**محاضرة فقه تأويل القرآن)**، (الحلقة ٤٦، سورة آلعمران، الآيتان ٨١ -٨٢)،١٣ -٧ - ١٤٣٦هـ \ ٢-٥ - ٢٠١٥م
https://www.youtube.com/watch?v=KRPHU٢Oizi٠
٨. الدمرداش، صبري (ت: ١٤٣٧هـ)،**(عالم الغيب والشهادة)**، برنامج : زدني علماً .
https://www.youtube.com/watch?v=XzHhGHHNtXw
٩. الشريف ، عبد الرحيم،(**من بديع الإعجاز التشريعي في الإسلام﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾)**، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنّة، ١٥- ٨ - ٢٠١١م \ ١٤٣٢هـ
http://quran-m.com/quran/article/٢٩٢٤
١٠. الشعراوي، محمد متولي (ت : ١٤١٨)،(**تفسير سورة البقرة – الآيات : ١٤٣-١٤٦)**
https://www.youtube.com/watch?v=By_aF٥٨RBQA
١١. الشعراوي، محمد متولي **(تفسير سورة المائدة، الآية ١١٦ -١٢٠) .**
https://www.youtube.com/watch?v=WXoGxEZx٨DQ
١٢. الشعراوي، محمد متولي، **(متى يكون المسلمون شهداء على النّاس)** .
https://www.youtube.com/watch?v=dzOblM٧R٥RI
١٣. العراقي ، عبد الله،(**الشهادة، فمن شهد منكم الشهر فليصمه)**، ٤- ١١ - ١٤٣٢هـ \ ٢٠١١م .
http://www.ahlalquran.com/arabic/show_article.php?main_id=٨٥٧١
٤. مجموعة من العلماء،**(فضل العلم ومنزلة العلماء)**، شبكة السكينة،
٢٨- ٨ ١٤٣٤هـ \٢٠١٢م . https://www.assakina.com
١٥. مجموعة من علماء الأزهر،(**دعوى امتهان الإسلام لعقلية المرأة باعتبار شهادتها نصف شهادة الرجل)**، موقع : بيان الإسلام للرد على شبهات حول الإسلام .
http://bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=٠١-٠٨-٠٠١٨
١٦. نوفل، أحمد إسماعيل، محاضرتين بعنوان : **(تفسير سورة البروج)**، انظر : الرابطين :
https://www.youtube.com/watch?v=٢٢QzRYXYIBk
https://www.youtube.com/watch?v=١UyR٤VNVz٠c

تمّ بحمد الله